الكشاف

عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف

أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨هـ

ويليه

الكافي الشاف

في تخريج أحاديث الكشاف

للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني

المتوفى ٨٥٢هـ

وبذيله

١- كتاب "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" للإمام ناصر الدين احمد بن المنير الإسكندري المالكي

٢- حاشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المرزوقي الشافعي من أكابر علماء الأزهر.

٣- "مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف"

الجزء الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام مكية

إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤ و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية
وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئاً أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا أجعل الآلهة إلها واحداً (فإن قلت) لم أفرد النور (قلت) للقصد إلى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار * (فإن قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) إما على قوله الحمد لله على معنى

﴿القول في سورة الأنعام وهي مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» (قال الفرق بين الجعل والخلق أن الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال أحمد وقد وردت جعل وخلق موردا واحدا فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر في الترادف إلا أن للخاطر ميلا إلى الفرق الذي أبداه الزمخشري ويؤيده أن جعل لم يصحب السموات والأرض وإنما لزمتهما خلق وفي إضافة الخلق في هذه الآية إلى السموات والأرض والجعل إلى الظلمات والنور مصداق للمميز بينهما والله أعلم . عاد كلامه (قال فإن قلت لم أفرد النور قلت للقصد الخ) قال أحمد وقد سبق للزمخشري الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاد أنه أدل على الكثرة من الأفراد وقد قدمنا ما في ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الأمة كتابا أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأي الإمام أبي المعالي ولو قال الزمخشري إن جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الأجرام وإفراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه وهو النار لكان أولى والله أعلم * عاد كلامه (قال فإن قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني نظر من حيث أن عطفه على الصلة

فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۞ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ

أن الله حقيق بالحمد على ماخلق لأنه ماخلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ماخلق مما لايقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به مالايقدر على شيء منه (فإن قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ماثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الأجل الأول مابين أن يخلق إلى أن يموت والثانى مابين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الأول النوم والثانى الموت (فإن قلت) المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه فى قوله وأجل مسمى عنده (قلت) لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فإن قلت) الكلام السائر أن يقال عندى ثوب جيد ولى عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) أوجبه أن المعنى وأى أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (فى السموات) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله أوهو المعروف بالالهية أوالمتوحد بالالهية فيها أوهو الذى يقال له الله فيها لايشرك به فى هذا الاسم ويجوز أن يكون الله فى السموات خبراً بعد خبر على معنى أنه الله وأنه فى السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما لايخفى عليه منه شيء

يوجب دخوله فى حكمها ولو قال الحمد لله الذى ۞ الذين كفروا بربهم يعدلون لم يسند لخلو الجملة من العائد ويمكن أن يقال وضع الظاهر الذى هو ربهم موضع المضمر تفخيما وتعظيما وأصل الكلام الذى يعدل به الذين كفروا أو الذى الذين كفروا يعدلون به باتساع وقوعها صلة رعاية لهذا الأصل فهذا نظر من حيث الإعراب ونظيره قوله تعالى ۞ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ۞ فيمن جعل ما موصولة لاشرطية فإن دخول جاءكم ومابعده فى حكم الصلة يستدعى ضميراً عائداً إلى الموصول وهو مفقود لفظاً لأن الظاهر وضع فيه موضع المضمر والأصل ثم جاءكم رسول مصدق له فاستقام عطفه ودخوله فى حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقى فى آية الأنعام هذه نظر فى المعنى على الإعراب المذكور وهو أنه يصير التقدير الحمد لله الذى الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله أعلم عطفه على أول الكلام لاعلى الصلة والله الموفق ۞ قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده (قال إن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب الخ) قال أحمد وليس فى إرادة هذا المعنى موجب للتقديم وتدور دوعنده علم الساعة فى سياق التعظيم لها وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر فى قوله ۞ وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ۞ فالظاهر والله أعلم أن التقديم إنما كان لأن الكلام منقول من كلام آخر وكان الأصل والله أعلم ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده إذ كلاهما مقضى فلما عدل بالكلام عن العطف الافرادى تمييزا بين الأجلين رفع الثانى بالابتداء وأقر بمكانه من التقديم والله أعلم ۞ قوله وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون (قال فى السموات متعلق بمعنى اسم الله الخ) قال أحمد وما الآيتان الكريمتان إلا توأمتان فإن التمدح فى آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا من القدرة على الإعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد فى الالوهية وفى كونه تعالى المعبود فى السموات والأرض ۞ عاد كلامه (قال أوهو المعروف بالالوهية أوهو الذى يقال الله فيهما الخ) قال أحمد وهذه الوجوه كلها كأن التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك فى قوله ۞ أنا أبو النجم وشعرى شعرى ۞ أى المعروف المشهور لأنه بنى على أنه متى ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسج لاشتهاره بذلك فاقتصر على قوله شعرى اتكالا على فهم السامع ۞ قوله تعالى ۞ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ، فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَـٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٭ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَـٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ٭ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٭ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٭ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ٭

كأن ذاته فيهما ، (فإن قلت) كيف موقع قوله يعلم (سركم وجهركم) (قلت) إن أردت المتوحد بالالهية كان تقريراً له لأن الذى استوى فى علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت فى السموات خبراً بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أوخبر ثالث (ويعلم ماتكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ، من فى (من آية) للاستغراق وفى (من آيات ربهم) للتبعيض يعنى ومايظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لايلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق (لما جاءهم) يعنى القرآن الذى تحدوا به على تبالغهم فى الفصاحة فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشيء الذى (كانوا به يستهزؤن) وهو القرآن أى أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأى شيء استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أوعند ظهور الاسلام وعلو كلمته ، مكن له فى الأرض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله إنا مكنا له فى الأرض أولم نمكن لهم وأما مكنته فى الأرض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما فى قوله (مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم) والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ماأعطينا عاداً وثموداً وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب والسحاب أو المطر ، والمدرار المغزار ، (فإن قلت) أى فائدة فى ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على أنه لايتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فإنه قادر على أن ينشىء مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى : « ولا يخاف عقباها » (كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بأيديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (إن هذا إلا سحر مبين) تعنتا وعناداً للحق بعد ظهوره (لقضى الأمر) لقضى أمر إهلاكهم (ثم لاينظرون) بعد نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورته وهى آية لاشيء أبين منها وأيقن ثم لايؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما

الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين» (قال ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا الخ) قال أحمد والظاهر أن فائدة زيادة لمسوه بأيديهم تحقيق القراءة على قرب أى فقرؤه وهو فى أيديهم لابعيد عنهم لما آمنوا وإلا فالخط لايدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته إدراكه بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشرى ، قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون (قال يعنى لاينظرون بعد نزوله طرفة عين الخ) قال أحمد لايحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية فى نزول الملك فإنه ربما يفهم هذا الكلام أن الآيات التى لزمهم الإيمان بها دون نزول الملك فى الوضوح وليس الأمر كذلك فالوجه والله أعلم أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم إيمانهم أنهم اقترحوا مالا يتوقف وجوب الإيمان عليه إذ

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

لأنه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا فى صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعد مابين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الأنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ماهذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لأرسلناه فى صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعم الأحوال فى صورة دحية لأنهم لايبقون مع رؤية الملائكة فى صورهم (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك فى صورة إنسان هذا إنسان وليس بملك فإن قال لهم الدليل على أنى ملك أنى جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأنى ملك لابشر كذبوه كما كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل مايلبسون على أنفسهم الساعة فى كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهرى وللبسنا عليهم مايلبسون بالتشديد (ولقد استهزئ) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) بهم فأحاط بهم الشىء الذى كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به ۞ (فإن قلت) أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا (قلت) جعل النظر مسبباً عن السير فى قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله (سيروا فى الأرض ثم انظروا) فمعناه إباحة السير فى الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر فى آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد مابين الواجب والمباح (لمن ما فى السموات والأرض) سؤال تبكيت و(قل لله) تقرير لها أى هو الله لاخلاف بينى وبينكم ولاتقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أى أوجبها على ذاته فى هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض ۞ ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لايقدر على خلق شىء بقوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) فيجازيكم على إشراككم وقوله (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أو رفع أى أريد الذين خسروا أنفسهم أو

الذى يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزاً لاالمعجز الخاص فإذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ فى العناد المناسب لعدم النظرة والله أعلم عاد كلامه (قال) وإما لأنه يزول الاختيار الذى قاعدة التكليف مبنية عليه عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا الملك فى صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون (قال أحمد) ويقوى هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولايهلكوا من مشاهدة صورته ۞ عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعد مابين الأمرين قضاء الأمر الخ) قال أحمد وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته ۞ وقوله تعالى قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال إن قلت أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا الخ) قال أحمد وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير فى المكانين واجداً ليكون ذلك سبباً فى النظر فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببية وحيث دخلت ثم فللتنبيه على

(قوله جعل مسبباً عن السير) لعله جعل بالنظر مسبباً

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ

أنتم الذين خسروا أنفسهم * (فان قلت) كيف جعل عدم إيمانهم مسبباً عن خسرانهم والأمر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا أنفسهم فى علم الله لاختيارهم الكفر فهم لايؤمنون (وله) عطف على الله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديه بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان * أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذى هو أتخذ لأن الإنكار فى اتخاذ غير الله ولياً لا فى اتخاذ الولى فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون آلله أذن لكم * وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهرى فطر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت مافاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدعتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهرى أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر (أول من أسلم) لأن النبى سابق أمته فى الإسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) وقيل لى لا تكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك و(من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك إن أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه تريد فقد أتممت الإحسان اليه أو فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أى من يصرف الله عنه ذلك اليوم أى هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبىّ رضى الله عنه من يصرف الله عنه (وإن يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو (وإن يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل

أن النظر هو المقصود من السير وأن السير وسيلة اليه لاغير وشتان بين المقصود والوسيلة والله أعلم * قوله تعالى قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهى النجاة من النار الخ) قال أحمد وإنما يلجئ إلى تخصيص الرحمة إما بكونها العظمى وإما برحمة الثواب أنه لو بقيت على إطلاقها لما زاد الجزاء على الشرط من المعلوم ضرورة أن صرف العذاب رحمة ما والعجب أن الزمخشرى يصحح تخصيصها برحمة الثواب بأن صرف العذاب يستلزم الثواب ولابد وغيره يصحح هذا التخصيص بأنه لايلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب فأفاد الجزاء إذاً فائدة لم تفهم من الشرط هكذا صححه القونوى ولعمرى إن قاعدة المعتزلة تلجئ إلى ماذهب اليه الزمخشرى لانقسام المكلفين عندهم إلى مستوجب للجنة

أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ

شيء قدير) فكان قادرا على إدامته أو إزالته (فوق عباده) تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وإنا فوقهم قاهرون * الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال فى الله عز وجل شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالأجسام * وأراد أى شهيد (أكبر شهادة) فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ فى التعميم (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بينى وبينكم أى هو شهيد بينى وبينكم وأن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أى لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً صلى الله عليه وسلم (أئنكم لتشهدون) تقرير لهم مع إنكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحراً ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم (ويوم نحشرهم) ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذى هو داخل فى التخويف (أين شركاؤكم) أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان * وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم فى وقت التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم

فالعذاب قطعاً ويسندون ذلك إلى العقل لا إلى السمع * قوله تعالى «قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم» (قال الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال أحمد وتفسيره الشيء يخالف الفريقين الأشعرية فإنهم فسروه بالموجود ليس إلا والمعتزلة فانهم قالوا والمعلوم الذى يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما وأما هذا البحث فلغوى والتحاكم فيه لأهل اللغة وظاهر قولهم غضبت من لا شيء وإذا رأى غير شيء ظنه رجلا أن الشيء لا ينطلق إلا على الموجود إذ لو كان الشيء كل ما يصح أن يعلم عدما كان أو وجوداً أو ممكناً أو مستحيلا لما صدق على أمر ما أنه ليس بشيء والأمر فى ذلك قريب

أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ

وحسرتهم (فتنتهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة لأنه كذب ۞ وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وإنما أنث إن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة ۞ وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) أى يفترون إلهيته وشفاعته (فإن قلت) كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لاوجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يامالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ فى معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعنى فى الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ماهو عى وإفحام لأن المعنى الذى ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدرى مايصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا (ومنهم من يستمع إليك) حين تتلوا القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة مايقول محمد فقال والذى جعلها بيته يعنى الكعبة ما أدرى مايقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ماحدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إنى لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت ۞ والأكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لايزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو (حتى إذا جاؤك يجادلونك) هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤك فى محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (إن هذا إلا أساطير الأولين) فيجعلون

۞ قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال أحمد وفى الآية دليل بين على أن الإخبار بالشىء على خلاف ماهو به كذب وإن لم يعلم المخبر مخالفة خبره لمخبره ألا تراه جعل إخبارهم وتبريهم كذبا مع أنه تعالى أخبر أنهم ضل عنهم ما كانوا يفترون أى سلبوا علمه حينئذ دهشا وخبره فلم يرفع ذلك إطلاق الكذب عليهم ۞ قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا (قال الأكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه الآية حسبنا فى رد معتقد القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه وأنه لم يمنعهم من ذلك ومحال

إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۞ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا

كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهى الغاية فى التكذيب (وهم ينهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به (وينأون عنه) بأنفسهم فيضلون ويضلون (وإن يهلكون) بذلك (إلا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا إلى أبى طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۞ حتى أوسد فى التراب دفينا ۞ فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة
وابشر بذاك وقر منه عيونا ۞ ودعوتنى وزعمت أنك ناصح ۞ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لامحالة أنه ۞ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذارى سبة ۞ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فنزلت (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً (وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هى تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته ۞ وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (ياليتنا نرد) تم تمنيهم ثم ابتدؤا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا أعود بمعنى دعنى وأنا لا أعود تركتنى أو لم تتركنى ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمنى (فإن قلت) يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمنى لا يكون كاذبا (قلت) هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقنى مالا فأحسن اليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن فى معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقنى الله مالا كافأتك على الإحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمنى ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو فى المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه وقيل هو فى أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا)

على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه لأن ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادى عليهم بالخطأ إذ قوله أن يفقهوه معناه كراهة أن يفقهوه وبين الإرادة على زعمهم والكراهة على ما أنبأت عنه الآية بون بعيد والله الموفق ۞ قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمنى الخ) قال أحمد وكثيراً ما تتناوب صيغة التمنى والخبر ألا ترى إلى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين إلى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة إنما كانت تمنيا بصيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى فى آية أخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فهذا هو التمنى بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق

(قوله لأن المتمنى لا يكون كذبا) لعله التمنى أو لعله المتمنى لا يكون كاذبا

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۞ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وإنهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لايفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولوردوا لكفروا ولقالوا (إن هى إلا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وكنى به دليلا على كذبهم (وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعيين من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ماهو بحق وما هو إلا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه فى مواضع أخر و (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لاغاية له أى مازال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجىء الساعة (فإن قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعا فى أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات فقد قامت قيامته . أوجعل مجىء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة (فرطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا جىء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا فى شأنها وفى الإيمان بها كما تقول فرطت فى فلان ومنه فرطت فى جنب الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) كقوله فبما كسبت أيديكم لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدى (ساء مايزرون) بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم ۞ جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعنى ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وقوله للذين يتقون) دليل على أن ماعدا أعمال المتقين لعب ولهو ۞ وقرأ ابن عباس رضى الله عنه ولدار الآخرة ۞ وقرئ تعقلون بالتاء والياء ۞ قد فى (قد نعلم) بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله :

أخا ثقــة لا تهلك الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله

والهاء فى (إنه) ضمير الشأن (ليحزنك) قرئ بفتح الياء وضمها و (الذى يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لايكذبونك) قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا فى زعمه وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله

۞ قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد فى قد نعلم بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال أحمد ومثلها فى قوله وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فإنه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحجة فى جمعهم بين متناقضين أذيته ورسوخ علمهم برسالته والله أعلم ومنه أيضا قوله ۞ قد أترك القرن مصفرا أنامله ۞ والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيها على أنه بلغ الآية التى ما بعدها إلا الرجوع إلى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها ۞ عاد كلامه (قال وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه إلى قوله ولكن الظالمين الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من إقامة الظاهر مقام المضمر فنان من نكت البيان إحداهما

وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ

لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لايكذبونك فى الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وإنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ماهو أهمّ وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانونى وفى هذه الطريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لايكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فإنهم لايكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لايكذب فى شىء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول مانكذبك لأنك عندنا صادق وإنما نكذب ماجئتنا به وروى أنّ الأخنس بن شريق قال لأبى جهل ياأبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إنّ محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصىّ باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من إقامة الظاهر مقام المضمر الدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لايكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ماأهانوك ولكنهم أهانونى (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وإيذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين ۞ كان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك إنك لاتهدى من أحببت (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض) منفذا تنفذ فيه إلى ماتحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (أو سلما فى السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعنى أنك لاتستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يودأن يجابوا إليها لتمادى حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت ذلك فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق فى الأرض أو السلم فى السماء هو الاتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ماتحت الأرض أو الرقى إلى السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب أن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى

الإسهاب فى ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من حيث كونه ظاهراً حتى لو كان لقباً جامعاً والأخرى زيادة منه تؤكد ذمهم تفهم من اشتقاق الظاهر ۞ عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية الخ) قال أحمد رحمه الله ولادلالة فيه لأنه مؤتلف مع نفى التكذيب أيضاً وموقعه حينئذ من الفضيلة أبين أى هؤلاء لم يكذبوك فحقك أن تصبر عليهم ولا يحزنك أمرهم وإذا كان من قبلك من الأنبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فأنت إذ لم يكذبوك أجدر بالصبر فقد ائتلف كما ترى بالتفسيرين جميعاً ولكنه من غير الوجه الذى استدلّ به فيه تقريب لما اختاره وذلك أنّ مثل هذه التسلية قد وردت مصرحا بها فى نحو قوله وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من الأمم لأنبيائهم وماهو إلا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله أعلم ۞ قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

(قوله وهو استعظامك بجحود آيات الله) لعله لجحود

مِنَ الْجَـٰهِلِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۞ وَالَّذِينَ

فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لايفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ماهو خلافه (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعنى أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لايسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لاتسمع الموتى (والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذى يبعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم إليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لاتقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعنى الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل ۞ وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقى وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ماأنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شىء من الآيات عنادا منهم (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بنى إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها (أمم أمثالكم) مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم (مافرطنا) ماتركنا وما أغفلنا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (من شىء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ماوجب أن يثبت مما يختص به (ثم إلى ربهم يحشرون) يعنى الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء ۞ (فإن قلت) كيف قيل إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر (قلت) لما كان قوله تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى (فإن قلت) هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله فى الأرض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط

(قال بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لايفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ماهو خلافه) قال أحمد وهذه الآية أيضا كافلة بالرد على القدرية فى زعمهم أن الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن ألا ترى أن الجملة مصدرة بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع اجتماعهم على الهدى إذاً إنما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشرى يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لايكون الإيمان معها اختيارا حتى يتم له أن هذا الوجه من المشيئة لم يقع وإن مشيئة اجتماعهم على الهدى على اختيار منهم ثابتة غير ممتنعة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياه ومكامنه فاحذرها والله الموفق ۞ قوله تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء (قال إن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الخ) قال أحمد ولم يبين وجه زيادتها للتعميم ولقائل أن يقول يلزم من العموم فى أجناس الطير دخول كل طائر فى الجو فى العموم وإن لم يذكر فى الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب فى سائر أصنافها أن يندرج فى ذلك كل دابة فى الأرضين وإن لم يذكر فى الأرض فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول ۰وقع قوله فى الأرض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام

(قوله إلى استماعهم) لعله أسماعهم

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

فى جميع الأرضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع مايطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (فإن قلت) فما الغرض فى ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها لايشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان ۞ وقرأ ابن أبى عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل ومادابة ولاطائر ۞ وقرأ علقمة مافرطنا بالتخفيف ۞ (فإن قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته مايشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال والمكذبون (صم) لايسمعون كلام المنبه (بكم) لاينطقون بالحق خابطون فى ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع (من يشأ الله يضلله) أى يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أى يلطف به لأن اللطف يجدى عليه (أرأيتكم) أخبرونى والضمير الثانى لامحل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيداً ماشأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيداً ماشأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله (أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (بل إياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ماتدعون اليه) أى ماتدعونه إلى كشفه (إن شاء) إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وتنسون ماتشركون) وتتركون آلهتكم أولا تذكرونها فى ذلك الوقت لأن أذهانكم فى ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل

عامة ضرورة المطابقة فكأنه مع زيادة الصفة تظافرت صفتان عامتان والله أعلم ۞ قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلطف به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعا لمعتقده الفاسد فى أن الله تعالى لايخلق الهدى ولا الضلال وأنهما من جملة مخلوقات العباد وكم تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق ۞ قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لايدع أن يحجر واسعا فيوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والأصلح عاد كلامه قال وتنسون ماتشركون أى وتتركون آلهتكم الخ) قال أحمد وإنما يأتى الاختصاص حيث يقول معناه أتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل فى قوله أغير الله تدعون وقوله بل إياه تدعون وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى إياك نعبد فى قوة قولك لانعبد إلا إياك وقد مضى الكلام عليه ۞ عاد كلامه (قال ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون الخ)

(قوله إيذانا بأنهم من أهل الطبع) أى الختم على القلوب وقوله أى يخذله الخ فسر الإضلال بذلك لأنه تعالى لايخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلق الشر كالخير فالإضلال على ظاهره عندهم بمعنى خلق الضلال فى القلب
(قوله تقول أرأيتك نفسك) لعله أرأيت نفسك الخ

لعلهم يتضرعون ۞ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ۞ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ۞ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۞ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ۞ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ۞ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين

أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله ۞ فإن (قلت) إن علقت الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ماتدعون اليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لاتكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط فى الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيذانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لايفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه ۞ البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الأموال والأنفس والمعنى ولقد أرسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أى تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتى الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولاتصد لتوبة واعتذار (أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) واجمون متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم (والحمد لله رب العالمين) إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم ۞ وقرئ فتحنا بالتشديد (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطى عليها مايذهب عنده فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) أى يأتيكم بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها ۞ لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل (بغتة أو جهرة) وعن الحسن ليلا أو نهاراً وقرئ بغتة أو جهرة (هل يهلك) أى مايهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون ۞ وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين)

قال أحمد ولقد سدد النظر لولا أنه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وأن مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفا فاحذره وعليك بما سواه فإنه من بديع النظر والله الموفق ۞ قوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيرها قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فيمن وقف ههنا وجعل الحمد على إهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلا بما بعده من إقامة البراهين على وحدانية

(قوله واجمون متحسرون) فى الصحاح الواجم الذى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام (قوله قد استؤصلت شأفتهم) قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب ثم ضربت مثلا فى الاستئصال أفاده الصحاح (قوله قيل بغتة أو جهرة) قوله بغتة أو جهرة كذا فى أبى السعود والبيضاوى وفى بعض نسخ هذا الكتاب بغتة أو جهرة وكتب عليه أى بتحريك الغين والهاء اه

فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۞ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن

من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة (وأصلح) مايجب عليه إصلاحه مما كلف ۞ جعل العذاب ماسا كأنه حىّ يفعل بهم مايريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً ۞ أى لاأدعى مايستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهى قسمه بين الخلق وإرزاقه وعلم الغيب وأنى من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أى لم أدع إلهية ولا ملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواى وتستنكرونها وإنما أدعى ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة (هل يستوى الأعمى والبصير) مثل للضالّ والمهتدى ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع مايوحى اليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى

الله تعالى وأنه جل جلاله خير مما يشركون فعلى الأول يكون الحمد حتما على الثانى فاتحة وهو مستعمل فيهما شرعا ولكنه فى آية النمل أظهر فى كونه مفتتحاً لما بعده وفى آية الأنعام ختم لما تقدمه حتما إذ لا يقتضى السياق غير ذلك والله أعلم ۞ قوله تعالى قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولاأقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون الآية (قال أى لاأدعى مايستبعد فى العقول الخ) قال أحمد رحمه الله هو ينبنى على القاعدة المتقدمة له فى تفضيل الملائكة على الأنبياء ولعمرى أن ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك انتهز الفرصة فى الاستدلال بها ولمخالفه أن يقول إنما وردت الآية رداً على الكفار فى قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز الآية فرد قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام بأنه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع أنه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام وحينئذ لايلزم منها تفضيل الملائكة على الأنبياء لأنه لاخلاف أن الأنبياء يأكلون الطعام وأن الملائكة ليسوا كذلك فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها ولا يوجب ذلك اتفاقا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء وكذلك رد قولهم أو يلقى إليه كنز بأنه لايملك خزائن الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به وهذه الآية جاء الترتيب فيها مخالفاً لترتيب قوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشرى لأنهم أعلى من الأنبياء وقد أخر ههنا دعوى الملكية عن دعوى الإلهية إذ الإلهية أجلّ وأعلى والملكية أدنى ولا محل لذلك إلا التمهيد الذى أسلفته وقد جعلت الأمر فى التقديم والتأخير تبعا للسياق فقد تقتضى البلاغة فى بعضه عكس ما تقتضيه فى الآخر ولم يحسن الزمخشرى فى قوله ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة فإنه جعل الإلهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الإطلاق لايسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذى ينزل الله فيه العبد من علو وغيره فإطلاقها على الإلهية تحريف والله الموفق للصواب ۞ عاد كلامه (قال والأعمى والبصير مثل للضالّ والمهتدى الخ) قال أحمد قوله او ادعى المحال يعنى المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن وذلك مسبب عن دعوى الإلهية إذا دعاؤها لايجوز عقلا وأما مدعى الملكية فلا يقاس بمدعى الإلهية فى الاستحالة العقلية ويجوز فى القدرة أن يجعل البشر ملكا والملك بشراً كما يجوز أن يجعل البشر أنبياء ويدلّ على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا مع أن العقل يجيزه فى قدرة الله تعالى لأن الجواهر متماثلة والمعانى القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها

(قوله لقيت منه الأمرين والأقورين) الأمرين بنون الجمع الدواهى والأقورين بكسر الراء الدواهى العظام كذا فى الصحاح (قوله من الملائكة الذين هم أشرف جنس) أى عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالبشر أشرف على ما تقرر فى التوحيد

دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أنى ماادعيت مالايليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع مايوحى إلى مما لابد لى منه (فان قلت) أعلم الغيب ما محله من الإعراب (قلت) النصب عطفاً على قوله عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لاأقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأنذر به) الضمير راجع إلى قوله مايوحى إلى و (الذين يخافون أن يحشروا) إما قوم داخلون فى الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون فى العمل فينذرهم بمايوحى إليه (لعلهم يتقون) أى يدخلون فى زمرة المتقين من المسلمين وإما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء ۞ وقوله ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال ۞ ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم وأن لايطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها ۞ والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالإخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روى أن رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ماأنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت فقال نعم طمعاً فى إيمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى مايصيرون قال فاكتب بذلك كتابا فدعا بصحيفة وبعلى رضى الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدمعنا ويدنو مناحتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذى

فالمعانى التى بها كان الملك ملكا يجوز أن يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لايأبى استقامته وإمكانه والله الموفق ۞ قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع لعلهم يتقون (قال الذين يخافون إما قوم آمنوا إلا أنهم مفرطون الخ) قال أحمد وإنما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وأنذر به الذين يحشرون لأنه لولا الحال لعمّ الأمر بالإنذار كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم فهذا الكلام مستقل برأسه ومضمونه تخصيص الإنذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث إما لأنهم مقرون به وإما لأنهم يحتاطون لأنفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضى إلى اليقين دون العتاة المصممين على الجحد وليس كل خائف من البعث لاشفيع له فإن الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وإن عنى باللازمة التى لاينفك ذو الحال عنها كالتى فى قوله وهو الحق مصدقا فإنما هو حينئذ يبنى على قاعدته فى إنكار الشفاعة فكل خائف عنده لاشفيع له إذ لايخاف إلا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار والكل عنده سواء لاشفيع لهم وحيث أثبتت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها إلا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على مايرضيه فهذا عنده لايخاف من البعث لأنه يستوجب الجنة فمن ثمّ جعل الحال لازمة إذ الناس قسمان غير خائف فلا تتناوله الآية وخائف فذاك إنما خاف لأنه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دفائنه الخفية ومكامنه المزوية فتفطن لها والله الموفق برحمته

مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ

لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات (وما عليك من حسابهم من شىء) كقوله إن حسابهم إلا على ربى وذلك أنهم طعنوا فى دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شىء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله فى أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضى فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شىء حتى ضم إليه (وما من حسابك عليهم من شىء) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى فى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم * وقرئ بالغدوة والعشى (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أى ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين (أهؤلاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أى أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقى الذكر عليه من بيننا لو كان خيراً ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله اليهم وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم * وقرئ إنه فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (أنه من عمل منكم) وبالفتح على الابدال من الرحمة (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدى إلى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثانى أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شىء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت فى عمر رضى الله عنه حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة * وقرئ (ولتستبين) بالتاء والياء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الأمر

(قوله والاتسام بسيمة) لعله بسمة (قوله ليقولوا ذلك خذلناهم) فسر بهذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر وعند أهل السنة يخلق الشر كالخير

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۞ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ

وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لايرجى إسلامه ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذى يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل فى الاسلام إلا أنه لايحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فنعامل كلامنهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بما ركب فى من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبارة ماتعبدون (من دون الله) وفيه استجهالهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة (قل لاأتبع أهواءكم) أى لاأجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل (قد ضللت إذا) أى إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وماأنا من الهدى فى شىء يعنى أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على مايجب اتباعه بقوله (قل إنى على بينة من ربى) ومعنى قوله إنى على بينة من ربى وكذبتم به إنى من معرفة ربى وأنه لامعبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتم به) أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أناعلى بينة من هذا الأمر وأناعلى يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل ۞ ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ماعندى ماتستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (إن الحكم إلا لله) فى تأخير عذابكم (يقض الحق) أى القضاء الحق فى كل مايقضى من التأخير والتعجيل فى أقسامه (وهو خير الفاصلين) أى القاضين وقرئ يقص الحق أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره (لو أن عندى) أى فى قدرتى وإمكانى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الأمر بينى وبينكم) لأهلكتكم عاجلا غضبا لربى وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب فى الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهى القرآن وكذبتم به أى بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن ۞ (فإن قلت) بم انتصب الحق (قلت) بأنه صفة لمصدر يقضى أى يقضى القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبدالله يقضى بالحق (فإن قلت) لم أسقطت الياء فى الخط (قلت) اتباعا للخط اللفظ وسقوطها فى اللفظ لالتقاء الساكنين ۞ جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى مافى المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل

۞ (قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ۞ (قال المفاتح استعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى مافى المخازن الخ) قال أحمد إطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا فإنه يوهم تجدد وصول بعد تباعد إذ قول القائل توصل زيد إلى كذا يفهم أنه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر فى علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لايتغاير ولا يختلف وليس لنا أن نطلق مثل هذا الإطلاق إلا عن ثبت والله الموفق ۞ عاد كلامه

(قوله بأن يغافصوا بالعذاب) يغافصوا يؤخذوا على غفلة يقال غافصت الرجل أخذته على غرة اه (قوله وقرئ يقص الحق) ظاهره أن قراءة يقض من القضاء هى المشهورة فليحرر (قوله وامتعاضا من تكذيبكم) الامتعاض اشتداد الغضب أفاده الصحاح

مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۞ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۞ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞

إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لايتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما فى المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هى جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ۞ ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها كأنه قيل وما يسقط من شىء من هذه الأشياء إلا يعلمه وقوله (إلا فى كتاب مبين) كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح ۞ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره إلا فى كتاب مبين كقولك لارجل منهم ولا امرأة إلا فى الدار (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة أى أنتم منسدحون الليل كله كالجيف (ويعلم ماجرحتم بالنهار) ماكسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتنى فتقول فى أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الأجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم (ثم إليه مرجعكم) وهو المرجع إلى موقف الحساب (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فى ليلكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبى حاتم السجستانى أنه كان يكتب عن الأصمعى كل شىء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فإن قلت) الله تعالى غنى بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الأشهاد فى مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم فى كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه و (يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالتفريط التوانى والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أى لاينقصون مما أمروا به أولا يزيدون فيه (ثم ردوا إلى الله) أى إلى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لايحكم إلا بالحق (ألا له الحكم) يومئذ لاحكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لايشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب

(قال ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لأنه لما عطف على ورقة بعد أن سلف الإيجاب المقصود للعلم فى قوله إلا يعلمها وكانت

(قوله منسدحون الليل كله) منسدحون منسطحون على القفا أو منقلبون على الوجه أفاده الصحاح (قوله دعوتنى فتقول فى أمر كذا) لعله فيقول

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۞ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ

أى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد مايشفون عليه من الخسف فى البر والغرق فى البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (لئن أنجيتنا) على إرادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة ۞ وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذى عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان (أومن تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة ۞ حتى إذا التبست نفضت لها يدى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل أن فناء أمتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أومن تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة ۞ والضمير فى قوله (وكذب به) راجع إلى العذاب (هو الحق) أى لابد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل إلى أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً إنما أنا منذر (لكل نبأ) لكل شىء ينبأ به يعنى إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لابد منه وقيل الضمير فى به للقرآن (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) فلا بأس أن تجالسهم حينئذ (وإما ينسينك الشيطان) وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد) معهم (بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى ۞ وقرئ ينسينك

هذه المعطوفات داخلة فى إيجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالإيجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة فى القرآن التجديد بعبارة أخرى ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير وهذا السر إنما ينقب عنه المسيطر فى علم البيان ونكت اللبان والله الموفق ۞ قوله تعالى «وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» (قال محمود معناه وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الثانى يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وأنه كاف وإن لم يرد شرع فى التحريم وغيره من الأحكام إذا كانت واضحة للعقل كمجالسته المستهزئين فإن قبحها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومبنية عليه لامنشئ فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على أن الآية تنبو عنه

(قوله أن يراد مايشفون عليه) أى يشرفون ويقربون أفاده الصحاح

يَتَّقُونَ ۞ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا

بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير الذين يتقون أى يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم (فإن قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز أن يكون نصباً على ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل من شىء كقولك ما فى الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من حسابهم يأبى ذلك (اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) أى دينهم الذى كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهوا وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها ديناً لهم أو اتخذوا دينهم الذى كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعباً ولهواً حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ۞ ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) أى بالقرآن (أن تبسل نفس) مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال

وأبسالى بنىّ بغير جرم ۞ بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل أى حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادى يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه (أولئك)

فإنه لو كان النسيان المراد ههنا نسيان الحكم الذى يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهى لما عبر بالمستقبل فى قوله « وإما ينسينك » فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضى والله الموفق ۞ قوله تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وإن تفد كل فداء والعدل والفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من عيون إعرابه ونكت إغرابه التى طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تدقيقه فى منع عود الضمير من قوله فننفخ فيها إلى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع أنه السابق إلى الذهن وإنما حمله على القول بأن العدل ههنا مصدر إن الفعل تعدى إليه بغير واسطة ولو كان المراد المفدى به لكان مفعولا به فلم يتعد إليه الفعل إلا بالباء وكان وجه الكلام وإن تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم أنه مصدر والله أعلم

(قوله كان الشيطان ينسينك قبل النهى) بناء على أن هناك حكما قبل الشرع وهو مذهب المعتزلة ولا حكم قبل الشرع عند أهل السنة (قوله بغير جرم بعوناه) أى جنيناه وفى الصحاح البعو الجناية والجرم

لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۞ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

إشارة إلى المتخذين دينهم لعباً ولهواً ۞ قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبدالرحمن إلى عبادة الأوثان (قل أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع مالا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن والغيلان (فى الأرض) المهمه (حيران) تائهاً ضالا عن الجادة لايدرى كيف يصنع (له) أى لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه إلى الهدى) إلى أن يهدوه الطريق المستوى أو سمى الطريق المستقيم بالهدى ۞ يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعاً للجن لايجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنى على ماتزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوى الإنسان والغيلان تستولى عليه كقوله كالذى يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم (قل إن هدى الله) وهو الإسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال وغى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فماذا بعد الحق إلا الضلال ۞ (فان قلت) فما محل الكاف فى قوله كالذى استهوته (قلت) النصب على الحال من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أننكص مشبهين من استهوته الشياطين ۞ (فان قلت) مامعنى استهوته (قلت) هو استفعال من هوى فى الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه ۞ (فإن قلت) ما محل (أمرنا) (قلت) النصب عطفاً على محل قوله إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم (فإن قلت) مامعنى اللام فى (لنسلم) (قلت) هى تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم (فإن قلت) فإذا كان هذا واردا فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فكيف

۞ قوله تعالى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون (قال نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان الخ) قال أحمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الأناسى بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما فهو ممن استهوته الشياطين فى مهامه الضلال الفلسفى حيران له أصحاب من الموحدين يدعونه إلى الهدى الشرعى ائتنا وهو راكب فى ضلالة التعاسيف لايلوى عليهم ولا يلتفت إليهم فمرة يقول إن الوارد فى الشرع من ذلك تخييل كما تقدم فى سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا ذلك فى البقرة وآل عمران قولا شافياً بليغا فجدد به عهداً والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت إذا كان هذا وارداً فى أبى بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعوا من دون الله الخ) قال أحمد هو مبنى على أن الأمر هو الإرادة أو من لوازمه إرادة المأمور به وهذا الإعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت أن الأمر عندهم غير الإرادة ولا يستلزمها وقولهم فى هذه اللام كقولهم فى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون من نفى كونها تعليلا والوجه فى ذلك أنهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الإسلام والعبادة امتثالا الأمر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكيناً لحضهم على الامتثال ولقطع أعذارهم إذا فعل بهم فعل المراد منهم ذلك ومن شأن المريد للشىء إذا كان قادراً على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وإن لم تكن

(قوله فى الأرض المهمه) أى المفازة المتسعة أفاده الصحاح

تحشرون ﴿ وهو الذى خلق السموت والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهدة وهو الحكيم الخبير ﴿ وإذ قال إبرهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما ءالهة إنى أرىك وقومك فى ضلل مبين ﴿ وكذلك نرى إبرهيم ملكوت السموت والأرض وليكون من

قيل الرسول عليه الصلاة والسلام قل أدعو (قلت) للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق أبى بكر رضى الله تعالى عنه ﴿ (فإن قلت) علام عطف قوله (وأن أقيموا) (قلت) على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أى للاسلام ولإقامة الصلاة (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقراء كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خالق السموات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الأشياء كن فيكون ذلك الشىء قوله الحق والحكمة أى لايكون شيأ من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب و(يوم ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم لمحذوف دلّ عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبى إبراهيم عليه السلام وفى كتب التواريخ أنّ اسمه بالسريانية تارح والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وماأشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين

أدعى بأسماء نبزا فى قبائلها ﴿ كأن أسماء أضحت بعد أسمائى

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ﴿ وقرئ ءازر تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال تتخذ أصناما

الطاعة مرادة من جميعهم وأما إذا كانت اللام هى التى تصحب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الأمر للإسلام وكذلك يقول فى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الإرادة للبيان وهى اللام التى تصحب المفعول عند تقدمه فى قولك لزيد ضربت فهى على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل وقد قيل إنها بمعنى أن كأنه قيل وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل وكى ولام كى فى أمرت وأردت خاصة بمعنى أن لا على بابها من التعليل والغرض من دخولها إفادة الاستقبال على وجه أوثق وأبلغ إذ لايتعلق هذان المعنيان أعنى الأمر والإرادة إلا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكى وأن فى قوله أردت لكيما أن يطير « البيت » وهذا الوجه أيضاً سالم المعنى من الخلل الذى يعتقده الزمخشرى والمحافظة على العقيدة وقد وجدنا السبيل إلى ذلك بحمد الله متعينة والله الموفق ﴿ عاد كلامه (قال فإن قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ) قال أحمد وهذا مصداق للقول بأن لنسلم معناه أن تسلم وأن اللام فيه رديفة أن لإيراد عطفها عليها فذلك هو الوجه الصحيح إن شاء الله وفى ورود أقيموا الصلاة محكيا بصيغته وورود نسلم محكيا بمعناه إذ الأصل المطابق لأقيموا أسلموا مصداق لما قدمته عند قوله تعالى « ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم » وبينت ثم أنّ ذلك جائز على أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى اعبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال اعبدوا الله ربى وربكم فهذا مثله فى حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم

(قوله وانتصاب اليوم لمحذوف) لعله بمحذوف

الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ

آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الإنكار لأنه كالبيان له (فلما جنّ عليه الليل) عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك نرى إبراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ۝ ملكوت السموات والأرض يعنى الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال ۝ وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطإ فى دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيأ منها لايصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبر دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها (هذا ربى) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنّ ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لاأحب الآفلين) لاأحب عبادة الأرباب المتغيرين على حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإنّ ذلك من صفات الأجرام (بازغا) مبتدئا فى الطلوع (لئن لم يهدنى ربى) تنبيه لقومه على أنّ من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكوكب فى الأفول فهو ضال وأنّ الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه (إنى برىء مما تشركون) من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) أى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن لم يهدنى ربى وقوله ياقوم إنى برىء مما تشركون (فإن

۝ قوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا الآية، قال قوله فلما جنّ عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه الخ) قال أحمد وفى الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال إبراهيم عليه السلام وأنه تبصير له من الله تعالى وتسديد به عاد كلامه (قال وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله أولا لاأحب الآفلين وإنما ترقى إلى ذلك لأنّ الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الأول حجة فأنسوا بالقدح فى معتقدهم ولو قيل هذا فى الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال فاعرض صلوات الله عليه بأنهم فى ضلالة إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم إلى آخره والدليل على ذلك أنه ترقى فى النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال وقوله هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضاً مع الخصوم الخ) قال أحمد وصدق الزمخشرى بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد فى الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسى نفسى لاأسأل أحداً غيرى ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد قوله لسارة هى أختى وإنما عنى فى الإسلام وقوله إنه سقيم وإنما عنى همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض فإذا عدّ صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها دلّ ذلك على أنها أعظم ماصدر منه فلو كان الأمر على مايقال من أنّ هذا الكلام محكى عنه على أنه نظر لنفسه لكان أولى أن يعده

مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَـدُونَ ۞ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ

قلت) لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال (قلت) الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب (فإن قلت) ماوجه التذكير فى قوله هذا ربى والإشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ماجاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألاتراهم قالوا فى صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث ۞ وقرىء ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله) وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعنى إلى التوحيد (ولا أخاف ماتشركون به) وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء (إلا أن يشاء ربى شيئاً) إلاوقت مشيئة ربى شيئاً يخاف فحذف الوقت يعنى لاأخاف معبوداتكم فى وقت قط لأنها لاتقدر على منفعة ولامضرة إلاإذا شاء ربى أن يصيبنى بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمنى بكوكب أو بشقة من الشمس أوالقمر أو يجعلها قادرة على مضرتى (وسع ربى كل شيء علما) أى ليس بعجب ولامستبعد أن يكون فى علمه إنزال المخوف بى من جهتها (أفلاتتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف) لتخويفكم شيئاً مأمون الخوف لايتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لاتخافون) مايتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله مالم ينزل باشراكه (سلطانا) أى حجة لأن الاشراك لايصح أن يكون عليه حجة كأنه قال ومالكم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن ولاتنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف ۞ ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازاً من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله (فأى الفريقين) يعنى فريقى المشركين والموحدين ۞ ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه

وأعظم مما ذكرناه لأنه حينئذ يكون شكا بل جزما على أن الصحيح أن الأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال الخ) قال أحمد وهذه أيضاً من عيون نكته ووجوه حسناته ۞ قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ماأشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون (قال إلا أن يشاء معناه إلاوقت مشيئة ربى شيئاً فحذف الوقت الخ) قال أحمد هو بمعنى يجعلها قادرة على أن المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة لمن يريد بناء على قاعدته وقدعلمت أن عقيدة أهل السنة أن ذلك لايجوز عقلا أن يخلق غير الله ولايقدر قدرة مؤثرة فى المقدور إلاهو وإن كان الزمخشرى لم يصرح ههنا من عقيدته فإنما يعنى حيث يصرح أو يكنى مايلائمها ويتنزل عليها وغاية خوف إبراهيم منها المعلق على مشيئة الله لذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لابها وكأنه فى الحقيقة لم يخف إلا من الله لأن الخوف الذى أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كلا خوف منها والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال ومعنى وكيف أخاف ماأشركتم الخ مالكم تنكرون على الأمن الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون العدول إلى ذلك ليعم بالأمن كل موحد بالخوف كل مشرك ويندرج هو فى حكم الموحدين وقومه فى حكم المشركين وأحسن الجواب ماأفاد وزاد (قال والمراد بقوله ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال أحمد وقد ورد أن الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا

قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ

من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ۝ ومعنى (آتيناها) أرشدناه اليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى فى العلم والحكمة وقرئ بالتنوين (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لإبراهيم و (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفاً على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس «لئن أشركت ليحبطن عملك» (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فإن يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادّعى الأنصار أنهم هم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشىء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ۝ والباء فى بها صلة كافرين ۝ وفى بكافرين تأكيد النفى ۝ فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهم طريقتهم فى الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن إيثارا لوقف لثبات الهاء فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحى إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة ۝ والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة فى إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لابد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم

أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام إنما هو الظلم فى قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم وإنما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده فى وجوب وعيد العصاة وأنهم لاحظ لهم فى الأمن كالكفار ويجعل هذه الآية تقتضى تخصيص الأمن بالجامعين الأمرين الإيمان والبراءة من المعاصى ونحن نسلم ذلك ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف اللاحق للكفار لأن العصاة من المؤمنين إنما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه ما والله الموفق ۝ قوله تعالى «قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً (قال وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وإن نعى عليهم الخ) قال أحمد وهذا أيضا من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتعمق فى آثار معادنه وإبراز محاسنه

قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۞ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء. وروى أنّ مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أنّ الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ماهذا الذى بلغنا عنك قال إنه أغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود أى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى اليه مالم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم تعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى: «لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم» (قل الله) أى أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة ۞ ويقال لمن كان فى عمل لا يجدى عليه إنما أنت لاعب و (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على مادلّ عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ماتقدمه من الكتب والإنذار وقرئ ولينذر بالياء والتاء ۞ وسميت مكة (أم القرى) لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين

فمن يلق فى بعض القريات رحله ۞ فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدّقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) بهذا الكتاب وذلك أنّ أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ۞ وخصّ الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفاً فى المحافظة على أخواتها (افترى على الله كذبا) فزعم أنّ الله بعثه نبياً (أو قال أوحى إلىّ ولم يوح اليه شيء) وهو مسيلمة الحنفى الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الله إلى أن انفخهما فنفختهما فطارا عنى فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله ﷺ فكان إذا أملى عليه سميعاً عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفوراً رحيما فلما نزلت «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمداً صادقا لقد أوحى إلى مثل ماأوحى اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزؤن (ولو ترى) جوابه محذوف أى لرأيت أمراً عظيما (إذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله ۞ وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة مايغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد فى الارهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المساط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إلى مالى عليك الساعة ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) خلصوها من أيدينا أى لاتقدرون على الخلاص (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة ۞ والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم وماحرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التى زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله (كما خلقناكم أول مرة) على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ماخولناكم) ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء) فى استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفى استعبادهم ۞ وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فإن قلت) كما خلقناكم فى أى محل هو (قلت) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل خلقنا لكم (تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفى قراءة عبدالله لقد تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحى من الميت) أى الحيوان والنامى من النطف والبيض والحب والنوى (ومخرج) هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامى ۞ (فإن قلت) كيف قال مخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت (قلت) عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب

قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة مايغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة الخ) قال أحمد هو يحمله من مجاز التمثيل ولاحاجة إلى ذلك والظاهر أنهم يفعلون معهم هذه الامور حقيقة على الصور المحكية وإذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها ۞ عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ) قال أحمد ومثله ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ۞ قوله تعالى إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير العزيز

(قوله ولا أريم مكانى) أى أبرح وفى الصحاح رامه يريمه أى برحه (قوله نريد أوقع بينهما على إسناد) لعله أوقع الجمع بينهما

والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأنّ النامى فى حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيى الأرض بعد موتها (ذلكم الله) أى ذلكم المحيي والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره (الاصباح) مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبنى رياح * تناسخ الامساء والإصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فإن قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق عن الصبح كما قال

تردت به ثم انفرى عن أديمها * تفرى ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثانى أن يراد فالق الإصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائى

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

* وقرئ فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرأ النخعى فلق الإصباح وجعل الليل * السكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل (فإن قلت) كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأنّ اسم الفاعل المضاف إليه فى معنى المضى ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس (قلت) ما هو فى معنى المضى وإنما هو دال على جعل مستمر فى الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق

العليم (قال معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ورد جميعا بصيغة الفعل كثيرا فى قوله يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحى فعطف أحد القسمين على الآخر كثيرا دليل على أنهما توأمان مقترنان وذلك يبعد قطعه عنه فى آية الأنعام هذه وروده إلى فالق الحب والنوى فالوجه والله أعلم أن يقال كان الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل أسوة أمثاله من الصفات المذكورة فى هذه الآية من قوله فالق الحب وفالق الإصباح وجاعل الليل ومخرج الحيّ من الميت إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع فى هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحيّ من الميت إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن فى أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضى وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فعدل عن الماضى المطابق لقوله أنزل لهذا المعنى ومنه ما فى قوله

إنى قد لقيت الغول تسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران

فعدل إلى المضارع إرادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع ومنه إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وإن كان مطابقا لمحشورة بهذا السبب والله أعلم ثم هذا المقصد إنما يجيء فيما تكون العناية به أقوى ولا شك أن إخراج الحيّ من الميت أشهر فى القدرة من عكسه وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو إخراج الميت من الحيّ ناشئ عنه فكان الأول جديرا بالتصدير والتأكيد فى النفس ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر فى الذكر على حسب ترتيبهما فى الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه أنّ اسم الفاعل فى معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح فى عطفه عليه والله أعلم * عاد كلامه (قال فإن قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة وهى التى تنفلق الخ) قال أحمد وقيل الخالق والفالق بمعنى فيكون المراد خالق الإصباح والأظهر ما فسره عليه المصنف والله أعلم * قوله تعالى

(قوله لاستراحته فيه وجمامه) أى راحته من التعب وفى الصحاح الجمام بالفتح الراحة

حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) إشارة إلى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ۞ من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدراً ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع ۞ (فإن قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر إنشاء بنى آدم (قلت) كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً فكان ذكر الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شىء) نبت كل صنف

وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال إن قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحمد لايتحقق هذا التفاوت ولاسبيل إلى الحقيقة وماهذا الجواب الإصناعى والتحقيق أنه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبيها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين فى اللفظ لما فى ذلك من التكرار فعدل إلى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم واتساقا فى البلاغة ويحتمل وجها آخر فى تخصيص الأولى بالعلم والثانية بالفقه وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لايتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها إذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية فى تدبيره لها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر فى إنشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم فى أطوار مختلفة وأحوال متغايرة فإنه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فإذا تمهد ذلك فجهل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها وتقلبها فلما كان الفقه أدنى درجات العلم إذ هو عبارة عن الفهم نفى من أبشع القبيلين جهلا وهم الذين لايتبصرون فى أنفسهم ونفى الأدنى أبشع من نفى الأعلى درجة فخص به أسوأ الفريقين حالا ويفقهون ههنا مضارع فقه الشىء بكسر القاف إذا فهمه ولو أدنى فهم وليس من فقه بضم القاف لأن تلك درجة خالية ومعناه صار فقيها قاله الهروى فى معرض الاستدلال على أن فقه أنزل من علم وفى حديث سلمان أنه قال وقد سألته امرأة جاءته فقهت أى فهمت كالمتعجب من فهم المرأة عنه وإذا قيل فلان لايفقه شيئا كان أذم فى العرف من قولك فلان لايعلم شيئا وكان معنى قولك لايفقه شيئا ليست له أهلية الفهم وإن فهم وأما قولك لايعلم شيئا فغايته نفى حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم والذى يدل على أن التارك للفكرة فى نفسه أجهل وأسوأ حالا من التارك للفكرة فى غير قوله تعالى وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون فخص التبصر فى النفس بعد اندراجها فيما فى الأرض من الآيات وأنكر على من لايتبصر فى نفسه إنكاراً مستأنفا وقولنا فى إدراج الكلام أنه نفى العلم عن أحد الفريقين ونفى الفقه عن الآخر يعنى بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه والله الموفق فتأمل هذا الفصل وإن طال بعض الطول فالنظر فى الحسن غير مملول

يفقهون ۝ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشبه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لأيت لقوم يؤمنون ۝ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنت بغير علم سبحنه وتعلى عما يصفون ۝ بديع السموت والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن

من أصناف النامى يعنى أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيئاً غضاً أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و (قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على أنه اسم جمع كركب لأن فعلان ليس من زيادة التكسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشىء الدانى القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتى بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله (وجنات من أعناب) فيه وجهان أحدهما أى يراد وثم جنات من أعناب أى مع النخل والثانى أن يعطف على قنوان معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أى من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفاً على نبات كل شىء أى وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله ۝ كنت منه ووالدى بريا ۝ والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الإهمال (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفاً لا يكاد ينتفع به ۝ وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئاً جامعاً للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعاً وينعاً وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بالضم ۝ أن جعلت (لله شركاء) مفعولى جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وأن جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول (فإن قلت) فما فائدة التقديم (قلت) فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء ۝ وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة التى للتبيين والمعنى أشركوهم فى عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أى اختلاقهم الإفك يعنى وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله فى قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له) وخلقوا له أى افتعلوا له (بنين وبنات) وهو قول أهل الكتابين فى المسيح وعزير وقول قريش فى الملائكة يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه أى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا له أولاداً لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل (بغير علم) من غير

لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا

أن يعلموا حقيقة ماقالوه من خطأ أو صواب ولكن رمياً بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع السموات) من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أى بديع شعره أو هو بديع فى السموات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أى ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ بالجر رداً على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها أن مبتدع السموات والأرض وهى أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسماً حتى يكون والداً والثانى أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شىء إلا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنياً عن كل شىء والولد إنما يطلبه المحتاج ۞ وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وإنما جاز للفصل كقوله ۞ لقد ولد الأخيطل أم سوء ۞ (ذلكم) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء) أى ذلكم الجامع لهذه الصفات (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شىء وكيل) يعنى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شىء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال ۞ البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصراً فى ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تابعاً كالأجسام والهيآت (وهو يدرك الأبصار) وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن أن تدركه الأبصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الأبصار لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر

۞ قوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» (قال محمود البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال أحمد وقد سلف الكلام على هذه الآية فى غير موضعها لأن المصنف تعجل الكلام عليها قبل والذى يريده الآن أن الإدراك عبارة عن الإحاطة ومنه فلما أدركه الغرق أى أحاط به وإنا لمدركون أى محاط بنا فالمنفى إذاً عن الأبصار إحاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية ثم إما أن نقتصر على أن الآية لا تدل على مخالفتنا أو نزيد فنقول يدل لنا أن تخصيص الإحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك وأقله مجرد الرؤية كما أنا نقول لا نحيط به الأفهام وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن فالإحاطة للعقل منفية كنفى الإحاطة للحس وما دون الإحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفى ولم يذكر الزمخشرى على إحالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج إلى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئى لا فى جهة فيقتصر معه على إلزامه استبعاد أن يكون الموجود لا فى جهة إذ اتباع الوهم يبعدهما جميعاً والانقياد إلى العقل

(قوله لأنه متعال عن أن يكون مبصراً) استحالة الرؤية مذهب المعتزلة لظاهر هذه الآية وجوازها مذهب أهل السنة لقوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» وكل يؤول مستند الآخر وتحقيقه فى التوحيد

دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۞ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا

أى جاءكم من الوحى والتنبيه على مايجوز على الله وما لايجوز ماهو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وليقولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست تصرّفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ دارست أى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتدّ دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم وجاز الإضمار لأنّ الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمداً وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات علىّ هى دارسات أى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية ۞ (فإن قلت) أى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه (قلت) الفرق بينهما أنّ الأولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أنّ الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (ولنبينه) (قلت) إلى الآيات لأنها فى معنى القرآن كأنه قيل وكذلك نصرف القرآن أو إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو إلى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيداً ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودراسته فيرجع إلى الكتاب المقدر (لا إله إلا هو) اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحى لا محلّ له من الإعراب ويجوز أن يكون حالا من ربك وهى حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» لتنتهينّ عن سب آلهتنا أو لنهجونّ إلهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى (فإن قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صحّ النهى عنه وإنما يصح النهى عن المعاصى (قلت) ربّ طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لأنها معصية لا لأنها طاعة كالنهى عن المنكر هو من أجلّ الطاعات فإذا علم أنه يؤدّى إلى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر (فإن قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين أنهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا مما نحن بصدده لأنّ حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهنّ يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وإنما خيل إلى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدواً) ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدواً وعدوّاً وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدواً بفتح العين بمعنى أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من الأمم الكفار سوء عملهم أى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى

يبطل هذا الوهم ويجيزهما معاً وهذا القدر كاف بحسب ماأورده فى هذا الوضع والله الموفق

(قوله أى خليناهم وشأنهم) فسر التزين بذلك لأنه تعالى لايخلق الشر عند المعتزلة ويخلق الخير عند أهل السنة

يَعْمَلُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْأَيَـٰتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ

زين لهم أو زيناه فى زعمهم وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل إنما الآيات عندالله) وهو قادر عليها ولكنه لاينزلها إلا على موجب الحكمة أو إنما الآيات عند الله لاعندى فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية التى تقترحونها (إذا جاءت لايؤمنون) بها يعنى أنا أعلم أنها إذا جاءت لايؤمنون بها وأنتم لاتدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون فى إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عزّ وجلّ وما يدريكم أنهم لايؤمنون على معنى أنكم لاتدرون ماسبق علمى به من أنهم لايؤمنون به ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشترى لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لاننا ۞ نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة أبىّ لعلها إذا جاءت لايؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تمّ قبله بمعنى وما يشعركم مايكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال أنها إذا جاءت لايؤمنون البتة ومنهم من جعل لامزيدة فى قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لايؤمنون أى يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلايؤمنوا بها (ونقلب أفئدتهم ۞ ونذرهم) عطف على لايؤمنون داخل

قوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون (قال يعنى أنّ الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لاينزلها إلا على موجب الحكمة الخ) قال أحمد ومحز النظر فى الآية يتضح بمثال فنقول إذا قال لك القائل أكرم فلانا فإنه يكافئك وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة فإذا أنكرت على المشير بإكرامه قلت وما يدريك أنى إذا أكرمته يكافئنى فأنكرت عليه إثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها فإن انعكس الأمر فقال لك لاتكرمه فإنه لايكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فأنكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك أنه لايكافئنى تريد وأنا أعلم منه المكافأة فكان مقتضى الإنكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظنّ بالمعاندين فاعتقدوا أنهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون كما تقول فى المثال منكراً على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك أنه يكافئنى بإسقاط لا وإن أثبتها انعكس المعنى إلى أنّ المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى فلما جاءت الآية تفهم ببادئ الرأى أنّ الله تعالى علم الإيمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والواقع على خلاف ذلك اختلف العلماء فحمل بعضهم لاعلى الزيادة وبعضهم أول أن بلعل وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تفتح أن بعد القسم فقال التقدير والله أنها إذا جاءت لايؤمنون وأما الزمخشرى فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها فى نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده فى المثال المذكور ليتضح بوجهيه فى الآية فنقول إذا حرمت زيداً لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالإكرام بناء على أنّ المشير يظنّ المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه وحالة تعذره فى عدم العلم بما أحطت به علماً فإن أنكرت عليه قلت وما يدريك أنه يكافئ وإن عذرته فى عدم علمه بأنه لايكافئ قلت وما يدريك أنه لايكافئ يعنى ومن أين تعلم أنت ماعلمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبرى فكذلك الآية إنما ورد فيها الكلام إقامة عذر للمؤمنين فى عدم علمهم بالمغيب فى علم الله تعالى وهو عدم إيمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين أنّ سبب الاضطراب التباس الإنكار بإقامة الأعذار والله الموفق للصواب

يَعْمَهُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ

فى حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لايؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أى نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم إنا نذرهم فى طغيانهم أى نخليهم وشأنهم لانكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أى الله عزّ وجلّ وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم كلّ شىء قبلا) كما قالوا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة مابشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أى عيانا (إلا أن يشاء الله) مشيئة إكراه واضطرار (ولكنّ أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكنّ أكثر المسلمين يجهلون أنّ هؤلاء لايؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون فى إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا) وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر ۞ وانتصب (شياطين) على البدل من عدوّا أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجنّ (يوحى بعضهم إلى بعض) يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجنّ إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار إنّ شيطان الإنس أشد علىّ من شيطان الجن لأنى إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجنّ عنى وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا (زخرف القول) مايزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصى ويموّهه (غروراً) خدعا وأخذاً على غرّة (ولو شاء ربك مافعلوه) ذلك أى ماعادوك أوما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّا على أنّ اللام لام الصيرورة وتحقيقها ماذكر والضمير فى (إليه) يرجع إلى مارجع إليه الضمير فى فعلوه أى ولتميل إلى ماذكر

۞ قوله تعالى «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله» (قال محمود معناه إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطراب) قال أحمد بل المراد إلا أن يشاء الله منهم اختيار الإيمان فإنه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للإيمان لاختاروه وآمنوا حتما ماشاء الله كان والزمخشرى بنى على القاعدة الفاسدة فى اعتقاده أنّ الله تعالى شاء منهم الإيمان اختياراً فلم يؤمنوا إذ لايجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحملة شريعتها من قولهم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن بل يقولون إنّ أكثر ماشاءه لم يقع إذ شاء الإيمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح إلا القليل وقليل ماهم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيراً فإذا صدمتهم مثل هذه الآية بالردّ تحيلوا فى المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وإنما يتمّ لهم ذلك أن لو كان القرآن يتبع الآراء وأمّا وهو القدوة والمتبوع فما خالفه حينئذ وتزحزح عنه فإلى النار وما بعد الحق إلا الضلال والله الموفق للصواب

(قوله حتى يعمهوا فيه) أى يتحيروا (قوله وقرئ قبلا أى عيانا) فى الصحاح رأيته قبلا وقبلا بالضم أى مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف قال الله تعالى «أو يأتيهم العذاب قبلا» أى عيانا (قوله وتحقيقها ما ذكر والضمير فى إليه) أى فى قوله تعالى «وليقولوا درست»

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۞ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۞ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۞ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ

من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين (أفئدة) الكفار (وليرضوه) لأنفسهم (وليقترفوا ماهم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) على إرادة القول أى قل يامحمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ۞ ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته له (فلا تكونن من الممترين) من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى « ولاتكونن من المشركين » أو « فلاتكونن من الممترين » فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلاتكونن خطابا لكل أحد على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغى أن يمترى فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطابا لأمته (وتمت كلمات ربك) أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا وعدلا لامبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقاً وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أى ما تكلم به وقيل هى القرآن (وإن تطع أكثر من فى الأرض) من الناس أضلوك لأن الأكثر فى غالب الأمر يتبعون هواهم ثم قال (إن يتبعون إلا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وإن هم إلا يخرصون) يقدرون أنهم على شىء أو يكذبون فى أن الله حرم كذا وأحل كذا ۞ وقرئ من يضل بضم الياء أى يضله الله (فكلوا) مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ماذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وماذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله (ومالكم ألا تأكلوا) وأى غرض لكم فى أن لا تأكلوا (وقد فصل لكم) وقد بين لكم (ماحرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ماحرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل (إلا ما اضطررتم إليه) مما حرم عليكم فإنه حلال لكم فى حال الضرورة (وإن كثيرا ليضلون) قرئ بفتح الياء وضمها أى يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ظاهر الإثم وباطنه) ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر (وإنه لفسق) الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى يعنى وأن الأكل منه لفسق أو إلى الموصول على وإن أكله لفسق

(قوله خطابا لأمته) لعله خطاب

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۞ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ

أوجعل مالم يذكر اسم الله عليه فى نفسه فسقا (فإن قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل مالم يذكر اسم الله عليه بنسيان أوعمد (قلت) قدتأوله هؤلاء بالميتة وبماذكر غيراسم اللهعليه كقوله أوفسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوسوسون (إلى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولاتأكلون مماقتله اللهوبهذا يرجع تأويل من تأوله بالميتة (إنكم لمشركون) لأنّ من اتبع غير الله تعالى فى دينه فقد أشرك به ومن حق ذى البصيرة فى دينه أن لايأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى فى الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا فى النسيان فى العمد ومالك والشافعى رحمهما الله فيهما ۞ مثل الذى هداه اللهبعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذى يميز به بين الحق والمبطل والمهتد والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نوراً يمشى به فى الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقى على الضلالة بالخابط فى الظلمات لاينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهى قوله فى الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هوفى الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار أى صفتها هذه وهى قوله فيها أنهار (زين للكافرين) أى زينه الشيطان أوالله عزّ وعلا

۞ قوله تعالى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق (قال إن قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل مالم يذكر اسم الله عليه بنسيان أوعمد الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبى حنيفة سواء فى أنّ متروك التسمية عمدا لايؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون ولأشهب قول شاذ بجواز غير المتهاون فى ترك تسميته والآية تساعد مذهب الإمامين مساعدة بينة فإنه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله وإنه لفسق وذلك إن كان عبارة عن فعل المكلف وهو إهمال التسمية أوتسمية غير الله فلايدخل النسيان لأنّ الناسى غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولاهو فاسق وإن كان نفس الفسق الذبيحة التى لم يسم عليها ولم يكن مصدرا فإنما تسمى الذبيحة فسقا نقلا لهذا الاسم من المصدر إلى الذات فالذبيحة التى تركت التسمية عليها نسيانا لايصح أن تسمى فسقا إذ الفعل الذى ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فإذا تمهد ذلك فإما أن يقول لادليل فى الآية على تحريم منسى التسمية فبقى على أصل الإباحة أويقول فيها دليل على إباحته من حيث مفهوم تخصيص النهى بماهوفسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا النظر يسند إذا لم تكن الميتة متناولة فى هذه الآية وأما إذا أثبت أنها مرادة تعين صرف الفسق إلى الآكل والمأكول وكان الضمير من قوله وإنه عائد إلى المصدر المنهى عنه أو إلى الموصول وحينئذ يندرج المنسى فى النهى ولايستقيم على أنّ الميتة مندرجة كاندراج المنسى لأنّ الوجه الذى به تندرج الميتة هو الوجه الذى به يندرج المنسى إذ يكون الفسق إما للآكل وإما للمأكول نقلا من الأكل ولاينصرف إلى غير ذلك لأنّ الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الأكل والمنسى تسميتها لايستقيم أن يسمى الذبح فيها فسقا لأجل النسيان فيتعين صرفه إلى الأكل ومن ثم قوى عند الزمخشرى تعميم التحريم حتى فى المنسى لأنه يرى أنّ الميتة مرادة من الآية ولابد إذ هى سبب نزول الآية والتحقيق أن العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصا فى السبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه وإذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسى كما تقدم وحينئذ يضطر مبيح المنسى إلى مخصص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن من سمى أولم يسم وكان الناسى ذاكراً حكما وإن لم يكن ذاكرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص ولكن منع لاندراج الناسى فى العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بأنّ العام الوارد على سبب خاص وإن قوى تناوله للسبب حتى ينهض الظاهرة فيه نصا إلا أنه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمالى الظواهر فيه ويكتفى من معارضته بما لايكتفى به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع بفنون

(قوله وبما ذكر غير اسم الله عليه) لعله اسم غير الله

مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۞ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

على قوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) يعنى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم وأكابر قومهم (وما يمكرون إلا بأنفسهم) لأن مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم ۞ روى أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنى أكبر منك سناً وأكثر منك مالا وروى أن أباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منانبى يوحى إليه والله لانرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » (الله أعلم) كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه منهم (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) فى الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار (فمن يرد الله أن يهديه) أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف (يشرح صدره للإسلام) يلطف به حتى يرغب فى الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد أن يضله) أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذى لا لطف له (يجعل صدره ضيقاً حرجا) يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقاً بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى السماء) كأنما يزاول أمراً غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من أصعد (يجعل الله الرجس) يعنى الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدى إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط ربك) وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة وعادته فى التوفيق والخذلان (مستقيما) عادلا مطرداً وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر (عند ربهم) فى ضمانه كما تقول لفلان عندى حق لاينسى أو ذخيرة لهم لايعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون (ويوم نحشرهم) منصوب بمحذوف أى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يامعشر الجن) أو ويوم نحشرهم

(قوله ومعناه خليناهم ليمكروا) أوله بذلك لأنه تعالى لايخلق الشر عند المعتزلة ويخلقه كالخير عند أهل السنة وكذا قوله تعالى ومن يرد أن يضله الخ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا (قوله وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم) أى ذل اه (قوله أن يخذله ويخليه وشأنه) فسر الإضلال بذلك لأنه تعالى لايفعل الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيفعله كالخير وكذا يقال فى قوله يمنعه ألطافه

جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

وقلنا يامعشر الجنّ كان مالا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجنّ هم الشياطين (قد استكثرتم من الإنس) أضللتم منهم كثيراً أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع (وقال أولياؤهم من الإنس) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجنّ بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم فى إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجنّ مافى قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ وأن الرجل كان إذا نزل واديا أو خاف قال أعوذ برب هذا الوادى يعنى به كبير الجنّ واستمتاع الجنّ بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم (خالدين فيها إلا ماشاء الله) أى يخلدون فى عذاب النار الأبد كله إلا ماشاء الله إلا الأوقات التى ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذى ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكنى الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لايشاء إلا التشفى منه بأقصى مايقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه فى صورة الاستثناء الذى فيه إطماع (إن ربك حكيم) لا يفعل شيئاً إلا بموجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد (نولى بعض الظالمين بعضاً) نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى ۞ يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف فى أن الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث اليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان فى الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبى

شتى على نكت بديعة والله الموفق للصواب ۞ قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم (قال معنى هذا الاستثناء أنهم يخلدون فى عذاب النار الأبد كله الخ) قال أحمد قد ثبت خلود الكفار فى العذاب ثبوتا قطعياً فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء فى هذه الآية وفى أختها فى سورة هود فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار والمستثنى العصاة لأنهم لايخلدون وهذا تأويل أهل السنة وقد غلط الزمخشرى فى إنكاره فى آية هود وتناهى إلى ما نعوذ بالله منه فقدح فى عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه راوى الحديث الشاهد لهذا التأويل ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القدح فى مثل عبدالله وهو من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم إلى أن هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب أى يخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء وفائدته إظهار القدرة والإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلى فى مشيئته أن لايعذبهم ولو عذبهم لايخلدهم وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه وإنما هو مقتضى مشيئته وإرادته عز وجل وفيها على هذا الوجه دفع فى صدر المعتزلة الذين يزعمون أن تخليد الكفار

(قوله من قول الموتور الذى ظفر) الموتور المظلوم اه

ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ ۞ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَرَبُّكَ الْغَنِىُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۞ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ قُلْ يَـٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى

كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن (قالوا شهدنا على أنفسنا) حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم لأنّ الهمزة الداخلة على نفى إتيان الرسل للإنكار فكان تقريراً لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأنّ حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها (فإن قلت) مالهم مقرين فى هذه الآية جاحدين فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الأحوال والمواطن فى ذلك اليوم المتطاول فيقرون فى بعضها ويجحدون فى بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم ۞ (فإن قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم (قلت) الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم إن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أى الأمر ذلك و (أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل أى الأمر ماقصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هى التى تنصب الأفعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأنّ الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم (وماربك بغافل عما تعملون) بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله ومايستحق عليه من الأجر (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (إن يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ۞ المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا

واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة وأنه لايجوز فى العقل أن يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج إلى وجه لطيف إنما يظهر بالبسط فقال المراد والله أعلم إلا ماشاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه فى الحكم ونحن نبينه فنقول العذاب والعياذ بالله على درجات متفاوتة فكأن المراد أنهم مخلدون فى حبس العذاب إلا ماشاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهى إلى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها الأنواع العذاب فى الشدة تعد ليس من جنس العذاب وخارجة عنه والشىء إذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم فى التعبير عن كثرة الفعل برب وقد وهما موضوعان لضرر الكثرة من القلة وذلك أمر يعتاد فى لغة العرب وقد حام أبو الطيب حوله فقال ۞ لقد جدت حتى كاد يبخل حاتم ۞ إلى المنتهى ومن السرور يكاد ۞ فكأن هؤلاء إذا بلغوا إلى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا إلى الحد الذى يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته فى التعبير بمعاملة المغاير وهو وجه حسن لايكاد يفهم من كلام الزجاج إلا بعد هذا البسط وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنه مايؤيده والله الموفق

عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ

على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان أى اثبت على ماأنت عليه لاتنحرف عنه (إنى عامل) أى عامل على مكانتى التى أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فإنى ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ماشئتم وهى التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لايأتى منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه (فإن قلت) ماموضع (من) قلت الرفع إذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذى و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف فى المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل ۞ كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فإذا رأوا ماجعلوه لله زاكياً نامياً يزيد فى نفسه خيراً رجعوا فجعلوه للآلهة وإذا زكا ماجعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غنىّ وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكى لأنه هو الذى ذرأه وزكاه ولا يرد إلى مالا يقدر على ذرءه ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم أى قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التى هى من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم فى القربة (فلا يصل إلى الله) أى لايصل إلى الوجوه التى كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل إلى شركائهم) من إنفاق عليها بذبح نسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء مايحكمون) فى إيثار آلهتهم على الله تعالى وعلمهم مالم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذى هو علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة

۞ قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله لقد ركب المصنف فى هذا الفصل متن عمياء وتاه فى تيهاء وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لانقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة فى شركائهم فاستدل بذلك على أنه مجرور وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس إذ لايضاف المصدر إلى أمرين معاً فقرأه منصوبا قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جره بالإضافة وإبدال الشركاء منه وكان ذلك أولى مما ارتكبه يعنى ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذى يسمج فى الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشرى أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبى صلى الله

(قوله وهى التخلية والتسجيل على المأمور) فى الصحاح السجل الصك وقد سجل الحاكم تسجيلا وفيه أيضاً هى مسجلة للبر والفاجر قال الأصمعى أى مرسلة يقال أسجلت الكلام أى أرسلته اهـ (قوله ومثل ذلك التزيين البليغ الذى) لعله التزيين الذى

وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَايَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَايَطْعَمُهَا

وكان الرجل فى الجاهلية يحلف لئن ولدله كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبدالمطلب ۞ وقرئ زين على البناء للفاعل الذى هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذى هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردوداً كاسمج ورد ۞ زج القلوص أبى مزاده ۞ فكيف به فى الكلام المنثور فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولوقرأ بجر الأولاد والشركاء لأنّ الأولاد شركاؤهم فى أموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هـذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالإغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك وقيل دينهم الذى وجب أن يكونوا عليه وقيـل معناه وليوقعوهم فى دين ملتبس

عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك ثم تلاها النبى صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأئمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤن بها خلفاً عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضاً كما سمعها فهذا معتقد أهل الحق فى جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر فإن المنكر عليه إنما أنكر ماثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين أعنى علم القراءة وعلم الأصول ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين وأنه على هذا العذر لفى عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ماليس متواتراً فإن هـذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته أنه ادعى أن نقلها لايشترط فيه التواتر وأما الزمخشرى فظنّ أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل وهـذا لم يقل به أحد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال إلا التغالى فى اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ماخالفها ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس الذى ادعاه مطرداً فقراءة ابن عامرهذه لاتخالفه وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل وبهـذا التقدير عمل وهو أن لم تكن إضافته غير محضة إلا أنه شبه بما إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة إن إضافته ليست محضة لذلك فالحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصـدر وبين المضاف إليه بالظرف فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه فى التقدير وعدم توغله فى الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبياً عنه وكأنه بالتقدير فكه بالفعل ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه إلى الفاعل وبقى المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك أيضا تغاير حال المصـدر إذ تارة يضاف إلى الفاعل وتارة يضاف إلى المفعول وقـد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه فى غير مرتبته إذ ينوى به التأخير فكأنه لم يفصل كما جاز تقدم المضمر على الظاهر إذا حل فى غير رتبته لأن النية به التأخير وأنشد أبوعبيدة ۞ فداسهم دوس الحصاد الدائس ۞

وأنشد أيضاً : يفركن حب السنبل الكنافج ۞ بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول ومما يقوى عدم توغله فى الإضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة وهذا القدر كاف إن شاء الله فى الجمع بينهما والله الموفق وما أجريناه فى أدراج الكلام من تقريب إضافة المصدر من غير المحضة إنما أردنا انضمامه إلى غيره من الوجوه التى يدل باجتماعها على أنّ الفصل غير منكر فى إضافته ولا مستبعد من القياس ولم نفرده فى الدلالة المذكورة

إلا من نشاء بزعمهم وأنعم حرمت ظهورها وأنعم لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ۞ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعم خالصة لذكورنا ومحرم على أزوجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ۞ قد خسر الذين قتلوا أولدهم سفها بغير علم وحرموا

(فإن قلت) مامعنى اللام (قلت) إن كان التزيين من الشياطين فهى على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولوشاء الله) مشيئة قسر (مافعلوه) لما فعل المشركون مازين لهم من القتل أولما فعل الشياطين أوالسدنة التزيين أوالإرداء أواللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الإشارة (وما يفترون) ومايفترونه من الإفك أوو افتراؤهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لايطعمها إلا من نشاء) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لايحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لايذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله (افتراء عليه) أى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على أنه مفعول له أوحال أومصدر مؤكد لأن قولهم ذلك فى معنى الافتراء ۞ كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ماولد منها حيا فهو خالص للذكور لاتأكل منه الإناث وماولد منها ميتا اشترك فيه الذكور والإناث وأنث (خالصة) للحمل على المعنى لأن مافى معنى الأجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن تكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعاقبة أى ذوخالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لايتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الإضافة وفى مصحف عبدالله خالص (وإن يكن ميتة) وإن يكن مافى بطونها ميتة وقرئ إن تكن بالتأنيث على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير فى قوله (فهم فيه شركاء) لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله تعالى «وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام» ۞ نزلت فى ربيعة ومضر والعرب

إذ المتفق على عدم تمحضها لايسوغ فيها الفصل فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق ۞ قوله تعالى وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قال فيه وأنث خالصة للحمل على المعنى لأن مافى معنى الأجنة الخ) قال أحمد ليسا سواء لأنه فى الآية الأولى رجوع إلى اللفظ بعد المعنى وفيه إجمال وبينهما بون اقتضى أن أنكر جماعة من متأخرى الفن وقوعه فى الكتاب العزيز وادعوا أن جميع ماورد فيه يعود على المعنى بعد اللفظ وقد التزم غيرهم إجازة ذلك وعدوا فى الكتاب العزيز منه موضعين يمكن صرف الكلام فيهما إلى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ماوجد إليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية أى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولايجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لايتقدم عليه حاله ولقد أحسن فى الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۞ وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ جَنّٰتٍ مَّعْرُوشٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشٰتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ وَمِنَ الْأَنْعٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمٰنِيَةَ أَزْوٰجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ

الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لاهم ۞ وقرئ قتلوا بالتشديد (ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض لم تعرش وقيل المعروشات ما فى الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشياً فى البرارى والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه (مختلفاً أكله) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفاً حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين ۞ وقرئ ثمره بضمتين ۞ (فإن قلت) مافائدة قوله (إذا أثمر) وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لايباح إلا إذا أدرك وأينع (وآتوا حقه يوم حصاده) الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لاتؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء (ولا تسرفوا) فى الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (حمولة وفرشاً) عطف على جنات أى وأنشأ من الأنعام مايحمل الأثقال ومايفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأساً بشرط أن يكون فيها خمر ۞ والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبى ومن المعزى ۞ وقرئ اثنان على الابتداء ۞ الهمزة فى (آلذكرين) للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز ۞ وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله تعالى من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعى ذكورها وإناثها ولامما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسى الإبل والبقر والأنثيان منهما وماتحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة

(قوله مسموكات) أى مرفوعات وفى الصحاح سمك الله السماء رفعها والسمك السقف (قوله الذكر والأنثى والدليل عليه) عبارة النسفى ويدل عليه (قوله ذكورة الأنعام) ذكورة يجمع الذكر على ذكارة كحجارة وذكور وذكران

حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ

وأولادهما كيفما كانت ذكوراً وإناثاً أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (إن كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (أم كنتم شهداء) بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذى تحرمه فتهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم (ليضل الناس) وهو عمرو بن لحى ابن قمعة الذى بحر البحائر وسيب السوائب (فإن قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبى من المعدود وذلك أن الله عز وجل منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات فى الكلام لا تساق إلا للتوكيد (فيما أوحى إلىّ) تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله تعالى وشرعه لا بهوى الأنفس (محرما) طعاما محرما من المطاعم التى حرمتموها (إلا أن يكون ميتة) إلا أن يكون الشىء المحرم ميتة (أو دما مسفوحا) أى مصبوبا سائلا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص فى دم العروق بعد الذبح (أو فسقاً) عطف على المنصوب قبله سمى ما أهلّ به لغير الله فسقاً لتوغله فى باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهلّ صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهلّ أى أهلّ لغير الله به فسقاً (فإن قلت) فعلام تعطف (أهلّ) وإلام يرجع الضمير فى (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة إلى أكل شىء من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فإن ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه ذو الظفر ماله أصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ۝ وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شىء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهى الثروب وشحوم الكلى وقوله (إلا ما حملت ظهورها) يعنى إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو اشتمل على الأمعاء (أو ما اختلط بعظم) وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على

هذا ما فى الصحاح لكن عبارة النسفى كعبارة المصنف فحرر (قوله وهى الثروب وشحوم الكلى) الثروب شحوم رقيقة قد غشيت الكرش والأمعاء كذا فى الصحاح (قوله والجنوب من السحفة) السحفة الشحمة الملتزقة بالجلد على الظهر من الكتف إلى الورك نقله فى الصحاح

جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۞ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن

شحومهما أو بمنزلتها فى قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وإنا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب (فإن كذبوك) فى ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغى ويخلف الوعيد جوداً وكرماً (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لأهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغترّ برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شىء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى جاؤا بالتكذيب المطلق لأن الله عزّ وجلّ ركب فى العقول وأنزل فى الكتب ما دلّ على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصى بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (إن تتبعون إلا الظن) فى قولكم هذا (وإن أنتم إلا تخرصون) تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون ۞ وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل فلله الحجة البالغة) يعنى فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم أجمعين) منكم

۞ قوله تعالى « ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » (قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم الخ) قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعيد الكافر باتفاق واقع به غير مردود عنه وأهل السنة وإن قالوا بجواز العفو عن العاصى الموحد فلا يقولون إن ذلك حتم ولا يلزمهم ذلك لأن الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبر أنه يغفر لمن يشاء منهم فمن ثم اعتقدنا أن كل موحد عاص فى المشيئة وحيث أطلق وعيدهم فى بعض الظواهر فهو محمول على المقيد فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف فى الخبر والزمخشرى إنما يدندن حول إلزامهم ذلك وأنى له ۞ قوله تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » (قال فيه هذا إخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد فائدته توطين النفس على الجواب ومكافحتهم بالرد وإعداد الحجة قبل أوانها كما قال سيقول السفهاء من الناس ۞ عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يعنون بكفرهم الخ) قال أحمد رحمه الله قد تقدم أيضاً الكلام على هذه الآية وأوضحنا أن الرد عليهم إنما كان

(قوله كمذهب المجبرة بعينه) يعنى أهل السنة من أن كل كائن فهو مراد له تعالى ولو شراً وتحقيق الفرق بينه وبين قول المشركين فى علم التوحيد ويكفى فيه أن قولهم من باب التهكم كما قالوا لما قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أنطعم من لو يشاء الله أطعمه (قوله على قود مذهبكم) لعله من قاد الفرس ونحوه قوداً إذا جره بسهولة أى على طبق مذهبكم أى على مقتضاه وما يؤدى اليه

شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۞

ومن مخالفيكم فى الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضى أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فإن قلت) كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم مازعموه محرما ثم أمره بأن لايشهد معهم (قلت) أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوى أقدام الشاهدين والمشهود لهم فى أنهم لا يرجعون إلى مايصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعنى فلا تسلم لهم ماشهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحداً منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لاغير لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحداً لله تعالى (فإن قلت) هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأى فرق بينه وبين المنزل (قلت)

لاعتقادهم أنهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وأن إشراكهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا أنهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم فى دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله واعتمد على أنه إنما يفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام إفحام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى أنهم لا حجة لهم فى ذلك وأن الحجة البالغة له لالهم بقوله ألا لله الحجة البالغة ثم أوضح تعالى أن كل واقع بمشيئته وأنه لم يشأ منهم إلا ماصدر عنهم وإنه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك أن يتمحض وجه الرد عليهم ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد إلى دعواهم بسلب الاختيار لأنفسهم وإلى إقامتهم الحجة بذلك خاصة وإذا تدبرت هذه وجدتها كافية فى الرد على من زعم من أهل القبلة أن العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على أفعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفون بالجبرة والمصنف يغالط فى الحقائق فيسمى أهل السنة مجبرة وإن أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة لأنهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لأفعاله الاختيارية مميزة بينها وبين أفعاله القسرية فمن هذه الجهة سوى بينهم وبين الجبرة ويجعله لقبا عاما لأهل السنة وجماع الرد على الجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة فى قوله تعالى سيقول الذين اشركوا إلى قوله قل فلله الحجة البالغة وتتمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم ووجه الرد أن لو إذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضى ذلك أن الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم فإذا ثبت اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين الجبرة فى أولها والمعتزلة فى آخرها فاعلم أنها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها فإن أولها كما بينا يثبت للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره فى المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله فى العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية خيراً أو غيره وذلك عين عقيدتهم فإنهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون أن ثبوتهما قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته فى أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون مانفى مؤيدين بالعقل والنقل والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأى فرق بينه وبين المنزل الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه مناقضته له أنه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم بشهداء يشهدون يفهم أن الطالب للشهداء ليس على تحقيق من أن ثم شهداء كما يقول الحاكم للمدعى هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق أن للمدعى بينة ثم يكون قوله فإن شهدوا تحقيقاً لأن ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كما ترى والله الموفق

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم مايقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله تعالى وإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴿تعال من الخاص الذى صار عاما وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم و (ما حرّم) منصوب بفعل التلاوة أى أتل الذى حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أقل أى شيء حرم ربكم لأنّ التلاوة من القول وأن فى (ألا تشركوا) مفسرة ولا للنهى (فإن قلت) هلا قلت هى التى تنصب الفعل وجعلت أن لاتشركوا بدلا من ماحرم (قلت) وجب أن يكون لاتشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهى لانعطاف الأوامر عليها وهى قوله وبالوالدين إحسانا لأنّ التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا (فإن قلت) فما تصنع بقوله وأنّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لاتشركوا إذا جعلت أن هى الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفى الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أنّ هذا صراطى مستقيما (قلت) أجعل قوله وأن هذا صراطى مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً بمعنى ولأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوه صراطى لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطى إنه مستقيم (فإن قلت) إذا جعلت أنّ مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون مابعده منهياً عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهى فما تصنع بالأوامر (قلت) لما وردت هذه الأوامر مع النواهى وتقدمهنّ جميعاً فعل التحريم واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهى الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله (من إملاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق (ماظهر منها وما بطن) مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه (إلا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (إلا بالتى هى أحسن) إلا بالخصلة التى هى أحسن مايفعل بمال اليتيم وهى حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه (بالقسط) بالسوية والعدل لانكلف نفساً إلا وسعها) إلا مايسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأنّ مراعاة الحد من القسط الذى لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ماوراءه معفو عنه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغى أن يزيد فى القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين * وقرئ وأنّ هذا صراطى مستقيما بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطى على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطى وفى مصحف عبدالله وهذا صراط ربكم وفى مصحف أبىّ وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع

عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ

والضلالات (فتفرق بكم) فتفرقكم أيادى سبا (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام ۞ وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهنّ دخل الجنة ومن تركهنّ دخل النار وعن كعب الأحبار والذى نفس كعب بيده أنّ هذه الآيات لأول شيء فى التوراة (فإن قلت) علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فإن قلت) كيف صحّ عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمّة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديماً وحديثاً (ثم) أعظم من ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ماتقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب (تماما على الذى أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذى أحسن على من كان محسناً صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ماأمر به أو تماما على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذى أحسن بالرفع أى على الذى هو أحسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ مثلا مابعوضة بالرفع اى على الدين الذى هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أى تاما كاملا على أحسن ماتكون عليه الكتب أى على الوجه والطريق الذى هو أحسن وهو معنى قول الكلبى أتمّ له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (على طائفتين) يريدون أهل التوراة وأهل الإنجيل (وإن كنا) هى أن المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أى لم نعرف مثل دراستهم (لكنا أهدى منهم) لحدّة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون ۞ وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء (فقد جاءكم بينة من ربكم) تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ماعرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك (وصدف عنها) الناس فضلّ وأضلّ (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ۞ الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتى ربك) أو يأتى كل آيات ربك

لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۞ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

بدليل قوله (أو يأتى بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلى وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال إنها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمغرب وخسفاً بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفساً وقوله (أو كسبت فى إيمانها خيراً) عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الإيمان غير كاسبة فى إيمانها خيراً فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت فى غير وقت الإيمان وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لاينبغى أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا إنا منتظرون) وعيد ۞ وقرئ أن يأتيهم الملائكة بالياء والتاء ۞ وقرأ ابن سيرين لاتنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذى هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أى تركوه (وكانوا شيعاً) فرقاً كل فرقة تشيع إماماً لها (لست منهم فى شىء) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ماوعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل (وهم لايظلمون) لاينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم (ديناً) نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به و (ملة إبراهيم) عطف

۞ قوله تعالى «يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً» (قال محمود فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته فى أن الكافر والعاصى سواء فى الخلود بهذه الآية إذ سوى بينهما فى عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم له ذلك فإن هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف وأصل الكلام يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفساً لم تكسب فى إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً أراد أن يثبت أن ذلك هو الأصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فإنا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم فى السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أحدر من أن يدل له والله الموفق

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞

﴿سورة الأعراف مكية﴾

إلا من آية ١٦٣ إلى غاية ١٧٠ فمدنية وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْمَص ۞ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى

بيان و (حنيفاً) حال من إبراهيم (قل إنّ صلاتى ونسكى) وعبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله «فصل لربك وانحر» وقيل صلاتى وحجى من مناسك الحج (ومحياى ومماتى) وما آتيه فى حياتى وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الإخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لأن إسلام كل نبى متقدم لإسلام أمته (قل أغير الله أبغى ربا) جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أى منكر أن أبغى رباً غيره (وهو ربّ كل شىء) فكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمرونى أعبد (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الأرض) لأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الأمم أوجعلهم يخلف بعضهم بعضا أوهم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير (إن ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وإنه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

﴿سورة الأعراف مكية﴾

﴿غير ثمان آيات واسئلهم عن القرية إلى وإذ نتقنا الجبل وهى مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب و(أنزل إليك) صفة له والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) أى شك منه كقوله فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك وسمى الشك حرجاً لأن الشاك ضيق

﴿القول فى سورة الأعراف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ «المص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه» الآية (قال الحرج الشك الخ) قال أحمد ويشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذه النكتة ميز إمام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بأن المعتقد ربط الفكر بمعتقده والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والتبلج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد افتعال منه يريد إذا كان العقد مبايناً للعلم فما ظنك بالاعتقاد لأن صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتماد والاحتمال ومن ثم ورد

الْمُؤْمِنِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۞ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا

الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لا تشك فى أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأداء. ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم (فإن قلت) بم تعلق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أى أنزل اليك لإنذارك به أو بالنهى لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته (فإن قلت) فما محل ذكرى (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيراً لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدإ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أى للإنذار والذكرى (فإن قلت) النهى فى قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك ههنا (اتبعوا ما أنزل اليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل اليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها ۞ وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الإسلام دينا ۞ ويجوز أن يكون الضمير فى من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء. وقليلا نصب بتذكرون أى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة (فجاءها) فجاء أهلها (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين (فإن قلت) هل يقدر حذف المضاف الذى هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير فى أهلكناها

فى الخير كسب وفى نقيضها اكتسب لأن النفوس فى الشهوات والمخالفات واتباع الأهواء أجدر منها فى الطاعات وقمع الأغراض وعلى ذلك جاء لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وإن كان العلم من الأعلم المأخوذ من العلمة بالتحريك وهى انشراح الشفة وانشقاقها فالذى ذكره الإمام حينئذ نهاية فى نوعه والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال أو ولا تحرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال أحمد ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا أنزل اليه كنز أو جاء معه ملك الآية ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت النهى فى قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك ههنا) قال أحمد يريد ان الحرج منهى فى الآية ظاهرا والمراد النهى عنه والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم الخ) قال أحمد الاكتفاء بالضمير فى الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والأفصح دخول الواو كما اختاره الزمخشرى وأما الزجاج وغيره فيجعلون أحد الأمرين كافيا فى الاسمية إما الواو وإما الضمير وأما قول الزمخشرى إن الجملة المعطوفة إنما حذفت منها واو الحال كراهية لاجتماعها وهى واو عطف أيضا مع مثلها ففيه نظر وذلك أن واو الحال لا بد أن تمتاز عن واو العطف بمزية ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية فى قولك جاءنى زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وإن لم يكن قبيحا فالأفصح خلافه فلما رأيناها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الأفصح أو المتعين علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف وإذا ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو فى اجتماعها معها وإن كان فيها معنى العطف مضافا إلى تلك الخاصية فأما أن تسلبه حينئذ لاغناء العاطف عنها أو تستمر عليه كما تجتمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك فى مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية والذى يدل على ذلك أنك لو قلت سبح الله وأنت راكع أو وأنت ساجد لكان فصيحا لا خبث فيه ولا كراهة

كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۞ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۞
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا

(قلت) إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير فى فجاءها لقوله أوهم قائلون (فإن قلت) لا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءنى زيد راجلا أو هو فارس أو جاءنى زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لأن واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءنى زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءنى زيد هو فارس فخبيث (فإن قلت) فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجىء البأس (قلت) معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم (إنا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وإن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وإن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنسألن الذين أرسل إليهم) أرسل مسند إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فإن قلت) فإذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعنى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أى والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق أى العدل وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن فقيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر إليه الخلائق تأكيدا للحجة وإظهارا

فالتحقيق والله أعلم فى الجملة المعطوفة على الحال أن المصحح لوقوعها حالا من غير واو هو العاطف إذ يقتضى مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه فى الحال فيستغنى عن واو الحال كما أنك تعطف على المقسم به فتدخله فى حكم القسم من غير واو مرقعة فى مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وفى مثل فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس ولو قلت فى غير التلاوة وبالليل إذا عسعس لجاز ولكن يستغنى عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية فالحاصل من هذا أنك إن أتيت بواو الحال مصاحبا للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة إلى الاستثقال بل أفدت تأكيدا وإن لم تأت بها فكذلك فى الفصاحة مع إفادة الاختصار والله الموفق للصواب قوله تعالى قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين (قال فإن قلت لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده الخ) قال أحمد وهذا السؤال إنما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح فى أفعاله وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الإصغاء إلى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم

(قوله أى والوزن يوم يسأل الله الأمم) هذا إنما ينبنى على أن يومئذ متعلق بالوزن والحق خبر أما على ما قاله فالتقدير ويوم يسأل الخ ويمكن أن مراده والوزن كائن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم أى الوزن الحق وكان الأقرب أى والوزن

أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۞ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ

للنصفة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب وقيل هى عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أوموزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ماتوزن به حسناتهم وعن الحسن وحقّ لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحقّ لميزان توضع فيه السيآت أن يخف (بآياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلماً كقوله فظلموا بها (مكناكم فى الأرض) جعلنا لكم فيها مكانا وقراراً أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى مايعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو مايتوصل به إلى ذلك والوجه تصريح الياء. وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعنى خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى إلى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) ممن سجد لآدم (ألا تسجد) لا فى أن لاتسجد صلة بدليل قوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم (فإن قلت) مافائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (إذا أمرتك) لأنّ أمرى لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتما لابد لك منه (فإن قلت) لم سأله عن المانع من السجود وقد علم مامنعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أنّ سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب ۞ (فإن قلت) كيف يكون قوله (أنا خير منه) جوابا لما منعك وإنما الجواب أن يقول منعنى كذا (قلت) قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أنّ أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهى إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمور بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعد أن يأمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التى هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التى هى مقرّ العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصحّ لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج إنك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول الرجل قم صاغراً إذا أهنته وفى ضدّه قم راشداً وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض ۞ (فإن قلت) لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم (قلت) لما فى ذلك من ابتلاء العباد وفى مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ماخلق فى الدنيا من صنوف

هذا السؤال ولايجيب عنه من يورده والله الموفق

الحق يوم يسأل الخ) (قوله رفع الله حكمته) فى الصحاح حكمة اللجام ما أحاط بالحنك اه (قوله وهصه الله إلى الأرض) وهصه أى غمزه إلى الأرض والوهص كسر الشىء الرخو وشدّة الوطء على الأرض كذا فى الصحاح

الْمُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ

الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي ومارکب فی الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (فبما أغويتنى) فبسبب إغوائك إياى لأقعدن لهم وهو تكليفه إياه ماوقع به فى الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الأصم أمرتنى بالسجود فحملنى الأنف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعى فى الغي لأجتهدن فى إغوائهم حتى يفسدوا بسببى كما فسدت بسببهم (فإن قلت) بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لاتقول والله بزيد لأمرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتنى أقسم بالله لأقعدن أى فبسبب إغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أى فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد فكان جديرا بأن يقسم به ۞ ومن تكاذيب المجبرة ماحكوه عن طاوس أنه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أوتقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهذا يقول أنا أغوى نفسى وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ماللاستفهام

۞ قوله تعالى قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب وقوعى فى الغي لأجتهدن فى إغوائهم حتى يفسدوا بسببى الخ) قال أحمد تحت كلام الزمخشرى هذا نزغتان من الاعتزال خفيتان ۞ أحدهما تحريفه الإغواء إلى التكليف لأنه يعتقد أن الله تعالى لم يغوه أى لم يخلق له الغي بناء على قاعدة التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح فيضطره اعتقاده إلى حمل الإغواء على تكليفه بالسجود لأنه كان سببا فى غيه وكثيرا مايؤول أفعال الله تعالى إذا أسندها إلى ذاته حقيقة إلى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لأن الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول والزمان والمكان والسبب فاسناده إلى الفاعل حقيقة وإسناده إلى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسندا إلى الله تعالى لأنه مسببه لالأنه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيداً محبوسا فى مال عليه هذه وضعت القيود فى رجليك وأشار إلى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون أى اعتناؤك بهذه الأطعمة كان سببا فى تبذير المال الذى آل بك إلى وضع القيود فى رجلك فعلى هذا يروم حمل هذه الآية يعنى بما كلفتنى من التكليف الذى كان سببا فى خلق الغي لنفسى لأقعدن فيجعل إبليس هو الفاعل فى الحقيقة وأما إسناد الفعل إلى الله تعالى فمجاز هذه إحدى النزغتين ۞ والأخرى جعله التكليف من جملة الأفعال لأنه يزعم أن كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله لاصفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما . وإبليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لأنه نسب الإغواء إلى الله تعالى إذ هو خالق كل شيء فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك مالم يسبق به إبليس نعوذ بالله من التعرض لسخط الله ۞ عاد كلامه (قال) ومن تكاذيب المجبرة ماحكوه عن طاوس أنه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أوتقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهذا يقول أنا أغوى نفسى انتهى كلام طاوس على زعمهم وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه وتعالى أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وإنما أوردت مثل هذا من كلامه وإن كان غير محتاج إلى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد

(قوله ومن آدم أنفسا ومناصب) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فآدم أفضل منهم (قوله ومن تكاذيب المجبرة ماحكوه) يعنى أهل السنة وسماهم المعتزلة بذلك لقولهم أن خالق أفعال العباد ولو قبيحة هو الله تعالى فيكون العبد مجبورا فيها فكيف يصح تكليفه ولكنهم أثبتوا للعبد الكسب فى أفعاله ولذلك صح تكليفه أما الجبر المنافى للتكليف فهو أن لا يكون للعبد دخل فى فعله أصلا بحيث يكون كالريشة المعلقة فى الهواء وبه قالت الجبرة الحقيقية كما هو مذكور فى أواخر المواقف

أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ۝ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

كأنه قيل بأى شىء أغويتنى ثم ابتدأ لأقعدن وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغى الفساد ومنه غوى الفصيل إذا بشم والبشم فساد فى المعدة (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) لأعترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله ۞ كما عسل الطريق الثعلب ۞ وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة قعدله بطريق الإسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعدله بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لآتينهم) من الجهات الأربع التى يأتى منها العدو فى الغالب وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ۞ (فإن قلت) كيف قيل (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت) المفعول فيه عدّى اليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمى ويبتدئ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق مامن صباح إلا قعد لى الشيطان على أربع مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما من بين يدى فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً » وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فأقرأ « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » وأما من قبل يمينى فيأتينى من قبل الثناء فأقرأ « والعاقبة للمتقين » وأما من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ « وحيل بينهم وبين مايشتهون » (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قاله تظنياً بدليل قوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى لهم (مذؤما) من ذأمه إذا ذمه ۞ وقرأ الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤل ۞ واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله إنكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم ۞ وقرئ هذى الشجرة والأصل الياء والهاء بدل منها ۞ ويقال وسوس إذا تكلم كلاما خفياً يكرره ومنه وسوس الحلى وهو فعل غير متعد كولولت المرأة

الصحيحة لتبلج الحجة فى وجوب الرد عليه وتعينه على من هداه الله إليه ولقد صدق طاوس رضى الله عنه وأما قول الزمخشرى فى أهل السنة الذين سماهم مجبرة أنهم يتهالكون فى نسبة القبائح إلى الله تعالى فحاصله أنهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنون بخالق غير الله ولكى يصدقوا قوله تعالى متمدحا الله خالق كل شىء لا كالقدرية الذين هم يتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

(قوله قاله تظنيا) أصله تظننا فأبدلت النون ياء والضمة كسرة والتظنى أعمال الظن اه

مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا

ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى) جعل ذلك غرضا له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا فى العقول (فإن قلت) ما للواو المضمومة فى (ووري) لم تقلب همزة كما قلبت فى أويصل (قلت) لأن الثانية مدة كألف وارى وقد جاء فى قراءة عبد الله أورى بالقلب (إلا أن تكونا ملكين) إلا كراهة أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى (من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين * وقرئ من سوأتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) وأقسم لهما (إنى لكما لمن الناصحين) (فإن قلت) المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى « تقاسموا بالله لنبيتنه » (قلت) كأنه قال لهما أقسم لكما أنى لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله أنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم (فدلاهما) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنه إنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الأكل منها وقيل

---

* قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين الآية (قال فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور الخ) قال أحمد وفى هذه الكلمات أيضا جنوح إلى قاعدة الاعتزال فى أمرين أحدهما قوله إن كشف العورة لم يزل مستقبحا فى العقول فإنه ينشأ عن اعتقاده أن التقبيح والتحسين بالعقل وإن جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة إلا أنه لا يريد به ظاهره إذ التحسين والتقبيح إنما يدركان بالشرع والسمع لا بالعقل ومعنى هذا الإطلاق ولو صدر من سنى أن العقل يدرك المعنى الذى لأجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف . الأمر الثانى استدلاله على تفضيل الملائكة على الأنبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وإن كان بعض أهل السنة قد مال اليه ، والجواب ممن يعتقد تفضيل الأنبياء أنه لا يلزم من اعتقاد إبليس لذلك ووسوسته بأن الملائكة أفضل أن يكون الأمر كذلك فى علم الله تعالى ألا ترى إبليس لعنه الله قد أخبر أن الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لا يخلدا أو لا يكونا ملكين وهو فى ذلك كاذب مبطل فلا دليل فيه إذ ليس فى الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لإبليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما إذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فلعل تفضيله الملائكة على النبوة من جملة غروره والله أعلم عاد كلامه (قال فإن قلت المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال أحمد ويكون فى الكلام حينئذ لف لأن آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجعل القسم من الجانبين كلاما واحداً مضافا لإبليس * عاد كلامه (قال أو أقسم لهما على النصيحة وأقسما له على قبولها) قال أحمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وأما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير فيبعد التأويل المذكور إلا أن يحمل الأمر على أنه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل فى قوله تعالى وواعدنا موسى أنه سمى التزام موسى للوفاء والحضور

عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۞ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم

الشجرة هى السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سوآتهما) أى تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر ۞ ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان ۞ وقرأ الزهرى يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أى يخصفان أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد (من ورق الجنة) قيل كان ورق التين (ألم أنهكما) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروى أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ماظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز ۞ وسميا ذنبهما وإن كان صغيراً مغفوراً ظلما لأنفسهما وقالا (لنكونن من الخاسرين) على عادة الأولياء والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وإبليس و(بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه (مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع إلى حين) وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فإنما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده ۞ جعل ما فى الأرض منزلا من السماء لأنه قضى ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ۞ والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضى الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التى هى (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وأما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون

الميعاد ميعادا فأسند التعبير بالمفاعلة والله أعلم ۞ قوله تعالى «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (قال سميا ذنبهما ظلما وإن كان صغيراً مغفوراً الخ) قال أحمد وهذا أيضا اعتزال خفى لأنهم يزعمون أن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وإن لم يتب العبد منها فهذا معنى قول الزمخشرى وإن كان صغيرا مغفوراً وإنما وسمت هذا الاعتزال بالخفاء لأن هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون بكونه مغفوراً أن الله تعالى تفضل بغفرانه ولو شاء لآخذ به وإن كان الأنبياء معصومين من الكبائر لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب مغفرته والله الموفق

مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ

إشارة إلى اللباس الموارى للسوأة لأنّ مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدإ محذوف أى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفى قراءة عبد الله وأبىّ ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى مايلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به فى الحروب وقرئ ولباسَ التقوى بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى إنزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى (لايفتننكم الشيطان) لايمتحننكم بأن لاتدخلوا الجنة ۞ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سبباً فى أن نزع عنهما (إنه يراكم هو) تعليل للنهى وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدوّ المداجى يكيدكم ويغتالكم من حيث لاتشعرون . وعن مالك بن دينار إنّ عدوّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجنّ لايرون ولا يظهرون للإنس وأنّ إظهارهم أنفسهم ليس فى استطاعتهم وأن زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) أى خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سوّلوا لهم من الكفر والمعاصى وهذا تحذير آخر أبلغ من الأوّل (فإن قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير فى يراكم المؤكد بهو والضمير فى أنه للشأن والحديث وقرأ اليزيدى وقبيلَه بالنصب وفيه وجهان أن يعطفه على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى مع وإذا عطفه على اسم إن وهو الضمير فى أنه كان راجعاً إلى إبليس الفاحشة ماتبالغ فى قبحه من الذنوب أى إذا فعلوها اعتذروا بأنّ آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأنّ أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثانى افتراء على الله وإلحاد فى صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا مانفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إنّ الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه

۞ قوله تعالى « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » (قال محمود وفيه دليل بين أنهم لايرون الخ) قال أحمد أين يذهب به عما ورد فى الحديث الصحيح من اعتراض إبليس رأسهم ومقدمهم النبىّ صلى الله عليه وسلم يروم أن يشغله عن صلاته حتى أمكنه الله منه فأخذه عليه الصلاة والسلام فدعته وأراد أن يربطه إلى سارية من سوارى المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه وإذا جاز ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام كان جائزاً لأولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشرى يصدّه عن ذلك جحده لكرامة الأولياء لأنه عقيدة إخوانه إذ الكرامة إنما يؤتاها الولىّ الصادق فكيف ينالها من يشك فى إسلامه فإنهم لفى عذر من جحدها والتكذيب بها رزقنا الله الإيمان بالكرامات إن لم نكن لها أهلا والله الموفق ۞ قوله تعالى «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون» (قال محمود وكلاهما باطل من العذر لأنّ أحدهما الخ) قال أحمد وهذا أيضا من الاعتزال الخفى وغرضه أن يمهد

(قوله من الدروع والجواشن والمغافر) قوله الجواشن هى ماينسج من الدروع على قدر الصدر والمغافر ماينسج منها على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (قوله العدوّ المداجى يكيدكم) فى الصحاح المداجاة المداراة يقال داجيته إذا داريته كأنك ساترته العداوة (قوله أى خلينا بينهم وبينهم) فسر الجعل بذلك لأنه تعالى لايخلق الشر عند المعتزلة وعند أهل السنة يخلقه كالخير (قوله وهم قدرية مجبرة يحملون) أى كالمجبرة يعنى أهل السنة لقولهم إنّ الله يريد الشر كالخير والإرادة هى الأمر عند المعتزلة لكنها غيره عند أهل السنة فالفحشاء بإرادته تعالى لكنه لايأمر بها وتحقيقه فى التوحيد وقوله فعل القبيح مستحيل عليه أى عند المعتزلة دون أهل السنة

بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ

قوله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعى ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة (بالقسط) بالعدل وبما قام فى النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم أى اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين أسلموا أى وفقهم للإيمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) أى كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقاً حق عليهم الضلالة (إنهم) إن الفريق الذى حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء) أى تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له فى ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) أى ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة. وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهى عليه ضرب وانتزعت عنه لأنهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر فى أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضى الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه قال وما هى قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر من رسولكم شىء فى الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فى من إنكار تحريم هذه الأشياء قيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها (خالصة)

قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والأصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك غرض لأن المنكر عليهم دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون فى هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الأمر الإرادة لأن الله تعالى

رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞
يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ

لهم (يوم القيامة) لايشركهم فيها أحد (فإن قلت) هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر (الفواحش) ماتفاحش قبحه أى تزايد وقيل هي مايتعلق بالفروج (والإثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغي) الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (مالم ينزل به سلطانا) فيه تهكم لأنه لايجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم ۞ وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لأنها أقل الأوقات فى استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه فى ساعة يريد أقصر وقت وأقربه (إما يأتينكم) هى إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (فإن قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء (فمن أظلم) فمن أشنع ظلماً ممن تقول على الله مالم يقله أو كذب ماقاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار (حتى إذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أى إلى وقت وفاتهم وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهى إذا جاءتهم رسلنا قالوا و (يتوفونهم) حال من الرسل أى متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه ۞ وما وقعت موصولة بأين فى خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوه فى العاقبة (قال ادخلوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب (فى أمم) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم وفى غمارهم مصاحبين لهم أى أدخلوا فى النار مع أمم (قد خلت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت أختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى إذا اداركوا فيها) أى تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار

يأمر بما لايريد ويريد مالا يأمر به ۞ قوله تعالى قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا الآية (قال فى هذا تهكم لأنه لايجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره) قال أحمد وإنما يعنى التهكم منه لأن الكلام جرى مجرى ماله سلطان إلا أنه لم ينزل لأنه إنما نفى تنزيل السلطان به ولم ينف أن يكون به سلطان وكان أصل الكلام وأن تشركوا بالله مالا سلطان به فينزل فيكون على طريقة ۞ على لاحب لايهتدى بمناره

لأُولَـٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

(قالت أخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لأولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لامعهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لأن كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن لاتعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وأنا متساوون فى استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا (لاتفتح لهم أبواب السماء) لايصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين وقيل إن الجنة فى السماء فالمعنى لايؤذن لهم فى صعود السماء ولايطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لاتصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لاتنزل عليهم البركة ولايغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لاتفتح بالتشديد ولايفتح بالياء ولاتفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عزوجل ۝ وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه إن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل يعنى أن الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الإبرة والبعير لايناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل فى ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به فى المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل فى عظم الجرم قال

۝ جسم الجمال وأحلام العصافير ۝

إن الرجال ليسوا بجزر ترادمنهم الأجسام فقيل لايدخلون الجنة حتى يكون مالايكون أبدأ من ولوج هذا الحيوان الذى لايلج إلا فى باب واسع فى ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف ۝ وقرئ فى سم بالحركات الثلاث ۝ وقرأ عبدالله فى سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم مايخاط به وهو الإبرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال و (كذلك نجزى الظالمين) لأن كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى «وله الجوار المنشآت» فى قراءة عبدالله (لانكلف نفساً إلا وسعها) جملة معترضة بين المبتدإ والخبر للترغيب فى اكتساب مالايكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ الأعمش لاتكلف نفس ۝ من كان فى قلبه غل على أخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (هدانا لهذا) أى وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدى)

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۞ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى

اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سروراً واغتباطا بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة (أن تلكم الجنة) أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم أي تلكم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ۞ أن في (أن قد وجدنا) يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك (أن لعنة الله على الظالمين) وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع

۞ قوله تعالى «وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» (قال محمود اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه تكفح وجوه القدرية بالرد فإنها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على أن المهتدي من خلق الله له الهدى وأن غير ذلك محال أن يكون فلا يهتدي إلا من هدى الله ولو لم يهده لم يهتد وأما القدرية فيزعمون أن كل مهتد خلق لنفسه الهدى فهو إذاً مهتد وإن لم يهده الله إذ هدى الله للعبد خلق الهدى له وفي زعمهم أن الله تعالى لم يخلق لأحد من المهتدين الهدى ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله عما يقولون ولما فطن الزمخشري ذلك جرى على عادته في تحريف الهدى من الله تعالى إلى اللطف الذي بسببه يخلق العبد الاهتداء لنفسه فأنصف من نفسك واعرض قول القائل المهتدي من اهتدى بنفسه من غير أن يهديه الله أي يخلق له الهدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين في دار الحق وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وانظر تباين هذين القولين أعني قول المعتزلي في الدنيا وقول الموحد في الآخرة «في مقعد صدق» واختر لنفسك أي الفريقين تقتدي به وما أراك والخطاب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكي عن أولياء الله في دار السلام منوهاً به في الكتاب العزيز قول قدري ضال تذبذب مع هواه وتعصبه في دار الغرور والزوال نسأل الله حسن المآب والمآل ۞ عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» المراد بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة) قال أحمد يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلا منه ورحمة لأن ذلك مستحق عليه وواجب للعبادة وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها جمعا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شيء فانظر أيها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة وحاكم نفسك إليها ثم إذا وضح لك أنهم برآء في هذا البر فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع بوجودها ولا يتضرر بتركها تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها أقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة والسلام ۞

الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا

أهل الجنة وأهل النار وقرئ أنّ لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال ۞ (فإن قلت) هلا قيل ماوعدكم ربكم كما قيل ماوعدنا ربنا (قلت) حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ماوعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مماساءهم ومانعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الأعراف) وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة ۞ إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) ورأوا ماهم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ۞ ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة) يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا مايقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لايسبق عند الله إلا بسبقة في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله وإذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا ۞ وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم ۞ وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة ۞ (فإن قلت) كيف لائم هاتين القراءتين قوله (لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله أدخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون ۞ فإن قلت: مامحل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لامحل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال ۞ ما أغنى عنكم جمعكم المال

عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل ماوعدكم ربكم كما قيل ماوعدنا الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا لكان الفعل مطلقا أيضا باعتبار الموعود به لأنه لم يذكر فكان يتناول كل موعود من البعث والحساب والعقاب الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف واستغناء عنه بالأول والله أعلم

(قوله كما تقول المبطلة) يريد أهل السنة القائلين دخولها بالفضل واقتسامها بالأعمال كما في الحديث

مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ

أو كثرتكم واجتماعكم ۞ وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة (أفيضوا علينا) فيه دليل على أنّ الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الأشربة لدخوله فى حكم الإفاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله ۞ علفتها تبنا وماء باردا ۞ وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة اليه حيرة فى أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف مايحرم عليه ويحظر كقوله ۞ حرام على عينى أن تطعم الكرى ۞ (فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لايذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به (فصلناه على علم) عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها و(هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (إلا تأويله) إلا عاقبة أمره ومايؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة مانطق به من الوعد والوعيد (قدجاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين وصحّ أنهم جاؤا بالحق (نرد) جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أوهل نرد ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلايقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبى إسحق أو نرد بالنصب عطفاً على فيشفعوا لنا أو تكون أو بمعنى حتى أن أى يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد أى يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما جميعاً والدليل على الثانى قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثاً حسن الملاءمة لقراءة حميد (بأمره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمى ذلك أمراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ۞ وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ۞ ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والأمر) أى هو الذى خلق الأشياء كلها وهو الذى صرفها على حسب إرادته (تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية ۞ وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أى تذللا وتملقا ۞ وقرئ وخفية وعن الحسن رضى الله عنه

۞ قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخيفة إنه لايحب المعتدين (قال التضرع تفعل من الضراعة وهى الذل الخ) قال أحمد،

(قوله وقرئ وخفية) لعلّ هذه بالكسر

بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمت الله قريب من المحسنين ۞ وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ۞ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكداً كذلك

إنّ الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى إن كان الرجل لقد جمع القرآن ومايشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولايشعر الناس به وإن كان الرجل لايصلى الصلاة الطويلة وعنده الزور ومايشعرون به ولقدأدركنا أقواماما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ومايسمع لهم صوت إن كان إلاهمسا بينهم وبين ربهم وذلك أنّ الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاوخفية وقدأثنى على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا (إنه لايحبّ المعتدين) أى المجاوزين ماأمروا به فى كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى إنه لايحب المعتدين (إنّ رحمة الله قريب من المحسنين) كقوله وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً . وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أى شىء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب أو لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقى ۞ قرئ نشراً وهو مصدر نشر وانتصابه إمّا لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشراً وإمّا على الحال بمعنى منتشرات ونشراً جمع نشور ونشراً تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشراً بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشراً جميع بشير وبشراً بتخفيفه وبشراً بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أى باشرات وبشرى (بين يدى رحمته) أمام رحمته وهى الغيث الذى هو من أتمّ النعم وأجلها وأحسنها أثراً (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى الذى يرفعه قليلا (سحاباً ثقالا) سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لأجل بلد ليس فيه حيا أو لسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به ۞ كذلك) مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر إلى أنه لافرق بين الإخراجين إذ كل واحد منهما إعادة للشىء بعد إنشائه (والبلد الطيب) الأرض العذاة الكريمة التربة (والذى خبث) الأرض السبخة التى لاتنبت ماينتفع به ۞ بإذن ربه : بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسناوافيالأنه واقع

وحسبك فى تعين الأسرار فى الدعاء اقترانه بالتضرع فى الآية فالاخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله فى الدعاء وإن دعاء لاتضرع فيه ولاخشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لاخفية ولاوقار يصحبه وترى كثيراً من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح فى الدعاء خصوصا فى الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتدّ وتستد المسامع وتستك وتهتز الداعى بالناس ولايعلم أنه جمع بين بدعتين رفع الصوت فى الدعاء وفى المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لاتحصل مع خفض الصوت ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار وماهى إلارقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والأطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لأنها لوكانت من أصل لكانت عند اتباع السنة فى الدعاء وفى خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى فما أكثر التباس الباطل بالحق على عقول كثير من الخلق اللهم أرنا الحقّ حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

(قوله هو النقيض والضغيب) النقيض هو صوت العقاب وصوت المحمل والضغيب صوت الأرنب
(قوله الأرض العذاة الكريمة التربة) العذاة يفسره مابعده كما يفيده الصحاح

نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ

فى مقابلة (نكداً) والنكد الذى لاخير فيه ۞ وقرئ يخرج نباته أى يخرجه البلد وينبته وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لايخرج نباته إلا نكداً لحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه الذى هو الراجع إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذى خبث ۞ وقرئ نكداً بفتح الكاف على المصدر أى ذا نكد ونكداً بإسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لايؤثر فيه شىء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء أى يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحا) جواب قسم محذوف (فإن قلت) مالهم لايكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله: ۞ حلفت لها بالله حلفة فاجر ۞ لناموا (قلت) إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لاتساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجاراً وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبى عليه السلام ۞ وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم إله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى مالكم من إله إلا إياه كقولك مافى الدار من أحد إلا زيداً وغير زيد (فإن قلت) فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله ۞ واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (الملأ) الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (فى ضلال) فى ذهاب عن طريق الصواب والحق ۞ ومعنى الرؤية رؤية القلب ۞ (فإن قلت) لم قال (ليس بى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شىء من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت مالى تمرة ۞ (فإن قلت) كيف وقع قوله (ولكنى رسول) استدراكا للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة ۞ وقرئ أبلغكم

قوله تعالى «قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين» (قال إن قلت لم قال ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال أحمد تعليله كون نفيها أبلغ من نفى الضلال بأنها أخص منه غير مستقيم والله أعلم فإن نفى الأخص أعم من نفى الأعم فلا يستلزمه ضرورة أن الأعم لايستلزم الأخص بخلاف العكس ألا تراك إذا قلت هذا ليس بإنسان لم يستلزم ذلك أن لايكون حيوانا ولو قلت هذا ليس بحيوان لاستلزم أن لايكون إنسانا فنفى الأعم كما ترى أبلغ من نفى الأخص والتحقيق فى الجواب أن يقال الضلالة أدنى من الضلال وأقل لأنها لاتطلق إلا على الفعلة الواحدة منه وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى لا من حيث كونه أخص وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى والله أعلم ۞ قوله تعالى ولكنى رسول من رب

أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ

بالتخفيف (فإن قلت) كيف موقع قوله أبلغكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفاً بياناً لكونه رسول رب العالمين والثانى أن يكون صفة لرسول (فإن قلت) كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لأن الرسول وقع خبراً عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال ۞ أنا الذى سمتن أمى حيدره ۞ (رسالات ربى) ما أوحى إلىّ فى الأوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الأوامر والنواهى والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة (وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه لاغير فربّ نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفات الله وأحواله يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لايردّ عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لايعلمون ماعلمه نوح بوحى الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لاعلم لكم بها قد أوحى إلىّ بها (أو عجبتم) الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من أن جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ماوعدتنا على رسلك وذلك أنهم يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الإنذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به ۞ (فإن قلت) (فى الفلك) بم يتعلق (قلت) هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه فى الفلك أو صحبوه فى الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء اى أنجيناهم فى السفينة من الطوفان (عمين) عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمى والعامى أن العمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك (أخاهم) واحداً منهم من قولك ياأخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا و (هوداً) عطف بيان له ۞ (فإن قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال ياقوم) ولم يقل فقال كما فى قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ) (فإن قلت) لم وصف الملأ (الذين كفروا) دون

العالمين أبلغكم رسالات ربى الآية (قال إن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان الخ) قال أحمد وقداستدرك ابن جنى قوله أبى الطيب ۞ أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ۞ عدولا عن لفظ الغيبة لوكان إلى أدبه وهذه الآية والرجز العلوى كفيلان بتحسين مالرتكبه أبو الطيب (قال فإن قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى فى قصة هود هذه قال ياقوم ولم يقل فقال قلت لأنه أخرج الكلام جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فما قال هود حينئذ قيل قال ياقوم وكذلك قال الملأ) قال أحمد وحذف العاطف من المقاولة ألا ترى قوله فى سورة الشعراء حكاية عن تقاول موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الأقوال المعددة فيها والسر فى ذلك والله أعلم أن العاطف ينتظم الجمل حتى يصيرها كالجملة الواحدة فاجتنب لإرادة استقلال كل واحدة منها فى معناها والله أعلم

ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝

الملأ من قوم نوح (قلت) كان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لاغير (فى سفاهة) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفى إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قال لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على مايكون منهم (ناصح أمين) أى عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقى أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ماأقول لكم لا أكذب فيه (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أو جعلكم ملوكا فى الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم (فى الخلق بسطة) فيما خلق من أجرامكم ذهابا فى الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وماسواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلا نحو إنى وإناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب ۝ (فإن قلت) إذ فى قوله إذ جعلكم خلفاء ماوجه انتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (أجئتنا لنعبد الله وحده) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشأوا عليه وألفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فإن قلت) مامعنى المجىء فى قوله أجئتنا (قلت) فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجىء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فأتنا بما تعدنا) استعجال منهم للعذاب (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبدالرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يابنى مالك قال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه إلى صدره وقال له يابنى قد قلت الشعر ۝ والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (فى أسماء سميتموها) فى أشياء ماهى إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الآلهة فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله تعالى ماتدعون من دونه من شىء ومعنى سميتموها سميتم بها من سميته زيداً ۝ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عاداً قد تبسطوا فى البلاد مابين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم

(قوله فى بردى حبرة فضمه) حبرة كعنبة برد يمانى اهـ صحاح

فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً

حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذبن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ماهم عليه وكان يستحى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعراً نغنيهم به لايدرون من قاله فقال معاوية

ألا ياقيل ويحك قم فهينم ۞ لعل الله يسقينا غماما ۞ فيسقى أرض عاد إن عادا ۞ قد امسوا مايبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لايقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ماكنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا ۞ (فإن قلت) مافائدة نفى الإيمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع إثبات التكذيب بآيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين ۞ قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحىّ أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادى القرى (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتى ۞ وكأنه قيل ماهذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها مادل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمروا أعماراً طوالا حتى أن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لايعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت تردغبا فإذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ماشاؤا حتى تمتلىء أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرّت به من مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل فى أرض الله) أى الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) لاتضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشىء من الأذى إكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر فى غزوة تبوك قال لأصحابه لايدخلن أحد منكم القرية ولاتشربوا من مائها ولاتدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم ياعلىّ أتدرى من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر فى رواية تأكل فى أرض الله وهو فى موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (فى الأرض) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (من سهولها قصورا) أى تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر ۞ وقرأ الحسن وتحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ۞ ينباع من ذفرى أسيل حرة ۞ (فإن قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت) على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابرهذه القصبة قلما وهى من الحال المقدرة لأن الجبل لايكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما فى حال الخياطة والبرى وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (الذين استضعفوا) الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (فان قلت) الضمير فى منهم راجع إلى ماذا (قلت) إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا (فإن قلت) هل لاختلاف المرجعين أثر فى اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن

۞ قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا لمن آمن منهم » (قال محمود إن قلت الضمير فى منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه الخ) قال أحمد فقوله لمن على الأول بدل الشىء من الشىء وهما لعين واحدة وعلى الثانى

(قوله ثم تتفحج فيحتلبون) تتفحج أى تفرج ما بين رجليها (قوله وانفجت الصخرة) انفجت أى انفتحت (قوله من الرهص واللبن والآجر) الرهص هو الصخر الثابت فى أسفل الحائط اه من الصحاح

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ❁ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِ كَٰفِرُونَ ❁ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ❁ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ❁ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ❁ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ❁

استضعف منهم فدلّ أنّ استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم ودلّ أنّ المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربه) شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول المجسمة أتعلمون أنّ الله فوق العرش ❁ (فان قلت) كيف صحّ قولهم (إنا بما أرسل به مؤمنون) جوابا عنه (قلت) سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لايدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به مالا كلام فيه ولاشبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنابه مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (إنا بالذى آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلماً (فعقروا الناقة) أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا ومافعله إلا واحد منهم (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أوشأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم ونحو عن هذه مافى قوله ومافعلته عن أمرى (ائتنا بما تعدنا) أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بماهم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التى زلزلت لها الأرض واضطربوا لها (فى دارهم) فى بلادهم أوفى مساكنهم (جاثمين) هامدين لايتحركون موتى يقال الناس جثم أى قعود لاحراك بهم ولايتبسون نبسة ومنه المجثمة التى جاء النهى عنها وهى البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبورغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أنّ صالحاً كان بعثه إلى قوم فخالف أمره وروى أنه عليه السلام مرّ بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن (فتولى عنهم) الظاهر أنه كان مشاهداً لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ماأبصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على مافاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول (ياقوم لقد) بذلت فيكم وسعى ولم آل جهداً فى إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم (لاتحبون الناصحين) ويجوز أن يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر لإصرارهم

بدل بعض من كل ❁ عاد كلامه (قال محمود فإن قلت كيف وقع قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا الخ) قال أحمد وقولهم إنا به مؤمنون ليس إخباراً عن وجوب الإيمان به بل عن امتثال الواجب والعمل به ونحن قد امتثلنا ❁ عاد كلامه قال محمود ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذى الخ) قال أحمد ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا إنا بما أرسل به كافرون ولكن أبوا ذلك حذراً مما فى ظاهره من إثباتهم لرسالته وهم يجحدونها وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم كما قال فرعون إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون فأثبت إرساله تهكما وليس هذا موضع التهكم فإنّ الغرض إخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فلهذا خاص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة احتياطاً للكفر وغلواً فى الإصرار

(قوله على سبيل الطنز والسخرية) قوله الطنز تفسيره مابعده (قوله وبما أرسل به مالا كلام فيه) لعله مما

إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ۞ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ۞ فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ۞ وأمطرنا

حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فإن قلت) كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لاتحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه فى التهلكة يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى وقوله ولكن لاتحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطا) وأرسلنا لوطا و (إذ) ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها) ماعملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد من العالمين) من الأولى زائدة لتوكيد النفى وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فإن قلت) ماموقع هذه الجملة (قلت) هى جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب السؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ماسبقكم بها أحد فلاتفعلوا مالم تسبقوا به (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها (شهوة) مفعول له أى للاشتهاء لاحامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصفهم بالبهيمية وأنه لاداعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا) يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشىء آخر لايتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم (أنهم أناس يتطهرون) سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد (وأهله) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا فى ديارهم أى بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت ۞ وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه ۞ (فإن قلت) أى فرق بين مطر وأمطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفى نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور

۞ قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا (قال يقال مطرتهم السماء وواد ممطور الخ) قال أحمد مقصود المصنف الرد على من

(قوله أبعدوا عنا هذا المتقشف) المتقشف هو الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع من القشف وهو التغير من الشمس أو الفقر اه (قوله من ذويه أو من المؤمنين) يعنى أقاربه وامرأته (قوله حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور) حرى الأول بمعنى ناحية وجانب والثانى بمعنى جدير وحقيق وممطور الأول بمعنى مصاب بالمطر والثانى بمعنى مذهوب فيه

عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ۞ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ۞ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة

ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غانتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيباً يعنى الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين ۞ كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الإيمان بى والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا (فإن قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لابد لمدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئاً لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ماروى من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب ۞ (فإن قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيال والميزان كما فى سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى مايكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ۞ ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفى أمثالهم تحسبها حمقاء وهى باخس وقيل (أشياءهم) لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شىء فى مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لايدعون شيئاً إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروى أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا (بعد إصلاحها) بعد الاصلاح فيها أى لاتفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم فى الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف (ذلكم) إشارة إلى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد فى الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعنى فى الإنسانية وحسن الأحدوثة وماتطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب فى متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية (إن كنتم مؤمنين) إن كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم (ولاتقعدوا بكل صراط) ولاتقتدوا بالشيطان فى قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) ۞ ومحل توعدون وماعطف عليه النصب على الحال أى ولاتقعدوا

يقول مطرت السماء فى الخير وأمطرت فى الشر ويتوهم أنها تفرقة وضعية فبين إن أمطرت معناه أرسلت شيئاً على نحو المطر وإن لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعا من الخيرات والأرزاق مثلا كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات أى أرسلتها إرسال المطر فليس للشر خصوصية فى هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئا سوى المطر إلا وكان عذابا فظن الواقع اتفاقا مقصودا فى الوضع فنبه على تحقيق الأمر فيه وأحسن وأجمل

كذا يؤخذ من الصحاح (قوله التنين حين دفع اليه) قوله التنين هو ضرب من الحيات والدرع سود الروس بيض سائر الأبدان اه

الْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ

موعدين وصادين عن سبيل الله و باغيها عوجا (فإن قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحداً يشرع فى شىء منها أوعدوه وصدوه ۞ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى (آمن به) (قلت) إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح أمرهم ودلالة على عظم مايصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم أن شعيبا كذاب فلا يفتنكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ماهو محال لأن طريق الحق لايعوج (واذكروا إذ كنتم قليلا) إذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على مايسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لأن حكمه حق وعدل لايخاف فيه الحيف ۞ أى ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم فى الكفر (فإن قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود

۞ قوله تعالى «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا» الآيات (قال إن قلت كيف خاطبوا شعيباً بصيغة العود الخ) قال أحمد والزمخشرى بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعى رجوع العائد إلى حال كان عليها قبل والتحقيق فى الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك أن هذا الفعل وإن استعمل كذلك إلا أنه كثيراً ما يرد بمعنى صار وحينئذ يجوز أن يكون أخا الكان ولا يستدعى الرجوع إلى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة إلى حالة مؤتنفة مثل صار وكأنهم قالوا والله أعلم لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن كفاراً مثلنا وحينئذ يندفع السؤال أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع إلى أمر سابق ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» والإخراج يستدعى دخولا سابقا فيما وقع الإخراج منه ونحن نعلم أن المؤمن الناشئ فى الإيمان لم يدخل قط فى ظلمة الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الأصلى لم يدخل قط فى نور الإيمان ولا كان فيه ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية التى خلق الله العبد متيسراً لكل واحد منهما متمكنا منه لو أراده فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه إلى الإيمان إخباراً بالإخراج من الظلمات إلى النور توفيقاً من الله له ولطفا به وبالعكس فى حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره فى هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لإقامة حجة الله على عباده والله أعلم ۞ عاد كلامه قوله تعالى

مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۝ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ

فى الكفر فى قولهم (أولتعودن فى ملتنا) وكيف أجابهم بقوله (إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها) والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر (قلت) لما قالوا لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا فى الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه فى جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب (فإن قلت) فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (إلا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم فى الكفر (قلت) معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله (وسع ربنا كل شىء علما) أى هو عالم بكل شىء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تنقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ويجوز أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لأن مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج عن الحكمة ۝ أو لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح لنا (ربنا افتح بيننا) أحكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا (وبين قومنا) وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (فإن قلت) كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم (قلت) هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا فى الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ فى الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال الملأ الذين

« وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » (قال إن قلت الله تعالى مقدس عن أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم إلى الكفر الخ) قال أحمد وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة فى اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والأصلح وهو غير موجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله وأما استدلال الزمخشرى على صحة تأويله بقوله وسع ربنا كل شىء علما فمن احتياله فى التأويلات الباطلة يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها وموقع قوله وسع ربنا كل شىء علما الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الأمور الغائبة فإن العود إلى الكفر جائز فى قدرة الله أن يقع من العبد ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالحذر قائم والخوف لازم ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والإيمان السالم والله الموفق ونظيره قول إبراهيم عليه السلام ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما فمادة الأمر إلى المشيئة وهى مغيبة بحمد الله تعالى بالانفراد بعلم الغائبات والله أعلم ه عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الأول فألحقه به وسحقا سحقا

(قوله والله تعالى متعال أن يشأ ردة) أى تنزه عن أن يشاء الخ على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشر أما عند أهل السنة فيريده كالخير وكذا قوله محال خارج عن الحكمة فيما بعد مبنى على مذهبهم أيضا

إذاً لخسرون * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جثمين * الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخسرين * فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسلت ربى ونصحت لكم فكيف ءاسى على قوم كفرين * وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس ءاباءنا الضراء والسراء فأخذنهم بغتة وهم لا يشعرون * ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذنهم بما كانوا يكسبون * أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيتاً وهم نائمون * أو أمن

كفروا من قومه) أى أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان (لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون) لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية (فإن قلت) ماجواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط (قلت) قوله إنكم إذاً لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم الخاسرون) وفى وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملإ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم * الأسى شدة الحزن قال العجاج * وانحلبت عيناه من فرط الأسى * اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم مانزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم فى الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى * وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة (إلا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة (ثم بدلناه مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ماكانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة * بمستأسد القريان عاف نباته * وقال :

ولكننا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب (فأخذناهم) أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم * اللام فى القرى إشارة إلى القرى التى دل عليها قوله وما أرسلنا فى قرية من نبى كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصى مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات (ولكن كذبوا فأخذناهم) بسوء كسبهم

(قوله وقال الحطيئة بمستأسد القريان) فى الصحاح استأسد النبت قوى والتف وفيه القرى على فعيل مجرى الماء فى الروض والجمع أقرية وقريان

أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞

ويجوز أن تكون اللام فى القرى للجنس (فإن قلت) مامعنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما بيسر أمر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين ۞ البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى لجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون وقديكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أووقت بيات أومبيتا أومبيتين أويكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا و (ضحى) نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى فى الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت ۞ والفاءوالواوفى أفأمن وأو آمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار (فان قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك من أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى ۞ وقرئ أوأمن على العطف بأو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لايجدى عليهم كأنهم يلعبون ۞ (فإن قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله (قلت) هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لايشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون فى خوفه من مكر الله كالمحارب الذى يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له مالى أرى الناس ينامون ولاأراك تنام فقال يابنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم باسنا بياتا ۞ إذاقرئ أولم يهد بالياء كان أن لونشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو إنا لونشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإذاقرئ بالنون فهو منصوب كأنه قال أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا (لونشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (فإن قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه أوجه أن يكون معطوفا على مادل عليه معنى أو لم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الارض أويكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فإن قلت) هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لونشاء بمعنى لوشئنا ويعطف على أصبناهم (قلت) لايساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف

❊ قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لونشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال إن قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد بل يجوز والله عطفه عليه ولايلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولايضرهم إن كانوا كفارا أو مقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولابد إذ الطبع هو التمادى على الكفر والإصرار والغلو فى التصميم حتى يكون الموصوف به مايوسا من قبوله للحق ولايلزم أن يكون كل كافر بهذه المثابة بلى إن الكافر يهدد من تماديه على كفره بأن يطبع الله على قلبه فلا يؤمن أبدا وهو مقتضى العطف على أصبناهم فتكون الآية قد هددتهم بأمرين أحدهما الإصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثانى أشد من الاول وهو أيضا نوع من الإصابة بالذنوب أوالعقوبة عليها ولكنه أنكى أنواع العذاب وأبلغ صنوف العقاب وكثيرا مايعاقب الله على الذنب بالإيقاع فى ذنب أكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلو فيه كما قال تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما زادت المؤمنين إيمانا إلى إيمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الإيمان إيمان وثواب الكفر كفر وإنما الزمخشرى يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع فى مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لأنه قبيح والله عنده متعال وأنى يتم الفرار من الحق وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن

الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدى إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلى شيخا فى أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فإن قلت) مامعنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة فى قولك هو الرجل الكريم (فإن قلت) مامعنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها (قلت) معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجىء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجىء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لايرعون ولاتلين شكيمتهم فى كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفى وأن الإيمان كان منافيا لحالهم فى التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق أى وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه فى الإيمان والتقوى (وإن وجدنا) وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى قوله إذاهم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولايسوغ ذلك إلا فى المبتدإ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان ۞ يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال ياملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (حقيق على أن لاأقول على الله إلا الحق) فيه أربع قرآت المشهورة وحقيق علىّ أن لا أقول وهى قراءة نافع وحقيق أن لاأقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بأن لاأقول وهى قراءة أبىّ

۞ قوله تعالى «إنى رسول من رب العالمين حقيق أن لاأقول على الله إلا الحق» (قال محمود فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق علىّ أن لا أقول الخ) قال أحمد القلب يستعمل فى اللغة على وجهين أحدهما قلب الحقيقة إلى المجاز لوجه من المبالغة كقوله ۞ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ۞

وكقوله قد صرح السر عن كتمان وابتذلت ۞ وضع المحاجن بالمهرية الذقن

كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا

وفى المشهورة إشكال ولاتخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لامن الإلباس كقوله ۞ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ۞ ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علىّ أن لاأقول وهى قراءة نافع والثانى أنّ ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أى لازماً له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه إلادخل فى نكت القرآن أن يعرق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لاسيما وقد روى أنّ عدوّ الله فرعون قال له لما قال إنى رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلى ناطقاً به (فأرسل معى بنى إسرائيل) فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين إلى الأرض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام (فإن قلت) كيف قال له (فأت بها) بعد قوله إن كنت جئت بآية (قلت) معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتنى بها وأحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لايشك فى أنه ثعبان وروى أنه كان ثعبانا ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل فى الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه موسى فعاد عصى ۞ (فإن قلت) بم يتعلق (للناظرين) (قلت) يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك مايروى أنه أرى فرعون يده وقال ماهذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هى بيضاء بياضاً نورانيا

فالحقيقة أنّ الضياطرة تشقى بالرماح والمهرية تبتذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيهاً على أنّ الرماح قد تنقصد وتتقصف فى أجوافهم فعبر عن ذلك بالشقاء وأنّ المحاجن كثيراً ماترفع وتوضع وتستعمل فى ضرب المهرية وربما تمزقت عن ذلك فجعل ذلك ابتذالاً لها وقد حام أبو الطيب حول هذا النوع كثيراً فى أمثال قوله

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به ۞ وللسيوف كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف انقطاعه فى أضلاع المضروب كما صرّح بذلك فى قوله

طوال الردينيات يقصفها دمى ۞ وبيض السريجيات يقطعها لحمى

الوجه الثانى قلب معرّى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لايستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه الأوّل الأفصح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشرى وفى طيه من المبالغة مانبهت عليه وأمّا الوجه الثانى وهو أنّ مالزمك فقد لزمته ففيه نظر من حيث أنّ اللزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو أن يكون على بمعنى الباء ونقل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله أعلم ويشهد له قراءة أبىّ حقيق

(قوله أن يعرق موسى فى وصف) لعله يغرق بالمعجمة وفى الصحاح أغرق النازع فى القوس أى استوفى مدّها
(قوله فاغراً فاه) قوله فاغرا أى فاتحا

أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞

غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (إن هذا لساحر عليم) أى عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصى حية والآدم أبيض (فإن قلت) قد عزى هذا الكلام إلى فرعون فى سورة الشعراء وأنه قاله للملإ وعزى ههنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأى فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه فى قولهم (أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحار أى يأتوك بكل ساحر مثله فى العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرنى بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأى وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملإ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون قالوا أرجئه وأخاه معنى أرجئه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجأه وأرجاه ۞ (فإن قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ماقالوا إذ جاؤه فأجيب بقوله (قالوا ائن لنا لأجرا) أى جعلا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لابد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة ۞ (فإن قلت) (وإنكم لمن المقربين) ماالذى عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد إنى لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب مايقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة ومعلمهم فقال لهم ماصنعتم قالوا قد علمنا سحرا لايطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لاطاقة لنا به وروى أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لانغالب موسى إلا بما هو منه يعنى السحر ۞ تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا فى الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم (وإما أن نكون نحن الملقين) فيه مايدل على رغبتهم فى أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ماتراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوى وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ماالحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى : روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هى أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها

بأن لا أقول ۞ قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة الخ) قال أحمد معتقد المعتزلة إنكار وجود السحر والشياطين والجن فى خبط طويل لهم ومعتقد أهل السنة إقرارها لظواهر على ماهى عليه لأن العقل لايحيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الإقرار بوجوده ولايمنع عند أهل السنة أن يرقى الساحر فى الهواء ويستدق فيتولج فى الكوة الضيقة ولايمتنع أن يفعل الله عند إرشاد الساحر مايستأثر الاقتدار

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن

بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم. (بسحر عظيم) فى باب السحر روى أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها مايوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصى كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أى فأثر فيها من قولهم فاس وقيع (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقى السحرة) وخروا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا. عن قتادة كانوا أول النهار كفاراً سحرة وفى آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد فى الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا فى الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الإخبار أى فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخاً لهم وتقريعاً وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والإستبعاد (إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة) أن صنعكم هذه الحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بنى إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الإيمان وروى أن موسى عليه السلام قال للساحر الأكبر أتؤمن بى إن غلبتك قال لآتين بسحر لايغلبه سحر وإن غلبتنى لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن) وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم (من خلاف) من كل شق طرفاً وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون (إنا إلى ربنا منقلبون) فيه أوجه أن يريدوا إنا لانبالى بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وإنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا أو أنا لامحالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا مالابد لنا منه (وما تنقم منا إلا أن آمنا) وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وماتعيب منا إلا ماهو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ۞ ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم ۞ (أفرغ علينا صبراً) هب لنا صبراً واسعاً وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء فراغاً وعن بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوباً ثم يقول قد مازحتك أى

عليه وذلك واقع بقدرة الله تعالى عند إرشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد الصدق وإنما أجريت هذا الفصل لأن كلام الزمخشرى لايخلو من رمز إلى إنكاره إلا أن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح بالدفاع وكشف القناع. لايدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما فى نفسه فيسميه شعوذة وحيلة وبالقطع يعلم أن الشعوذة والحيلة لاتعلم فى يد ابن عمر رضى الله عنه حتى يكوعها ولا تؤثر فى سيد البشر حتى يخيل اليه أنه يأتى نساءه وهو لايأتيهن وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضاً وافعاً فالعمدة أن كل واقع فبقدرة الله تعالى فلايمتنع أن يوقع تعالى بقدرته عند إرشاد الساحر

قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ

يغمره بالحياء والخجل أوصب علينا مايطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ماتوعدنابه فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنامسلمين) ثابتين على الاسلام (ويذرك) عطف على يفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا إلى مادعوه فساداً وإلى تركه وترك آلهتـه فكأنه تركهم لذلك أوهو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بينى ۞ وبينكم المودة والإخاء والنصب بإضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر موسى بمعنى أتذره وأيذرك يعنى تطلق له ذلك أويكون مستأنفا أوحالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس رضى الله عنه ونذرك بالنون والنصب أى يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلاهتك أى عبادتك وروى أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد فى الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أناربكم الأعلى (سنقتل أبناءهم) يعنى سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لاأثر لها فى ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذى أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ماوعد الله بنى إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فإن قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التى قبلها (قلت) هى جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ماسبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون ۞ وقوله (إن الأرض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة إنما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبىّ وابن مسعود عطفا على الأرض (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام إلى أن استنبئ وأعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيـه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فلينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب مايوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هـذه الآية ثم دخل عليـه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون (بالسنين) بسنى القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو

أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء والله الموفق

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞

ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس رضي الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لاتحمل النخلة إلا تمرة (لعلهم يذكرون) فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس فى حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أوحمى لما ادعى الربوبية (فإذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل فى النعمة والرفاهية واللام مثلها فى قولك الجل للفرس (وإن تصبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فإن قلت) كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة (قلت) لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا فى الندرة ولا يقع إلا شىء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذى يشاء مايصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الذى يجرى عليهم مايسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبى الحسن هو تكسير (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى تخرج أخرج

۞ قوله تعالى «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون إلى قوله يعلمون» (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لأن ذلك كان لإصرارهم الخ) قال أحمد دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها بهم حتى لايشركهم فيها أحد فدل عليه تقديم الخبر الذى هو لنا وقد علمت طريقة المصنف فى إسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه وعادكلامه (قال فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فلم يراع فرق مابينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافا أوجب فى كل واحد منهما ماذكر فيه ۞ قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذى عده أولا من كلام سيبويه وسنذكره قال سيبويه وسألت الخليل عن مهما فقال هى ما أدخلت معها ما بلغوا بمنزلتها مع متى إذا قلت متى ماتأتنى حدثتك انتهى كلام سيبويه وكأن هذا القائل والله أعلم اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما فظنها فى معناها وإنما شبه الخليل بالثانية من مهما فى لحاقها زائدة مؤكدة للأولى بما اللاحقة لمتى عاد كلام سيبويه قال ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى انتهى نقله عن الخليل قال سيبويه ويجوز أن تكون كإذ ضمت إليها ما انتهى كلامه ۞ قال أحمد ومعنى تشبيه سيبويه لها بإذما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الأول منها خاصة وإلا لكان عين مذهب الخليل والذى يحقق ذلك أن سيبويه قال أول هذا الباب وأما حيث وإذ فلا يجازى بهما حتى يضم إليهما ما فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأنما وليست ما فيهما بلغوا ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغو يعنى ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ فى اقتضاء الجزاء حتى لايفيده إلا اجتماع جزئى الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر فى أن سيبويه هل

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝

أينما تكونوا يدرككم الموت فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مه هى الصوت الذى يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنابه (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فإن قلت) مامحل مهما (قلت) الرفع بمعنى أيما شىء تأتنابه أو النصب بمعنى أيما شىء تحضرنا تأتنابه ومن آية تبيين لمهما والضميران فى به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لأنه فى معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة ۝ وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتنى أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية فى شىء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنابه من آية بمعنى الوقت فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه (فإن قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ماسموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتباراً لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ماطاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بنى إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبى قلابة الطوفان الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع مالم يعهد بمثله فأقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شىء حتى الأبواب

أراد أن ماضمت إلى مه التى هى الصوت أو إلى ما الجزائية والظاهر من مراده أن انضمامها إلى الصوت لأنها لو كانت منضمة إلى ما الجزائية لكانت مستقلة بإفادة الجزاء قبل انضمام ما إليها ولا تكون مثل إذا وحيث ولا يكون تنظير سيبويه مطابقا وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعزا ابن خروف هذا المذهب إلى سيبويه ورد قول ابن بشاذ أن هذا المذهب للخليل خاصة وقد تواطأ ابن بشاذ والزمخشرى على نفى هذا المذهب عن سيبويه وإعزائه إلى غيره وأظهر ماقوى به مذهب الخليل والله أعلم أن هذه الكلمة استعملت فى الاستفهام حسب استعمالها فى الجزاء وأنشدوا مهما لى الليلة مهماليه ۝ أودى بنعلى وسرباليه

أراد مالى الليلة ولا إشكال ههنا أنها ما الاستفهامية كررت تأكيداً كما يقولون لالا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الأولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وإن لم يكن تكرار فهو معه أجدر وإذا وضح أن مهما الواقعة فى الاستفهام أصلها ما مكررة كان ذلك أوضح دليل على أن الواقعة فى الجزاء كذلك والاستشهاد بالنظائر أميز حجج العربية والله أعلم وأمارد الزمخشرى على من زعم أنها بمعنى متى مافرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فإن الضمير المجرور فيها عائد إلى مهما حتما وقد اتصل به مفسراً له قوله من آية دل على أن الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة اتحاد المرجع فى المضمر ومظهره فذهاب هذا القائل إلى إيقاع مهما على الوقت زاعما أنها بمعنى متى ماذهاب عن الصواب وعذر الزمخشرى واضح فى الرد على تسجيله وإغلاظ النكير عليه وتفويق سهام التشنيع إليه فأمل هذا الفصل ففيه إنارة للسبيل وشفاء للغليل والله الموفق

(قوله أيما شىء تحضرنا) لعله تحضر فقط (قوله وقيل هو الموتان) فى الصحاح الموتان بالضم موت يقع فى الماشية وفيه أيضا الطاعون الموت الوحى من الوباء وفيه الوحىّ على فعيل السريع

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَـٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۞ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ

وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحى التى جاء منها فقالوا مانحن بتاركى ديننا فأقاموا شهراً فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان فى قول أبى عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلىء قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيرا وعن سعيد بن جبير أنه كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فأخذت فى أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لانصدقك أبداً فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيء من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه وكانت تمتلىء منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها فى القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فشكوا إلى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا إلى فرعون فقال إنه سحركم فكان يجمع بين القبطى والإسرائيلى على إناء واحد فيكون مايلى الإسرائيلى ماء ومايلى القبطى دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطى الدم وللاسرائيلى الماء حتى إن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية اجعلى الماء فى فيك ثم مجيه فى فىّ فيصير الماء فى فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يارب إن عبدك هذا قد علا فى الأرض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم مابعده من النقم ۞ وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف (آيات مفصلات) نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل أنها من آيات الله التى لايقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض بزمان نمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ماوعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم (بما عهد عندك) ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء إما أن تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ماعندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك وإما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (إلى أجل هم بالغوه) إلى حد من الزمان هم بالغوه لامحالة فمعذبون فيه لاينفعهم ماتقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله (إذا هم ينكثون) جواب لما يعنى فلما كشفناه عنهم فأجاؤا النكث وبادروا لم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا (فانتقمنا منهم) فأردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم) ۞ واليم البحر الذى لايدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين به يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا) أى كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم

مشـرق الأرض ومغـربها التى بـٰرَكنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرٰءيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ۞ وجٰوزنا ببنى إسرٰءيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يـٰموسى اجعل لنا إلـٰها كما لهم ءالهة قال إنكم قوم تجهلون ۞ إن هـٰؤلاء متبر ما هم فيه وبـٰطل ما كانوا يعملون ۞ قال أغير الله أبغيكم إلـٰها وهو فضلكم على العـٰلمين ۞ وإذ أنجينٰكم من

عنها وقلة فكرهم فيها (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه ۞ والأرض أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا فى أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية (باركنا فيها) بالخصب وسعة الأرزاق (كلمت ربك الحسنى) قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض إلى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بنى إسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار الصبر ضمن الله له الفرج عن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولى الصبر ۞ وقرأ عاصم فى رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى (ما كان يصنع فرعون وقومه) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور (ما كانوا يعرشون) من الجنات وهو الذى أنشأ جنات معروشات أو وما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدى أن الكسر أفصح وبلغنى أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفا منه ۞ وهـذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بنى إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصى ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود إلا من عصمه الله وقليل من عبادى الشكور وليسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بنى إسرائيل بالمدينة وروى أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكراً لله تعالى (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوماً من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم ۞ وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها (اجعل لنا إلها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن على رضى الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها قبل أن تجف أقدامكم (إنكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع (إن هؤلاء) يعنى عبدة تلك التماثيل (متبر ما هم فيه) مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضاً ويقال لكسار الذهب التبر أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضاً (وباطل ما كانوا يعملون) أى ما عملوا شيئاً من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان فى زعمهم تقربا إلى الله كما قال تعالى «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» وفى إيقاع هؤلاء اسما لأن وتقديم خبر المبتدإ من الجملة الواقعة خبراً لها واسم لعبدة الأصنام بأنهم المعرضون

(قوله إذا كان فضاضا) فضاضا أى فتاتا كالرضاض أفاده الصحاح

ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم * ووعدنا موسى ثلثين ليلة وأتممنها بعشر فتم ميقت ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين * ولما جاء موسى لميقتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال

للتبار وأنه لايعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ماطلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا (أغير الله أبغيكم إلها) أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً وهو فعل بكم مافعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التى لم يعطها أحداً غيركم لتختصوه بالعبادة ولاتشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين فى نعمة الله عبادة غير الله (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها (فإن قلت) ما محل يسومونكم (قلت) هو استئناف لامحل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون و (ذلكم) إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب * والبلاء النعمة أو المحنة * وقرئ يقتلون بالتخفيف * وروى أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان مايأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة لذلك وقيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة فى العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين فى سورة البقرة وفصلها ههنا و (ميقات ربه) ما وقته له من الوقت وضربه له و (أربعين ليلة) نصب على الحال أى تم بالغاً هذا العدد و (هرون) عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء (اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) وكن مصلحاً أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بنى إسرائيل * ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتنا له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضى الله عنه كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه فى أول الأربعين

* قوله تعالى «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه» الآية (قال محمود معناه كلمه من غير واسطة الخ) قال أحمد وهذا تصريح منه بخلق الكلام كما هو معتقد المعتزلة والذى يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه أنها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه إياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعد آيات منها إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلو كان تكليم الله له بمعنى خلق الحروف والأصوات فى بعض الأجرام واستماع موسى لذلك لكان كل أحد يساوى موسى عليه السلام فى ذلك بل كان آحاد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام آثر بهذه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لأنهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الأجرام وأزكاها خلقاً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا يحمل لذلك إلا اعتقاد أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات البارى سبحانه وتعالى وإن لم يكن

(قوله وتكليمه أن يخلق الكلام) هذا على مذهب المعتزلة أن كلامه تعالى ألفاظ يخلقها الله فى بعض الأجرام أما على مذهب أهل السنة فإن كلامه تعالى صفة قديمة قائمة بذاته فتكليمه لعبده أن يكشف له عنها كما تقرر فى التوحيد

لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ

(أرنى أنظر اليك) ثانى مفعول أرنى محذوف أى أرنى نفسك أنظر اليك (فإن قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك (قلت) معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لى فأنظر اليك وأراك (فإن قلت) فكيف قال (لن ترانى) ولم يقل لن تنظر إلىّ لقوله أنظر إليك (قلت) لما قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكناً من الرؤية التى هى الإدراك علم أن الطلبة هى الرؤية لا النظر الذى لا إدراك معه فقيل لن ترانى ولم يقل لن تنظر إلىّ (فإن قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان فى جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ومنع المجبرة إحالته فى العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا (قلت) ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لابد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى

جسما فكذلك نجيز أن يسمع كلامه وإن لم يكن حرفا ولا صوتا والكلام فى هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه النكتة هى الخاصة بهذه الآية والله الموفق * عاد كلامه (قال وقوله أرنى أنظر اليك محذوف المفعول الأول مذكور الثانى والتقدير أرنى نفسك أنظر اليك الخ) قال أحمد ما أشد ما اضطرب كلامه فى هذه الآية لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه الغزالة هيهات قد تبين الصبح لذى عينين فالحق أبلج لا يمازجه ريب إلا عند ذى رين أما حظ المعقول من إجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام وأخصر وجه فى إجادة ذلك أن الوجود مصحح الرؤية بدليل أن جواز الرؤية حكم يستدعى مصححا وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححا سوى الوجود وإذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده وأما استبعاد أن يرى ما ليس فى جهة فأمر وهمى مثله عرض للمعطلة فعميت بصائرهم حتى أنكروا موجوداً لا فى جهة ومن اتبع الأوهام اغتسق مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئى لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف أنه سبحانه يعرف لا فى جهة فكذلك يرى لا فى جهة فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وما هم حينئذ إلا ممن آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وأما قوله عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا تبريا من أفاعيلهم وتسفيها لهم وتضليلا لرأيهم فلا راحة للقدرية فى الاستشهاد به على إنكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فإن الذى كان الإهلاك بسببه إنما هو عبادة العجل فى قول أكثر المفسرين ثم وإن كان السبب طلبهم الرؤية فليس لأنها غير جائزة على الله ولكن لأن الله تعالى أخبر أنها لا تقع فى دار الدنيا والخبر صدق وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله أنه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها فإنما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ألا ترى أن قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إنما سألوا فيه جائزاً ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الإيمان

(قوله أن الطلبة هى الرؤية) فى الصحاح الطلبة بكسر اللام ما طلبته من شىء (قوله ومنع المجبرة إحالته) يعنى أهل السنة حيث ذهبوا إلى جواز رؤيته تعالى ومنعوا اشتراط كون المرئى فى جهة قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة والجائز قد ينفى فى بعض الأوقات ويقع فى بعض والحديث كما سيأتى سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ومحل الكلام علم الكلام

ليتيقنوا وينزاح عنهم مادخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرنى أنظر اليك (فإن قلت) فهلا قال أرهم ينظروا اليك (قلت) لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرنى أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه فى نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان مايخاطب به أو مايخاطب راجعاً إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التى هى محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجلّ صاحب الجمل أن يجعل الله منظوراً إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق فى معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين (فإن قلت) مامعنى لن (قلت) تأكيد النفى الذى تعطيه لا وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول لاأفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غداً والمعنى أن فعله ينافى حالى كقوله «لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» فقوله لاتدركه الأبصار نفى للرؤية فيما يستقبل ولن ترانى تأكيد وبيان لأن المنفى مناف لصفاته (فإن قلت) كيف اتصل الاستدراك فى قوله (ولكن انظر إلى الجبل) بما قبله (قلت) اتصل به على معنى أن النظر إلىّ محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ماأقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد

عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشرى بعين الهوى وعنايته عن سبيل الهدى والله الموفق ﴿ عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قال أرهم ينظروا اليك الخ) قال أحمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الأول وأقرب شاهد على ردّه أنه لو كان طلب الرؤية لهم حتى إذا سمعوا امتنع الله تعالى لها أيقنوا أنها ممتنعة لكان طلبها عبثا غير مفيد لهذا الغرض لأن هؤلاء لايخلو أمرهم إمّا أن يكونوا مؤمنين بموسى أو كفاراً به فإن كانوا مؤمنين به فإخباره إياهم بأن الله تعالى لايرى ولايجوز عليه ذلك كاف فى حصول المقصود من غير حاجة إلى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته على علم بأن ذلك محال وإن كانوا كفاراً بموسى عليه السلام فلايحصل الغرض من ذلك أيضا لأن الله تعالى إذا منعه مسؤله من الرؤية فإنما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى أنه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم غيره عن الله بامتناع ذلك فهذا أوضح مصداق لأن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه اعتقاداً لجوازها على الله تعالى فأخبره الله أن ذلك لايقع فى الدنيا وإن كان جائزاً ﴿ عاد كلامه (قال وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه ان النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها وأمّا تنزيهه موسى عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية إليه فهو غنى عنه وأمّا إقناعه فى تفضيله برجحانه عليه السلام فى العلم بالله وبصفاته على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين فهو نقص عن منصبه العلىّ وأقل العوام المقلدين لأهل السنة راجح عند الله على أصحاب البدع والأهواء وإن ملؤا الأرض نفاقا وشحنوا مصنفاتهم عناداً لأهل السنة وشقاقا فكيف بكليم الله عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ عاد كلامه (قال فإن قلت مامعنى لن . قلت تأكيد النفى الذى تعطيه لاالخ) قال أحمد لن كما قال تشارك لافى النفى وتمتاز بمزية تأكيده وأمّا استنباط الزمخشرى من ذلك منافاة الرؤية لحال البارى عز وجل ثم إطلاق الحال على الله تعالى مما يستحرز عنه واستشهاده على أن لن تشعر باستحالة المنفى عقلا مردود كثيراً بكثير من الآى كقوله تعالى قل لن تخرجوا معى أبداً فذلك لايحيل خروجهم عقلا ولن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . لن تتبعونا . فهذه كلها جائزات عقلا لولا أن الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك ﴿ عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد الخ) قال أحمد نسبة جواز الرؤية إلى الله تعالى عند الزمخشرى كنسبة الولد إليه وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه وليس له فى هذا الفصل وظيفة إلا تتبع الشبه لامتناع الرؤية تلقفها من كل فجّ والحق أن دكّ الجبل إنما كان لأنّ الله عز وجل أظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لإظهار شىء من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف فى هذه الآية ومعناه

صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى

إليه فى قوله وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا (فإن استقر مكانه) كما كان مستقراً ثابتاً ذاهبا فى جهاته (فسوف ترانى) تعليق لوجود الرؤية بوجود مالا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية أعنى قوله فإن استقر مكانه فسوف ترانى (فلما تجلى ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته (جعله دكا) أى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكاء اسم للرابية الناشرة من الأرض كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعه السنام وعن الشعبى قال لى الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أى مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أى قطعاً دكا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) من هول مارأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت إليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس (فإن قلت) فإن كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب (قلت) من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى إعظام الأمر وكيف سبح

عند أبى الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجلياً وكان الغضب إما لأنهم طلبوا رؤية جسمانية فى جهة وإما لأنهم كتموا الخبر بأنه لا يرى فى الدنيا وإما لأنهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع ۝ عاد كلامه (قال ومعنى فإن استقر مكانه فإن ثبت كما كان ذاهباً الخ) قال أحمد وهذا من حيل القدرية فى إحالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه حيلة باطلة فإن المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بأنه لا يستقر له لا يرفع إمكان استقراره وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من إمكان إلى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لأهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون أن خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدوراً ونحن نقول مقدور ولكن ماتعلقت المشيئة بإيجاده وقولنا أقعد بالآداب وأسعد بالإجلال فى الخطاب ۝ عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقا: وخر مغشياً عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهراً على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص فى الخطاب ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت إن كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب الخ) قال أحمد أما دك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية فى الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف فى خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف وأما التوبة فى حق الأنبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب لأن منصبهم الجليل ينبغى أن يكون منزهاً مبرأ من كل

(قوله ولم يخل كليمه من نفيان ذلك) قوله نفيان هو مايتطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطئ ومن الصوف عند النفش ونحو ذلك كذا فى شرح المعلقات للعلامة الزوزنى

وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا

ربه ملتجئاً إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ۝ وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ۝ شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرنى أنظر إليك عرفنى نفسك تعريفاً واضحاً جليا كأنها إراءة فى جلائها بآية مثل آيات القيامة التى تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأنى أنظر إليك كما جاء فى الحديث ستروون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كابصاركم القمر إذا إمتلأ واستوى قال لن ترانى أى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإنى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم (برسالاتى) وهى أسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى إياك (فخذ ما آتيتك) ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر (فإن قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا (قلت) أجل لكنه كان تابعاً له ردءاً ووزيراً والكليم هو موسى عليه السلام والأصيل فى حمل الرسالة ۝ ذكروا فى عدد الألواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله (ومن كل شىء) فى محل النصب مفعول كتبنا و (موعظة) وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الألواح إنى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبين

ما ينحط به ولا شك أن التوقف فى سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل وقد ورد سيئات المقربين حسنات الأبرار ۝ عاد كلامه (قال ثم أعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد انتقل الزمخشرى فى هذا الفصل إلى ما تسمعه من هجاء أهل السنة ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم فنقول

وجماعة كفروا برؤية ربهم ۝ حقاً ووعد الله ما لن يخلفه ۝ وتلقبوا عدلية قلنا أجل
عدلوا بربهم فحسبهمو سفه ۝ وتلقبوا الناجين كلا إنهم ۝ إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

(قوله والقول ما قال بعض العدلية) غفر الله للمصنف ما لوث به لسانه وقلبه فى ذكر هذه الأبيات

لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۞ وَلَمَّا

فليّ من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين (فخذها) فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير فى خذها للألواح أو لكل شىء لأنه فى معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى (بقوة) بجدّ وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ماهو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم فى الأخذ بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى «واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم» وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون مانهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أقفرت منهم ودمّروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم فى ممرّكم عليها فى أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بيّنه لى وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون (سأصرف عن آياتى) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علوّ الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحراً بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لأنّ التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أى يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم (وإن يروا كلّ آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وإن يروا بضم الياء ۞ وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة فإن رأى طريقاً مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك فى دينه أسفه (ذلك) فى محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الآخرة (من بعده) من بعد فراقه إياهم إلى الطور (فإن قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامرى (قلت) فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأنّ رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثانى أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه ۞ وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلى كثدى وثدى ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلى ومن حليهم على التوحيد والحلى اسم لما يتحسن به من

سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي

الذهب والفضة (فإن قلت) لم قال من حليهم ولم يكن الحلى لهم إنما كانت عوارى فى أيديهم (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عوارى فى أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى إسرائيل (جسداً) بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد ۝ والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامرى قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه فى فى العجل فكان عجلا له خوار وقرأ على رضى الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسداً على البدل من عجلا (ألم يروا) حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز فى العقول من الأدلة وبما أنزل فى كتبه ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) أى أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شىء فى غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم (ولما سقط فى أيديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى فى أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط فى أيديهم على تسمية الفاعل أى وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وإن كان محالا أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم ۝ وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا ۝ الأسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتمونى) قمتم مقامى وكنتم خلفائى من بعدى وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامرى وأشياعه أو لوجوه بنى إسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئس ما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله (فإن قلت) أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم (فإن قلت) أى معنى لقوله (من بعدى) بعد قوله خلفتمونى (قلت) معناه من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة ۝ يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتى فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروى أن السامرى قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقى الألواح) وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان فى نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى وروى أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقى منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى الهدى والرحمة (وأخذ برأس أخيه) أى بشعر رأسه

مع القوم الظلمين ۞ قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الرحمين ۞ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ۞ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وءامنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ۞ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح

(يجره إليه) بذوابته وذلك لشدة ماورد عليه من الأمر الذى استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط فى الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمى بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هى التى قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (إن القوم استضعفونى) يعنى أنه لم يأل جهدا فى كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة فى مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه (فلا تشمت بى الأعداء) فلا تفعل بى ماهو أمنيتهم من الاستهانة بى والإساءة إلىّ وقرئ فلا يشمت بى الأعداء على نهى الأعداء عن الشماتة والمراد أن لايحل به مايشمتون به لأجله (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) ولا تجعلنى فى موجدتك علىّ وعقوبتك لى قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد أنى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم ۞ لما اعتذر اليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء (قال رب اغفر لى ولأخى) ليرضى أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه إن عسى فرط فى حسن الخلافة وطلب أن لايتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفترين) المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق فى الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (والذين عملوا السيآت) من الكفر والمعاصى كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) إلى الله واعتذروا اليه (وآمنوا) وأخلصوا الإيمان (إن ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لابد من حفظ الشريطة وهى وجوب التوبة والإنابة وماوراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لايلتفت اليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كان الغضب كأن يغريه على مافعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق

۞ قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل أولا ثم أردفها بحكم عام الخ) قال أحمد يعرض بوجوب وعيد الفساق وإن مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المحال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الأهواء والبدع بل الحق أن المغفرة لما عدا الشرك موكولة إلى المشيئة غير ممتنعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق ۞ قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على مافعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك الخ) قال أحمد وهو من النمط الذى قدمته من قلب الحقيقة إلى المجاز وكان الأصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه فى نمط خرق الثوب المسمار والتحقيق

(قوله من حفظ الشريطة وهى وجوب الثواب) مذهب المعتزلة أن الكبيرة لاتغفر إلا بالتوبة ومذهب أهل السنة أنها قد تغفر بمجرد الفضل (قوله وأشعبية باردة) خصلة منسوبة إلى أشعب وهو رجل كان طماعا ويضرب به المثل فى الطمع كما فى الصحاح

وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۞ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي

صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فالقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لاتجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أى أسكته الله أو أخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه (أخذ الألواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ منها أى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لأنّ تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسى قومه) أى من قومه لحذف الجار وأوصل الفعل كقوله
۞ منا الذى اختير الرجال سماحة ۞ قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن تختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه فى سبعين من بنى إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرنى أنظر اليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن ترانى ورجف بهم الجبل فصعقوا ۞ ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) وهذا تمنّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكنى قبل هذا (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعنى أتهلكنا جميعا يعنى نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا (إن هى إلا فتنتك) أى محنتك وابتلاؤك حين كلمتنى وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسداً حتى افتتنوا وضلوا (تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء) تضلّ بالمحنة الجاهلين غير الثابتين فى معرفتك وتهدى العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأنّ محنته لما كانت سبباً لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بأمورنا (واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (فى هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقاً فى الطاعة (وفى الآخرة) الجنة (هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم : يا راكب الذنب هدهد ۞ واسجد كأنك هدهد

أنه ليس منه وأنّ هذا القلب أشرف وأفصح لأنه بماله على معنى بليغ وهو أنّ الغضب كان متمكنا من موسى حتى كان كأنه يصرفه فى أوامره وكل ما وقع منه حينئذ فعن الغضب صادر حتى كأنه هو الذى أمره به ومثل هذه النكتة الحسناء لاتلفى فى خرق الثوب المسمار بل هى موجودة فى قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق على خلاف قراءة نافع وقد تقدم ذلك آنفا والله الموفق

(قوله لأنّ محنته لما كانت سببا) صرف الكلام عن ظاهره لأنه تعالى لا يخلق الشر عندهم أما على مذهب أهل السنة فلا حاجة إلى ذلك

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُم بِئَايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَيةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

وقرأ أبو وجرة السعدى هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك أنفسنا وأملناها أوحركنا اليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده (عذابى) من حاله وصفته أنى (أصيب به من أشاء) أى من وجب علىّ فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ۞ وأما رحمتى فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب فى نعمتى ۞ وقرأ الحسن من أساء من الإساءة ۞ فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بنى إسرائيل للذين يكونون فى آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها (الذين يتبعون الرسول) الذى نوحى اليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن (النبى) صاحب المعجزات (الذى يجدونه) يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى إسرائيل (مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ۞ ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلى كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ۞ الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس فى صحة توبتهم ۞ وكذلك الإغلال مثل لما كان فى شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق فى اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع عن معاودة القبيح الاترى إلى تسمية الحد والحد هو المنع و (النور) القرآن (فإن قلت) ما معنى قوله (انزل معه) وإنما انزل مع جبريل (قلت) معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا أى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه (فإن قلت) كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعا لنفسه ولبنى إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بنى إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التى أجراها على يد موسى وعرض بذلك فى قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد ان يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفاً لهم وترغيباً فى إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفى أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التى وسعت كل شيء (إنى رسول الله اليكم جميعاً) قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة

إلى ذلك (قوله أى من وجب علىّ فى الحكمة) هذا عند المعتزلة وأما أهل السنة فلا يجب على الله تعالى عندهم شيء
(قوله وبين أعقابهم عن رحمة الله) لعله فى أو ضمن التفريق معنى الإبعاد فعدى بعن

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۞ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ

وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الانس وكافة الجن وجميعاً نصب على الحال من اليكم ۞ (فإن قلت) (الذى له ملك السموات والأرض) ما محله (قلت) الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعنى وهو الذى يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جراً على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعاً وقوله (لا إله إلا هو) بدل من الصلة التى هى له ملك السموات والأرض وكذلك (يحيى ويميت) وفى لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهى القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى ابن مريم وقيل هى الكلمة التى تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهى قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى (لعلكم تهتدون) إرادة أن تهتدوا (فإن قلت) هلا قيل فآمنوا بالله وبى بعد قوله إنى رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى إظهاراً للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون التائبون من بنى إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم فى الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم ۞ وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن بنى إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبى الأمى فآمنوا به وقالوا يارسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدى عبد الله فقال رجل إنى منهم فقال عبد الله يعنى لمن كان فى مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا من يهدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق وتغلغل فى كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتى عشرة أسباطا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام (فإن قلت) مميز ماعدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط

فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ

لاسبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره ۝ بين رماحي مالك ونهشل ۝ و(أمما) بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف ۝ وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج ۝ وكيف غربي دالج تبجسا ۝ (فإن قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا على الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله (كل أناس) نظير قوله اثنتي عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الأمم الثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتناء وتوام وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلنا ظليلا عليهم في التيه و (كلوا) على إرادة القول (وما ظلمونا) وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ۝ ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (وإذ قيل لهم) واذكر إذ قيل لهم ۝ والقرية بيت المقدس (فإن قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين ۝ وكذلك زيادة منهم زيادة بيان ۝ وأرسلنا وأنزلنا و (يظلمون) ويفسقون من واد واحد ۝ وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم ونغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول (وسلهم) وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت ۝ والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (حاضرة البحر) قريبة منه راكبة لشاطئه (إذ يعدون في السبت) إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة

(قوله نحو رخال وتناء وتوام) قوله رخال هي الإناث من أولاد الضأن والتناء القاطنون بالبلد والتوام بالمد واحده توأم وزان كوكب أفاده الصحاح (قوله نحو سكارى وغيارى) غار الرجل على أهله فهو غيور وجمعه غير وغيران وجمعه غيارى وغيارى كذا في الصحاح

لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة

والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله (ويوم لا يسبتون) قراءة عمر بن عبد العزيز يوم أسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ على لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا (فإن قلت) إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب (قلت) أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة وأما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل * والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان فى بيته فرأيته يفعل كذا (كذلك نبلوهم) أى مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم (وإذ قالت) معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه فى الإعراب (أمة منهم) جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أى مخترمهم ومطهر الأرض منهم (أو معذبهم عذابا شديدا) لتماديهم فى الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة إلى ربكم) أى موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى بعض التفريط (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى أن يتقوا بعض الاتقاء * وقرئ معذرة بالنصب أى وعظناهم معذرة إلى ربكم واعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعنى أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فإن قلت) الأمة الذين قالوا لم تعظون من أى الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين (قلت) من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهى حال المنهى وأن النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله فى باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهى بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كاخبرهم أو لفرط حرصهم وجدهم فى أمرهم كما وصف الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ياليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم

(قوله على المآصر والجلادين) قوله المآصر هى المحابس من أصره الله حبسه كذا فى الصحاح

خَـٰسِئِينَ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَـٰهُم بِالْحَسَنَـٰتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ الْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا إلى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ فى السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لايعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحو من اثنى عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لانساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لايعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول ألم ننهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ماحوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عندالله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر (بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وبائس على فاعل (فلما عتوا عما نهوا عنه) فلما تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا العذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد (وقطعناهم فى الأرض أمما) وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فإن قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه ومامنا إلا له مقام معلوم بمعنى ومامنا أحد إلا له مقام (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم) ينتهون فينيبون (فخلف) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت فى أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على مافيها من الأوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولايعملون بها (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفى قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة (ويقولون سيغفر لنا)

وَدَرَسُوا مَافِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

لايؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذى هو مصدر يأخذون (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لايصح إلا بالتوبة والمصر لاغفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى قوله فى التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لايغفر له إلا بالتوبة (ودرسوا مافيه) فى الكتاب من اشتراط التوبة فى غفران الذنوب والذى عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كاترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتى على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله ۞ وقرئ ورثوا الكتاب وألا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالياء والتاء ۞ (فإن قلت) ماموقع قوله ألا يقولوا على الله إلا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور فى الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ماليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لايقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولاتقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لاتقولوا على الله إلا الحق (فإن قلت) علام عطف قوله ودرسوا مافيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره (إنا لانضيع أجر المصلحين) والمعنى إنا لانضيع أجرهم لأن المصلحين فى معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا والثانى أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لانضيع اعتراضا ۞ وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبى والذين مسكوا بالكتاب (فإن قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت (قلت) إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان ۞ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه ۞ والظلة كل ماأظلك من سقيفة أوسحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا ان يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لاترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لاترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على إرادة القول أى وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه

(قوله فى غفران الذنوب والذى عليه المجبرة) يعنى أهل السنة ومذهبهم تجويز المغفرة بمجرد الفضل لا الطمع فيها مع الإصرار على المعصية (قوله وأنغض لها رأسه) أنغض أى حرك كالمتعجب أفاده الصحاح

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا

(واذكروا مافيه) من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا مافيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتينا كم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا (واذكروا مافيه) من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار (لعلكم تتقون) ماأنتم عليه ۝ وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكرا بمعنى وتذكروا (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا أقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام وفى كلام العرب ونظيره قوله تعالى إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله ۝ إذ قالت الأنساع للبطن الحق ۝ قالت له ريح الصبا قرقار ۝ ومعلوم أنه لاقول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى (أن تقولوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا (يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو) كراهة أن (تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (فإن قلت) بنو آدم وذرياتهم من هم (قلت) عنى ببنى آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزيراً ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها فى المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها فى اليهود الآيات التى عطفت عليها هى والتى عطفت عليها وهى على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم لم تعظون وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها ۝ وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء بنى إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها

۝ قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية (قال هذا من باب التمثيل والتخييل الخ) قال أحمد إطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به وأما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فمردود ولم يرد به سمع وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر مالم يخالف لمعقول يجب إقراره على ماهو عليه فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم الخ) قال أحمد والأظهر أنها شاملة لجملة بنى آدم فتدخل اليهود فى عمومها لأن كل واحد من بنى آدم يصدق عليه الأمران جميعاً أنه ابن آدم وأنه ذريته ولا يخرج من هذا إلا آدم عليه السلام وإنما لم يذكر لظهوره ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى فى فن البلاغة باللف اختصاراً وإيجازاً

لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هويه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بئايتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ۞ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بئايتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ۞ من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخسرون ۞ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان

ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه أخلد إلى الأرض) مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة (فإن قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذى يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ماهى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ماهو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها ۞ وهى حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لايكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه فى الحالتين جميعاً وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض لحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها فى معنى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث (فإن قلت) مامحل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ماقرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به (فاقصص) قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته إذ ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحى فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم (ساء مثلا القوم) أى مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدرى ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعاً عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها (فهو المهتدى) حمل على اللفظ و (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثيراً من الجن والإنس) هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم ۞ وجعلهم فى أنهم لايلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى

(قوله دوام اللهث به) فى الصحاح لهث الكلب إذا خرج لسانه من التعب أو العطش وقوله تعالى إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث لأنك إذا حملت على الكلب نبح وولى هاربا وإن تتركه شد عليك ونبح فيتعب نفسه فى الحالين

لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ *

ماخلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون مايتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإعراقهم فى الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لايأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم فى الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغنى أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإنى لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا فى بعض الأمور ماخلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود فى عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبى الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لايكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار (أولئك كالأنعام) فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ماتبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الأسماء الحسنى) التى هى أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لايجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم ياأبيض الوجه يانخى أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا ياالله ولا يقولوا يارحمن وقد قال الله تعالى «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى» ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهى الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون فى أوصافه فيصفونه بمشيئة

---

* قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التى هى أحسن الأسماء الخ) قال أحمد أى مما يجوز عليه وإن لم يرد إطلاقه شرعا كالشريف والعارف ونحو ذلك * عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال أحمد وفى هذا التأويل بعد لأن ترك الدعاء ببعض الأسماء لايطلق عليه إلحاد فى العرف وإنما يطلق على فعل لاعلى ترك ولكن يتميز عن الوجه السالف بأنه أضاف الأسماء الملحد فيها إلى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه فإن هذا ليس من أسمائه إلا أن يقال أضافه إليه تنزيلا على زعمهم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهى الوصف بالعدل والخير الخ) قال أحمد لايدع حشو العقائد الفاسدة فى غير موضع يسعها فإن يكن المراد الأوصاف فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة والانفراد بالمخلوقات حتى لايشرك معه عباده فى خلق أفعالهم ويعظم الله تعالى بأنه لايسأل عما يفعل وأن كل قضائه عدل وأنه لايجب عليه رعاية مايتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وأن وعده الصدق وقوله الحق وقد وعد رؤيته فوجب وقوعها إلى غير ذلك من أوصافه

فيعتريه عند ذلك مايعتريه عند العطش من إخراج اللسان (قوله وجعلهم لإعراقهم فى الكفر) قوله لإعراقهم يقال أعرق الشجر والنبات بالعين المهملة إذا امتدت عروقه فى الارض وأغرق النازع فى القوس بالمعجمة أى استوفى مدها اه من الصحاح (قوله اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر) فى الصحاح الدلوك مايدلك به من طيب وغيره (قوله والمراد وصف حال اليهود) إنما فسر بذلك لأنه تعالى يجب عليه الأصلح للعبد عند المعتزلة وخلقه لجهنم ليس أصلح له وعند أهل السنة لايجب عليه شىء (قوله وذرهم يلحدون) يريد أهل السنة القائلين كل كائن فهو مراد ومخلوق له تعالى ولو شرا وتجوز رؤيته خلافا للمعتزلة فى كل ذلك كما تقرر فى محله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۞ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ

القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل فى التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم فى أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ۞ لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً فأخبر أن كثيراً من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم إن من أمتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبى هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين ۞ الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى :

فلو كنت فى جب ثمانين قامة ۞ ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره ۞ وتعلم أنى عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبى إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئاً بعد شىء ودرج القوم مات بعضهم فى أثر بعض ومعنى (سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هى خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه (وأملى لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل فى حكم السين (إن كيدى متين) سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه فى الظاهر إحسان وفى الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والأرض) فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شىء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشىء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف (وأن عسى) أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا فى أن الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التى فيها ضمير الشأن (فإن قلت) بم يتعلق قوله (فبأى حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ۞ قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد

الجاليلة وذروا الذين يلحدون فى أوصافه فيجحدونها ثم يزعمون أنه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هى مقسومة بينه وبين عباده ويوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة ويحجرون واسعاً من مغفرته وعفوه وكرمه على الخطائين من موحديه إلى غير ذلك من الإلحاد المعروف بالطائفة الملقبين عدلية المزكين لأنفسهم وهو أعلم بمن اتقى ۞ عاد كلامه (قال وقيل إلحادهم فى أسمائه تسميتهم اخ)

(قوله حتى تهره وتعلم أنى عنكم) أى تكرهه وفى الصحاح هر فلان الكأس والحرب كرهها (قوله بات يهوت إلى الصباح) قوله يهوت أى يصيح (قوله قبل مغافصة الأجل) مغافصة الأجل أى أخذه إياهم على حين غفلة اه من الصحاح

لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

ويذرهم (يسئلونك) قيل إنّ قوما من اليهود قالوا يامحمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإنا نعلم متى هى وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش ۞ والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أىّ فعلان منه لأن معناه أىّ وقت وأىّ فعل من أويت اليه لأنّ البعض آو إلى الكل متساند اليه قاله ابن جنى وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمى إيان بكسر الهمزة (مرساها) إرساؤها أو وقت إرسائها أى إثباتها وإقرارها وكل شىء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذى ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت فى السموات والأرض والمعنى متى يرسيها الله (إنما علمها) أى علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحداً من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت ذلك (لا يجليها لوقتها إلا هو) أى لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها فى وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها (ثقلت فى السموات والأرض) أى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويوده أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأنّ أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لأنّ كل شىء لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها (إلا بغتة) إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم إنّ الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (كأنك حفى عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ فى السؤال عنها لأنّ من بالغ فى المسئلة عن الشىء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى فى المسئلة إذا ألحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البرّ به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال

قال أحمد وهذا تفسير حسن ملائم والله أعلم ۞ قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كأنك بليغ فى السؤال عنها الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من التكرير نكتة لا تأتى إلا فى هذا الكتاب العزيز وهو أجل من أن يشارك فيها وذاك أنّ المعهود فى أمثال هذا التكرير أنّ الكلام إذا بنى على مقصد واعترض فى أثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول وقد بعد عهده طرى بذكر المقصد الأول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدّم لذلك فى الكتاب العزيز أمثال وسيأتى وهذا منها فإنه لما ابتدأ الكلام بقوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن فى قوله قل إنما علمها عند ربى إلى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم وهو المضمن فى قوله كأنك حفى عنها وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطرى ذكره تطرية عامة ولا تراه أبداً يطرى إلا بنوع من الإجمال كالتذكرة للأول مستغنى عن تفصيله بما تقدم فمن ثمّ قيل يسألونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة اكتفاء بما تقدم فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب

(قوله قرأ السلمى إيان بكسر الهمزة) فى الصحاح أيان سؤال عن زمان وإيان بكسر الهمزة لغة سليم وبه قرأ السلمى إيان يبعثون (قوله فى وقتها بغتة لا يجليها) لعله وقيل لا يجليها بل لعله أو لا يجليها (قوله والرجل يصلح حوضه) فى البخارى يليط حوضه وروى يلوط أى يصلحه اه (قوله استحكم علمه فيه ورصن) رصن أى ثبت وتمكن اه
(قوله إذا ألحف) ألحف ألحّ وعنف اه

عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت

حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفى بها أى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كأنك حفى أى عالم بها وقيل إنّ قريشاً قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى إخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى أنك تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته أحد من خلقه (فإن قلت) لم كرر يسئلونك وإنما علمها عند الله (قلت) للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لايخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رحمهما الله (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها (قل لاأملك لنفسى) هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أنا عبد ضعيف لاأملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد (الا ماشاء) ربى ومالكى من النفع لى والدفع عنى (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالى على خلاف ماهى عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لايمسنى شىء منها ولم أكن غالباً مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات ومصيبا ومخطئا فى التدابير (إن أنا إلا) عبد أرسلت نذيرا وبشيراً وما من شأنى أنى أعلم الغيب (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعاً لأنّ النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أى إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهى حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (ليسكن اليها) ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لأنّ الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما أنث فى قوله واحدة منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأنّ الذكر هو الذى يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى ۞ والتغشى كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان (حملت حملا خفيفاً) خف

أيضا مجملا فقال قل إنما علمها عند الله ويلاحظ هذا فى تلخيص الكلام بعد بسطه ومن أدق ماوقفت عليه العرب فى هذا النمط من التكرير لأجل بعد العهد تطرية للذكر قوله عجل لنا هذا وألحقنا بذا أل ۞ الشحم إنا قد مللناه بجل أى فقط فذكر الألف واللام خاتمة للأول من الرجزين ثم لما استفتح الرجز الثانى استبعد العهد بالأولى فطرى ذكرها وأبقى الأولى فى مكانها ومن ثم استدل ابن جنى على أن ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف كما ذهب اليه أبو الحسن قال ولو كان بيتا واحدا لم يكن عهد الأولى متباعدا فلم يكن محتاجا إلى تكريرها ألا ترى أن عبيداً لما جاء بقصيدة طويلة الأبيات وجعل آخر المصراع الأول أل لم يعدها أول المصراع الثانى لأنها بيت واحد فلم ير عهدها بعيداً وذلك قوله

يا خليلى أربعا واستخبرا أل ۞ منزل الدراس من أهل الحلال

مثل سحق البرد عفى بعدك أل ۞ قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتا فانظر هذه النكتة كيف بالغت العرب فى رعايتها حتى عدت القريب بعيدا والمتقاصر مديدا فتأملها فإنها تحفة إنما تنفق عند الحذاق الأعيان فى صناعتى العربية والبيان والله المستعان

دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا

عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول فى ولدها ما كان أخفه على كبدى حين حملته (فمرت به) فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفاً يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع فى نفسها ظن الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أى أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير فى آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما) ما طلباه من الولد الصالح السوى (جعلا له شركاء) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أى آتى أولادهما وقد دلّ على ذلك بقوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى ألا ترى إلى قوله فى قصة أم معبد

فيا لقصى ما زوى الله عنكم ۞ به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه ۞ وقرئ شركا أى ذوى شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله شركا فى الولد ۞ أجريت الأصنام مجرى أولى العلم فى قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شىء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله عز وجل

۞ قوله تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها » إلى قوله تعالى « فتعالى الله عما يشركون » (قال الضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب والله أعلم أن يكون المراد جنسى الذكر والأنثى لا يقصد فيه إلى معين وكان المعنى والله أعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا اليهن فلما تغشى الجنس الذى هو الذكر الجنس الآخر الذى هو الأنثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون لأن المشركين منهم أنذا ما مت لسوف أخرج حياً « وقتل الإنسان ما أكفره إن الإنسان لفى خسر » كما أنه كذلك على التفسير الأول أضاف الشرك إلى أولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم وعلى التفسير الثانى أضافه إلى قصى وعقبه والمراد البعض فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر اليه فى التأويل الأول ومما ينصرف إلى التأويل الثانى من استبعاد تخصيص قصى بهذا الأمر المشترك فى الجنس وهو جعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن اليها لأن ذلك عام فى الجنس والله أعلم

(قوله من غير إخداج ولا إزلاق) قوله إخداج أى نقصان ولا إزلاق أى إسقاط انتهى (قوله كقولك أقربت) أقربت أى قرب ولادها (قوله قد صلح بدنه وبرئ) لعله وبرئ من الآفات (قوله بعبد العزى وعبد مناة) قوله عبد مناة فى النسفى عبد مناف

وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۞ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

خالقهم أولا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأنّ عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وإن تدعوهم) وإن تدعوا هذه الأصنام (إلى الهدى) أى إلى ماهو هدى ورشاداً وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لايتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (سواء عليكم أدعوتموهم) أم صمتم عن دعائهم فى أنه لافلاح معهم (فإن قلت) هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الإسمية موضع الفعلية (قلت) لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (إن الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عباداً أمثالكم) وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أى قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لاتفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير « إنّ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم » بتخفيف إنّ ونصب عباداً أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) جميعاً أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فإنى لا أبالى بكم ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال لهم إنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون (إن وليى الله) أى ناصرى عليكم الله (الذى نزل الكتاب) الذى أوحى إلىّ كتابه وأعزنى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم (ينظرون إليك) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشىء ينظر إليه (وهم لايبصرون) وهم لايدركون المرئىّ (العفو) ضد الجهد أى خذ ماعفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لاينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وقال

خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞ ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرهاً ۞ والعرف المعروف والجميل من الأفعال (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على مايسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لاأدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يامحمد إن

نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن الذين اتقوا إذا مسهم طٰئف من الشيطٰن تذكروا فإذا هم مبصرون * وإخوٰنهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون * وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى هٰذا بصآئر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * وإذا قرئ القرءان فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون * واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغٰفلين * إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون *

ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه النزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه إن لى شيطانا يعترينى (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً قال أنى ألم بك الخيال يطيف * أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضاً وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم * وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم فى الغى أى يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم * وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله * قوم إذا الخيل جالوا فى كواثبها * فى أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا (فإن قلت) لم جمع الضمير فى إخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت * اجتبى الشىء بمعنى جباه لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعه أوجبى إليه فاجتباه أى أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى) ولست بمفتعل الآيات أولست بمقترح لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) أى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر) ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل فى الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل فى الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون

(قوله ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان) لعله يجوز (قوله كأقصر وأعتم) قوله أقصر أى دخل فى القصر أى العشى

سورة الأنفال مدنية

إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

عن ذكر الله ويلهون عنه (إنّ الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنددنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة لايشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة

﴿ سورة الأنفال مدنية وهى ست وسبعون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * النفل الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد * إنّ تقوى ربنا خير نفل * والنفل ماينفله الغازى أى يعطاه زائداً على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولايخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه لايلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها أللمهاجرين أم الأنصار أم لهم جميعاً فقيل له قل لهم هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها مايشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا رداً لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبى وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبنى فجئت به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت إنّ الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى مالا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال ياسعد إنك سألتنى السيف وليس لى وإنه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين * وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال أى يسألك الشبان ماشرطت لهم من الأنفال (فإن قلت) مامعنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الأنفال لله والرسول) (قلت) معناه أنّ حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ماتقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر فى قسمتها مفوضاً إلى رأى أحد والمراد أنّ الذى اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولايستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب

وأعتم دخل فى العتمة أى وقت العشاء. أفاده الصحاح (قوله فقتلت به سعيد بن العاص) قوله سعيد الخ فى حواشى البيضاوى أنه العاص بن سعيد انتهى (قوله اطرحه فى القبض) القبض كسبب المال المقبوض اه

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ

والتصافى (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين فى الله (وأصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فإن قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهى مضمراتها لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم أسقنى ذا إنائك يريدون ما فى الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (إن كنتم مؤمنين) إن كنتم كاملى الإيمان واللام فى قوله (إنما المؤمنون) إشارة إليهم أى إنما الكاملون الإيمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق وفى قراءة عبد الله فرقت (زادتهم إيمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبى هريرة رضى الله عنه الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ۞ جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أى أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألنى عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدرى أمنهم أنا أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الإيمان وكان أبو حنيفة رضى الله عنه ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه أنه قال لقتادة لم تستثنى فى إيمانك قال اتباعا لإبراهيم عليه السلام فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل

﴿القول فى سورة الأنفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (قال فى

(قوله كاحتراق السعفة) أى غصن النخلة كما فى الصحاح (قوله نحو وبق فى وبق الخ) وبق أى هلك وفرق خاف اهـ

وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝

التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أنّ حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الأنفال لله والرسول أى الأنفال استقرت لله والرسول وثبت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون و (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أى إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه (وإنّ فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو ابن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إنى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له إنّ العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وإنّ محمدا لم يصب العير وإنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريشاً فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إنّ القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدوّ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردّد عليهم فقال إنّ العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدوّ فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال

كما وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ) قال أحمد وكان جدى أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر فى معنى الآية وجها أوجه من هذين وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء بإخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لأمره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك فى الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية فى نوع الطاعات فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية فى جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام الأجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

(قوله وإنا قد أعضضناه) فى الصحاح أعضضته الشىء فعضه وفى الحديث فأعضوه بهنّ أبيه ويقال أعضضته سيفى أى ضربته به وأعض القوم أكلت إبلهم العض وهو بالضم علف الأمصار وبالكسر الشوك الصغير (قوله إلى عدن أبين) فى الصحاح: أبين اسم رجل نسب اليه عدن فقيل عدن أبين

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

أشيروا علىّ أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار لاترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعلّ الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شىء فناداه العباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ماوعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقى العير (بعد ماتبين) بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون * وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لايشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروى أنه ماكان فيهم إلا فارسان (إذ) منصوب بإضمار اذكر . و (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح أى تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التى لاحدة لها ولا شدة ولاتريدون الطائفة الأخرى (أن يحق الحق) أن يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر * والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور وأن لاتلقوا مايرزؤكم فى أبدانكم وأحوالكم والله عزوجل يريد معالى الأمور ومايرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين وشتان مابين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب

---

* قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعنى أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور الخ) قال أحمد والتحقيق فى التمييز بين الكلامين أن الأول ذكرت الإرادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق ولإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وفى ذلك مالايخفى من المبالغة فى تأكيد المعنى بذكره على وجهين إطلاق وتقييد والله أعلم

(قوله يتخوف أن لاتكون الأنصار) لعله أن تكون أو لعله الأنصار ترى وبالجملة فأحد الحرفين يغنى عن الآخر (قوله بحال من يعتل إلى القتل) أى يجذب جذبا عنيفا أفاده الصحاح (قوله شوك القنا لشباها) شباة كل شىء حد طرفه والجمع شبا وشبوات كذا فى الصحاح فشباها جمع مضاف لضمير القنا (قوله فى أبدانكم وأحوالكم) لعله وأموالكم

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٭ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم مالا تعارض أدناه العير ومافيها ٭ وقرئ بكلمته على التوحيد (فإن قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك مافعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه (فإن قلت) أليس هذا تكريراً (قلت) لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه مانصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذى هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع (فإن قلت) بم يتعلق (إذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ماوعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضى الله عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ماوعدك (أنى ممدكم) أصله بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبى عمرو أنه قرأ إنى ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول (فإن قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل فى يوم بدر فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها علىّ بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد فى أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل أن يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف فى إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة ٭ وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذى تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك اتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أى يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين ٭ وقرئ مردّفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أى مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدى بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق مافى سورة آل عمران (فإن قلت) فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم ٭ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى (وماجعله) (قلت) إلى قوله أنى ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم

(قوله فإن كان بمعنى متبعين) يقرأ هذا بالتسكين ولم يذكر مقابله وهو ما كان بمعنى متبعين بالتشديد

إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۞ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى

بإمدادكم (فإن قلت) فقيمن قرأ بالكسر (قلت) إلى قوله أنى ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذى يدل عليه ممدكم (إلا بشرى) إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبنى إسرائيل يعنى أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر إلا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله (إذ يغشاكم) بدل ثان من إذيعدكم أو منصوب بالنصر أو بما فى من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عزّ وجلّ و(أمنة) مفعول له (فإن قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لأمنكم و(منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله عزّ وجلّ (فإن قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أى ينعسكم إيمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا (فإن قلت) هل يجوز أن ينتصب على أنّ الأمنة للنعاس الذى هو فاعل يغشاكم أى يغشاكم النعاس لأمنه على أنّ إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازى وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا ۞ تهابك فهو نفار شرود

وقرى أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أنّ ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضى الله عنه النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والتثقيل ۞ وقرأ الشعبى ماليطهركم به قال ابن جنى ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ماللطهور و(رجز الشيطان) وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أنّ إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون فى كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق

۞ قوله تعالى إذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ إذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجرى عند قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا لأنّ فاعل الإراءة هو الله عزّ وجلّ وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصبا مفعولا لهما فالجواب أنه لما كان الله تعالى إذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين فى المعنى وكان المعنى وهو الذى يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا فهذا مثل آية الأنفال فإن المفعول فى المعنى فاعل وسيأتى مزيد بحث فى هذه النكتة وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا وذلك أنّ لقائل أن يقول فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى وهو فاعل الأمنة أيضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول الإشكال على قواعد السنة التى تقتضى نسبة أفعال الخلق إلى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والبارى عزّ وجلّ وإن وكان خالق الأمنة للعبد وكانها آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوى وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال إلى الجواب السالف والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن بشرط الأدب فى إسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له أمثالها

مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞

وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ماغلبكم هؤلاء على الماء وماينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديداً وأشفقوا فأنزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير فى به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم فى مواطن القتال (إذ يوحى) يجوز أن يكون بدلا ثالثاً من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت (أنى معكم) مفعول يوحى وقرئ إنى بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحى مجرى يقول كقوله أنى ممدكم والمعنى أنى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سألقى ۞ فاضربوا) يجوز أن يكون تفسيراً لقوله إنى معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ماتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال وأن يظهروا مايتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفون وجهه فيأتى فيقول إنى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لايعبدونه ۞ وقرئ الرعب بالتثقيل (فوق الأعناق) أراد أعالى الأعناق التى هى المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزاً وتطييراً للرؤس وقيل أراد الرؤس لأنها فوق الأعناق يعنى ضرب الهام قال

۞ وأضرب هامة البطل المشيح ۞ و غشيته وهو فى جأواء باسلة ۞ عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا ۞

والبنان الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً ويجوز أن يكون قوله سألقى إلى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة مايثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولى سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) إشارة إلى ماأصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و (بأنهم) خبره أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وسئلت فى المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا فى عدوة وذاك فى عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لأن هذا فى خصم أى فى جانب وذاك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق والكاف فى ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفى (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم (فذوقوه) ويجوز أن يكون نصباً على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيداً فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم فى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيباً من زحف الصبى إذا دب على إسته قليلا قليلا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم فى العدد

(قوله والزحف الجيش الدهم) قوله الدهم هو العدد الكثير والدهمة السواد كذا فى الصحاح

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۞ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن

أو تساووهم أو حال من الفريقين أى إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر ألفاً وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ وفى قوله ومن يولهم يومئذ أمارة عليه (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزاً) أو منحازاً (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعن ابن عمر رضى الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضى الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر (فإن قلت) بم انتصب إلا متحرفا (قلت) على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أى ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزاً ۞ وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لامتفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ۞ لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهمّ إنى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه أعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكنّ الله قتلهم) لأنه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) أنت يامحمد (إذ رميت ولكنّ الله رمى) يعنى أن الرمية التى رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا مايبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأنّ أثرها الذى لاتطيقه البشر فعل الله عزّ وجلّ فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة والسلام أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع مابعده (وليبلى المؤمنين) وليعطيهم (بلاء حسنا) عطاء جميلا قال زهير ۞ فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو ۞ والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك (إنّ الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أى الغرض ذلكم (وأنّ

۞ قوله تعالى «فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى» (قال محمود ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد رحمه الله أوضح مصداق فى التمييز بين الحقيقة والمجاز الاتراك تقول للبليد ليس بحمار ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجاوز إنه حمار فإذا ثبت لك أنّ من مميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم أنّ هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالردّ وذلك أنّ الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم ولامحمل لذلك إلا أنّ ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فأثبته لهم مجازاً ونفاه عنهم

(قوله اثناعشر ألفاً وتقدمة نهى لهم) لعله عطف على المعنى أى إشعاراً وتقدمة نهى (قوله بل أنتم العكارون) قوله العكارون من عكر إذا عطف وكرّ أفاده الصحاح

تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

الله موهن) معطوف على ذلكم يعنى أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذى هو التنوين والإعمال (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهمّ انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعانى إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروى أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروى أن أباجهل قال يوم بدر اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أى فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وإن تنتهوا) خطاب للكافرين يعنى وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم (فهو خير لكم) (وإن تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وأن الله) قرئ بالفتح على ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين ۞ وقرئ ولن يغنى عنكم بالياء للفصل (ولا تولوا) قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير فى (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شىء واحد «من يطع الرسول فقد أطاع الله» فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع فى فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أى تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصمّ المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أى ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ۞ ثم قال (إن شرّ الدواب) أى إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شرّ البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرّها (ولو علم الله) فى هؤلاء الصم البكم (خيراً) أى انتفاعا باللطف (لأسمعهم) للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعنى ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك

حقيقة وإياك أن تعرج على تعكيس الزمخشرى فى تأويل الآية فإنه نظر أعوج وباطل لجلج والحق أبلج والله الموفق بكرمه ۞ قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعنى ولو علم الله أن اللطف ينفع فى هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله إطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فإن اللطف هو إسداء الجميل والإلطاف به واسمه اللطيف من ذلك فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعه إسماع لطيف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق فى قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأى الفاسد فى خلق الأفعال لأن مقتضاها أن العبد هو الذى يخلق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع والإصغاء وإن الله تعالى لا يشارك العبد فى خلق ذلك بل الذى ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل

(قوله وأكرم الفئتين) لعله الفريقين

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبدالدار بن قصى لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لانسمعه ولانجيبه فقتلوا جميعا بأحدوكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (إذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على باب أبيّ ابن كعب فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن إجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى إلى استجيبوا لله وللرسول قال لاجرم لاتدعونى إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلى فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت ولبعضهم لاتعجبن الجهول حلته ۞ فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم فى القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعنى أنه يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل مايخطره المرء بباله لايخفى عليه شىء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه ۞ وقرئ المرّ بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ (فتنة) ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لاتصيبن) لايخلو من أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كان جوابا فالمعنى إن أصابتكم لاتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء

الزمخشرى أيضا فإن حاصله ولو علم الله فيهم خيراً للطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الإشكال إلابتقدير الإسماع الواقع جوابا أولا خلاف الإسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه فى اختلاف الإسماعين أن يراد بالأول ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسمعهم لاعلى أنه يخلق لهم الاهتداء بل إسماعا مجرداً من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه فى تأويل الآية والله الموفق ۞ قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله نعم هذا عقد أهل السنة الذى استعار لهم لقب المجبرة وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الحق خالق الخلق فإن كان ذلك ظلما فأنا برىء من الطائفة المتسمية بالعدلية إصراراً على هذا الرأى الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

(قوله ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة) يعنى أهل السنة والمسئلة هنا من فروع مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية فعند المعتزلة أن المريد الخالق لها هو العبد ولذا صح تكليفه لظهور اختياره وعند أهل السنة أن المريد الخالق لها هو الله تعالى وإنما صحّ تكليف العبد لماله فيها من الكسب وهو اختيار بعضها على بعض بشهادة الوجدان خلافا

وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَاذْكُرُوٓا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ

بنى إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لاتتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لاتصيبنّ ونظيره قوله :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط ۞ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي بمذق مقول فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التى هى لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيبنّ على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت فى علىّ وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى أنّ الزبير كان يساير النبى صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل علىّ رضى الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلىّ فقال يارسول الله بأبى أنت وأمى إنى أحبه كحبى لوالدى أوأشد حباً قال فكيف أنت إذا سرت اليه تقاتله (فإن قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الأمر (قلت) لأنّ فيه معنى النهى إذا قلت انزل عن الدابة لاتطرحك فلذلك جاز لاتطرحنك ولاتصيبنّ ولايحطمنكم (فإن قلت) فما معنى من فى قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثانى لأنّ المعنى لاتصيبنكم خاصة على ظلمكم لأنّ الظلم أقبح منكم من سائر الناس (إذ أنتم) نصبه على أنه مفعول به مذكور لاظرف أى اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين (فى الأرض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لأنّ الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين (فآواكم) إلى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحى من العرب أذلّ الناس وأشقاهم عيشاً وأعراهم جلداً وأبينهم ضلالا لا يؤكلون ولايأكلون فمكن الله لهم فى البلاد ووسع لهم فى الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ۞ معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا تنقصه ثم استعمل فى ضدّ الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لاتخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لاتستنوا به و (أماناتكم) فيما بينكم بأن لاتحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعنى أنّ الخيانة توجد منكم عن تعمد لاعن سهو وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى أنّ نبى الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وإريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبالبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأنّ عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ماترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله

للجبرية القائلين بالجبر المحض ومحله التوحيد (قوله نهوا عن المنكر التعذير) تعذيراً فى الأمر التقصير فيه اه صحاح (قوله لأنه سمار فيه لون الورقة) قوله سمار هو بالفتح لبن رقيق وتسمير اللبن ترقيقه بالماء والورقة بياض يضرب إلى سواد وإلى خضرة اه صحاح (قوله أقبح منكم من سائر الناس) لعله منه من سائر الناس (قوله خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب) قوله الكرب حبل يشدّ فى رأس الدلو والمشتار مجتنى العسل والسبب الحبل اه صحاح

أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ

ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علىّ فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال إنّ من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدّق به وعن المغيرة نزلت فى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده (فإن قلت) وتخونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وأن يكون نصباً بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد ۞ جعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع فى الفتنة وهى الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدى إليه هممكم وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هى من جملة ما نزل فى أبى لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده (فرقاناً) نصراً لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والاسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم فى أقطار الأرض من قولهم بتّ أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة ۞ لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عزوجل فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم إبليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال إبليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفاً صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن الله له فى الهجرة فأمر علياً رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله عزوجل سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق (ويمكرون) ويخفون المكايد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعدلهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل هذا)

(قوله وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره) أى خافوا أن يعظم أمره اهـ صحاح

إِلَّا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞

نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا فى باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ماعلم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل (إن كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعنى إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو فى القراءة الأولى فصل ۞ ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار فى معنى العذاب ۞ (فإن قلت) مافائدة قوله (من السماء) والأمطار لا تكون إلا منها (قلت) كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعنى أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبإ : ماأجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ۞ اللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم فى الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله ومالهم ألا يعذبهم الله وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم ومالهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين ومالهم أن لا يعذبهم الله وأى شىء لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لاحظ لهم فى ذلك وهم معذبون لامحالة ۞ وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وإخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (إن أولياؤه إلا

(قوله نفاجة منهم وصلف) قوله نفاجة أى تكبر والصلف مجاوزة الحد كبرا والراعدة السحابة وهذا مثل يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به والمندح المعلى أحد سهام الميسر يخرج للغالب اه صحاح (قوله على أن يغمروه وقيل قائله) يقال للرجل غمره القوم إذا علوه شرفا كذا فى الصحاح (قوله أنجمت وأسبلت ومطرت) قوله أنجمت أى انكشفت نجومها وأسبلت أمطرت وهتنت وهتلت تتابع مطرها اه صحاح

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ

المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان براً تقياً فكيف بالكفرة عبدة الأصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكى والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد إذا قومك منه يصدون * وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فإن قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سوداً أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة * قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم (إلى جهنم يحشرون) لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى «كادوا يكونون عليه لبدا» يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون وأولئك إشارة إلى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين كفروا) من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو (إن ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا يغفر لكم

(قوله بوزن الثغاء والرغاء من مكا) الثغاء صوت الغنم والرغاء صوت الإبل والمكا بالتشديد طائر وجمعه مكاكي اه صحاح (قوله أو من صد يصد إذا قومك منه) في الصحاح صد يصد ويصد صديداً أي ضج

(قوله أو محدرجة سمرا) المحدرج الأملس كذا في الصحاح (قوله فيرجعون طلقاء كتب الله) في الصحاح الطليق الأسير الذي أطلق عنه أساره وخلي سبيله

الأوّلين ❊ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ❊ وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ❊ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول

وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه أي إن ينتهوا عماهم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وإن يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الأولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الإسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا إن يعودوا بالارتداد ❊ وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده (فإن انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فإن الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم وإسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وإن تولوا) ولم ينتهوا (فإن الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (أنما غنمتم) ما موصولة و (من شيء) بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث أنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فإن قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فإن قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله

❊ قوله تعالى «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى» الآية (قال إن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه الخ) قال أحمد لأن مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف

(قوله من السلاح والكراع) الكراع هو اسم جمع للخيل اه صحاح

وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَـٰمَى وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ

ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقرباً به إليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين وعلى الثانى ماقال أبو العالية أنه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل إن سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى أن أبا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيأ ولا يتيم موسر وعن زيد بن على رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبنى منه قصوراً ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضى الله عنه فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولى الأمر من بعده وعن الكلبى رضى الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة (فإن قلت) بم تعلق قوله (إن كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله تعالى لأن العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا) وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر و(الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شىء قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (إذ) بدل من يوم الفرقان ۝ والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما فى الصبية ۝ والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى (فإن قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجىء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب أسفل منكم) يعنى الركب الأربعين الذين كانوا

فيما سواها وليس لأن يتملكاها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الأمر عنده موكول إلى نظر الإمام فيصرف الخمس فى مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده فى ذلك البتة وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف فى وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديداً ولكن تنبيهاً على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول بل هو قار على حاله كما أن العموم ثابت للملائكة وإن خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

(قوله يصرف إلى رتاج الكعبة) فى الصحاح الرتج بالتحريك الباب العظيم وكذلك الرتاج ومنه رتاج الكعبة
(قوله وأغيلت مع أغالت) أغيلت أى أرضعت وهى موطوءة أفاده الصحاح

وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۞ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ

يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر للمبتدإ (فإن قلت) مافائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه ودليلا على أن ذلك أمرلم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لابأس بها ولاماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عدوهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وأن لايتركوا وراءهم مايحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لايبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير مادبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضى أمراً كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ماكان (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم مافى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ماوفقه الله وسبب له (ليقضى) متعلق بمحذوف أى ليقضى أمراً كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعن مخالجة شبهة حتى لاتبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ماكان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ۞ وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوى مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (إذ يريكهم الله) نصبه بإضمار اذكر أوهو بدل ثان من يوم الفرقان أومتعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح إذ يقللهم فى عينك (فى منامك) فى رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه إياهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وماأحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن ومايلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الإقدام (ولتنازعتم) فى الرأى وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار

۞ قوله تعالى إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (قال إن قلت مافائدة ذكر مركز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشرى

(قوله والتياث أمرهم) قوله والتياث أى اختلاط اه صحاح (قوله وهى خبار تسوخ فيها) خبار أى رخوة ذات جحرة اه صحاح (قوله وشخص بقريش) يقال للرجل إذا ورد عليه أمراً قلعه شخص به اه صحاح
(قوله كما قيل للقطيفة المنامة) قوله للقطيفة هى دثار مخمل اه صحاح

فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ۞ وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور ۞ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۞ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا

(ولكن الله سلم) أى عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (إنه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (وإذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعنى وإذ يبصركم إياهم و (قليلا) نصب على الحال وإنما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور (فإن قلت) الغرض فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى أعينهم (قلت) قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون مالم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا (فإن قلت) بأى طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث فى عيونهم مايستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول مايرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (إذا لقيتم فئة) إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر مايكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى خطب أمير المؤمنين عليه السلام فى أيام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم ۞ والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

ياصاحبى ألا لاحى بالوادى ۞ إلا عبيد قعود بين أذواد

وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز ۞ قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم (قال إن قلت بأى طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال أحمد وفى هذا دليل بين على أن الله تعالى هو الذى يخلق الإدراك فى الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلا لما أمكن أن يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز أن يخلق الله الإدراك مع اجتماعها فلا ربط إذا بين الرؤية ونفيها فى مقدرة الله تعالى وهى رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الأسباب فى حصول الإدراك عقلا وأنها تستلزم الجسمية إذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب إنما تتأتى فى جسم فهذه الآية حسبهم فى إبطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

(قوله وتفل شوكتهم) أى تكسر أفاده الصحاح

إنّ الله مع الصّابرين ۝ ولا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء النّاس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ۝ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب ۝ إذ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم ۝ ولو ترى إذ يتوفّى الّذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ۝

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ۝ أم تعدوان فإن الريح للعادى

وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ۝ حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الرأى نحو ماوقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله ۝ (و) اذكر (إذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لايغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ۝ فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أى بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من أشرافهم فى جند من الشياطين معه راية وقال لاغالب لكم اليوم وإنى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث إلى أين أتخذلنا فى هذه الحال فقال إنى أرى مالا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث وما رؤى إبليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا مارؤى يوم بدر (فإن قلت) هلا قيل لاغالباً لكم كما يقال لاضاربا زيداً عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لاغالباً إياكم لكان الأمر كما قلت لكنه خبر تقديره لاغالب كائن لكم (إذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الأقدام فى الإسلام وعن الحسن هم المشركون (غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضى كما

(قوله وتعزف علينا القيان) تلعب بالملاهى وتغنى والقينة الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان والقين الحداد والجمع القيون وكل عبد هو عند العرب قين وقان الشئ يقينه قينا إذا أصلحه وزينه أفاده الصحاح (قوله وأن يكونوا من أهل التقوى) لعله وأن لايكونوا أولعله بأن يكونوا (قوله ولا أدحر) الدحر الطرد والإبعاد اه صحاح

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ
اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *
الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ

تردإن الماضى إلى معنى الاستقبال و (إذ) نصب على الظرف * وقرئ يتوفى بالياء والتاء و (الملائكة) رفعها بالفعل (ويضربون) حال منهم ويجوز أن يكون فى يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالأبتداء ويضربون خبر * وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكنى وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزى والنكال فى ضربهما أشد وبلغنى عن أهل الصين أن عقوبة الزانى عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد فى مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أى مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أى لرأيت أمراً فظيعاً منكراً (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه * الكاف فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى دوموا عليه وواظبوا و (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (وذلك) إشارة إلى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فإن قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفى ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرق القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون)

---

* قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى فلم عدل عن الأبلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان

خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ

لايخافون عاقبة الغدرولايبالون مافيه من العاروالنار (فإماتثقفنهم فى الحرب) فإما تصادفنهم وتظفرنّ بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لايجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء وأوقعه فيه لأنّ الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دلّ على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعلّ المشردين من ورائهم يتعظون (وإمّا تخافنّ من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ إليهم) فاطرح إليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفا بينا أنك قطعت مابينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إنّ الله لايحب الخائنين) فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوى أو حاصلين على إستواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معاً (سبقوا) أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم (إنهم لايعجزون) إنهم لايفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون ۝ وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لايعجزون على أن لاصلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (من قوة) من كل مايتقوى به فى الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله وعن عكرمة هى الحصون والرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذى هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصاً للخيل من بين مايتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر : ۝ إن الحصون الخيل لامدر القرى ۝ (ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقر ابن عباس

الجوابان عتيدان فى هذا السؤال ۝ قوله تعالى وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمى روى عقبة بن عامر أنها الرمى الخ) قال أحمد والمطابق للرمى أن يكون الرباط على بابه مصدراً والله أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل

(قوله وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر) شذر مذر بفتحات أى فى كل وجهة اه صحاح

بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَاتُظْلَمُونَ ۝ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ الْئَٰنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ

ومجاهد رضي الله عنهما تخزون والضمير فى (به) راجع إلى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء فى الحديث إن الشيطان لايقرب صاحب فرس ولادارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن ۝ جنح له واليه إذا مال ۝ والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب قال السلم تأخذ منها مارضيت به ۝ والحرب يكفيك من أنفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله» وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الأمر موقوف على مايرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أوسلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً ۝ وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولاتخف من إبطانهم المكر فى جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فإن حسبك الله) فإن محسبك الله قال جرير إنى وجدت من المكارم حسبكم ۝ أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا (وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة فى أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لايكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب فى الله والبغض فى الله ولايقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وماذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع ومابعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولاتجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال ۝ فحسبك والضحاك عضب مهند ۝ والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصراً أو يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى إسلام عمر رضى الله عنه وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت ۝ التحريض المبالغة فى الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له ما أراك إلا حرضا فى هذا الأمر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى ۝ وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرص ۝ وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا اعشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بأنهم قوم لايفقهون) أى بسبب أن الكفار قوم

أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ فَكُلُوا

جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه مايستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لايفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضى الله عنه فى ثلاثين راكباً فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف ۝ وقرئ ضعفاً بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف ۝ وقرئ الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك (فإن قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لاتتفاوت لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين ۝ وقرئ للنبى على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل فى أهله ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ماصح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فإما مناً بعد وإما فداء وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر رضى الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن علياً من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فاضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك ياأبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضى الله عنهما لقوله كان الإثخان فى القتل أحب إلى (عرض الدنيا) حطامها سمى بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعنى ماهو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان فى القتل ۝ وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ ۝ ونار توقد بالليل نارا

مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعنى ثوابها (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسراً ويطاق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق إثباته فى اللوح وهو أنه لايعاقب أحداً بخطأ وكان هذا خطأ فى الاجتهاد لأنهم نظروا فى أن استبقاءهم ربما كان سبباً فى إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التى أخذوها وقيل إن أهل بدر مغفور لهم وقيل أنه لايعذب قوما إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى ولم يتقدم نهى عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شىء لم يعهد إليكم فيه (فإن قلت) مامعنى الفاء (قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم ۞ وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا وقوله (إن الله غفور رحيم) معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد مافرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (فى أيديكم) فى ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم ۞ وقرئ من الأسرى (فى قلوبكم خيراً) خلوص إيمان وصحة نية (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الأعمش يثبكم خيراً وعن العباس رضى الله عنه أنه قال كنت مسلماً لكنهم استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ماتذكره حقاً فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس أفد ابنى أخيك عقيل ابن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال يامحمد تركتنى أتكفف قريشاً مابقيت فقال له فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدرى مايصيبنى فى وجهى هذا فإن حدث بى حدث فهو لك ولعبدالله وعبيدالله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لاإله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما إذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس رضى الله عنه فأبدلنى الله خيراً من ذلك لى الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ماقدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل (وإن يريدوا خيانتك) نكث مابايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ماأخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ماضمنوا من الفداء ۞ الذين هاجروا أى فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ورسوله هم المهاجرون ۞ والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار (بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضاً فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ۞ وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر

مالكم من ولـيتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم
وبينهم ميثـق والله بما تعملون بصير ۝ والذين كفروا بعضهم أوليآء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض
وفساد كبير ۝ والذين ءامنوا وهاجروا وجـهدوا فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولـئك هم المؤمنون
حقا لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجـهدوا معكم فأولـئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتـب الله إن الله بكل شىء عليم ۝

﴿سورة التوبة مدنية﴾

إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ نزلت بعد المائدة

براءة من الله ورسوله إلى الذين عـهدتم من المشركين ۝ فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم

أى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملا (فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (إلا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فإنه لايجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لايبتدؤن بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى فى المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (إلا تفعلوه) أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين مالم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً ۝ وقرئ كثير بالثاء (أولئك هم المؤمنون حقاً) لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (وأولو الأرحام) أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) تعالى فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح وقيل فى القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على توريث ذوى الأرحام . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برئ من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب

(قوله والشهادة لهم مع الموعد الكريم) لعله والشهادة لهم بالإيمان

لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله عنه أنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ماتركت أحداً إلا نالت منه (فإن قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور (قلت) سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضي الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله عز وجل فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المائون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدإ محذوف أي هذه براءة و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الذين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (إلى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار * وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة * وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم (فإن قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين * روى أنهم عاهدوا

---

* (القول في سورة براءة) * براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين الآية (قال معناه إن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد ووراء ما ذكره سر آخر هو المرعي والله أعلم وذلك أن نسبة العهد إلى الله ورسوله في مقام نسب إليه النبذ من المشركين لا يحسن شرعا ألا ترى إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمراء السرايا حيث يقول لهم وإذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أصادفت حكم الله فيهم أولا وإن طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك فلأن تخفر ذمتك خير من أن تخفر ذمة الله فانظر إلى أمره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة أن تخفر وإن كان لم يحصل بعد ذلك الأمر المتوقع فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ إلى الله أحرى وأجدر فلذلك نسب العهد إلى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

سورة التوبة

(قوله أسرار المنافقين تبحث عنها) لعله أي تبحث (قوله شبيهة بقصتها) هذا الضمير للأنفال بدليل التشبيه وإن لم يجر لها ذكر هنا وعبارة الخازن ولم يبين لنا أين نضعها وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت التوبة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها الخ (قوله فأجاب ودعي إلى الجزية) لعله أو دعي (قوله ولا تخف ومترس) مترس بفتح الميم والتاء وسكون الراء فارسي معناه أمان (قوله تعدان السابعة من الطول) الطول بكسر ففتح بمعنى الطويلة أفاده الصحاح وعبارة غيره الطوال

غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ

المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الأشهر الحرم فى قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب ابن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال لا يؤدى عنى إلا رجل منى فلما دنا علىّ سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أنّ أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر رضى الله عنهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآى فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علىّ رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إنى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد رضى الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علىّ أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأنّ العرب عادتها فى نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضى الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضى الله عنه ۞ (فإن قلت) الأشهر الأربعة ما هى (قلت) عن الزهرى رضى الله عنه أنّ براءة نزلت فى شوال فهى أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأنّ ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسيء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة (فإن قلت) ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين فى الأشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزى الله) لا تفوتونه وإن أمهلكم ۞ وهو مخزيكم أى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد فى قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الايذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء (فإن قلت) أى فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية (قلت) تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت (فإن قلت) لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس (قلت) لأنّ البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لأنّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمى وعن علىّ رضى الله عنه أنّ رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك هذا خل عن دابتى وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأنّ العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فات الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر لأنّ ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن رضى الله عنه سمى يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم فى قلب كل مؤمن

بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ

كافر ۞ حذفت الباء التى هى صلة الأذان تخفيفا وقرئ إن الله بالكسر لأن الأذان فى معنى القول (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع أى برىء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن إعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابى قراءته فعندها أمر عمر رضى الله عنه بتعلم العربية (فإن تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وإن توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولى والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه ۞ (فإن قلت) مم استثنى قوله (إلا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الأرض لأن الكلام خطاب المسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا إليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا فى الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر ۞ إن الله يحب المتقين يعنى أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلتين فاتقوا الله فى ذلك (لم ينقصوكم شيئا) لم يقتلوا منكم أحداً ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم أنى ناشداً محمداً ۞ حلف أبينا وأبيك الأتلدا ۞ إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا ۞ هم بيتونا بالحطيم هجداً ۞ وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لانصرت إن لم أنصركم ۞ وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا إليهم) فأدوه إليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضى الله عنه بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم ۞ انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و (الأشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعنى الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والأخيذ

۞ قوله تعالى «إلا الذين عاهدتم» (قال محمود إن قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه أن يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله إلى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله إلى المعاهدين لا الباقين على العهد فأتموا إليهم أيها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين فى قوله إلى الذين عاهدتم إلى خطاب المشركين فى قوله فسيحوا ثم التفات من التكلم إلى الغيبة بقوله واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله وأصله واعلموا أنكم غير معجزى وأنى وفى هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتنان فى أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم الأمر ثم يتلو هذا الالتفات العود إلى خطاب المسلمين بقوله إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وإنما بعث الزمخشرى على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة أن يطابق قوله فأتموا إذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولا وثانياً ولا يكون فيه شىء من الالتفاتات

(قوله خزاعة عيبة رسول الله) عيبة كذا فى نسخ وكتب عليه أى خزانة سره وفى أخرى فى غيبة وهو كذلك

غفور رحيم ۝ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ۝ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ۝ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة

الأسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد وعن ابن عباس رضى الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله ۝ خل السبيل لمن يبنى المنار به ۝ وعن ابن عباس رضى الله عنه دعوهم وإتيان المسجد الحرام (إن الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر تقديره وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التى يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت وعن الحسن رضى الله عنه هى محكمة إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين إلى على رضى الله عنه فقال إن أراد الرجل منا أن يأتى محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لأن الله تعالى يقول وإن أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدى والضحاك رضى الله عنهما هى منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أى ذلك الأمر يعنى الأمر بالإجارة فى قوله فأجره (ب) سبب (أنهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعنى محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ۝ ثم استدرك ذلك بقوله (إلا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (إن الله يحب المتقين) يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال:

المبنية على التأويل الذى ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم ۝ قوله تعالى ۝ واقعدوا لهم كل مرصد ۝ (قال محمود فيه المرصد المجاز والممر الخ) قال أحمد ويكون انتصابه دون جزء من الاتساع لأن المرصد ظرف مختص والأصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله فى الاتساع ۝ كما عسل الطريق الثعلب ۝ ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدراً لأن صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحدة فعلى هذا يكون منصوبا نصباً أصلياً لأن اقعدوا فى معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد إلا أن الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفى المكان والله أعلم

۝ قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلى الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحمد

فى أبى السعود (قوله وتبين ما بعثت له فأمنه) لعله ويتبين عطفاً على يسمع (قوله وهم أضداد وغرة صدرهم) قوله وغرة أى ملتهبة من الغيظ

يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فسقون ۝ اشتروا بآيت الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم
ساء ما كانوا يعملون ۝ لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ۝ فإن تابوا وأقاموا
الصلوة وءاتوا الزكوة فإخونكم فى الدين ونفصل الآيت لقوم يعلمون ۝ وإن نكثوا أيمنهم من بعد
عهدهم وطعنوا فى دينكم فقتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمن لهم لعلهم ينتهون ۝ ألا تقتلون قوما نكثوا

وخبرتمانى إنما الموت بالقرى ۝ فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (إن يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الإيمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم إلا) لا يراعوا حلفاً وقيل قرابة وأنشد لحسان رضى الله عنه

لعمرك إن إلك من قريش ۝ كإل السقب من رأل النعام

وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الآل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الآل وهو الجؤار وله أليل أى أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد ۝ وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والإسلام (ثمناً قليلا) وهو اتباع الأهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فإن تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فإخوانكم فى الدين) فهم إخوانكم على حذف المبتدإ كقوله تعالى « فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم » (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثاً وتحريضاً على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا فى دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم إشعاراً بأنهم إذا نكثوا فى حال الشرك تمرداً وطغياناً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخواناً للمسلمين فى الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذمى فى دين الإسلام طعناً ظاهراً جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (إنهم لا أيمان لهم) جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم أى لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه (فإن قلت) كيف أثبت لهم الإيمان فى قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على

السر فى تكرار كيف والله أعلم أنه لما ذكره أولا لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر إذ ذاك سبب البعد للغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام أعيدت كيف تطرية للذكر وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار

(قوله كإل السقب من رأل النعام) السقب الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعام كذا فى الصحاح (قوله ودعت ألليها إذا ولولت) فى الصحاح وأما قول الكميت يمدح رجلا ۝ وأنت ما أنت فى غبراء مظلمة ۝ إذا دعت ألليها الكاعب الفضل ۝ فيجوز أن يريد الألل ثم ثنى كأنه يريد صوتا بعد صوت اه (قوله لا مروءة تزعهم) تزعهم أى تكفهم اه صحاح

أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ

أن يمين الكافر لاتكون يمينا وعندالشافعى رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه أنهم لايوفون بهابدليل أنه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم بعد ماوجد منهم ماوجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا فى انتهائهم عماهم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسىء بالرحمة كلما عاد (فإن قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أى بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف (ألاتقاتلون) دخلت الهمزة على لاتقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة (نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة (وهموا بإخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له فى الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم أول مرة) أى وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادؤن بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لاتترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله أحق أن تخشوه) فتقاتلوا أعداءه (إن كنتم مؤمنين) يعنى أن قضية الإيمان الصحيح أن لايخشى المؤمن إلا ربه ولايبالى بمن سواه كقوله تعالى ولايخشون أحدا إلا الله ۞ لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال (قاتلوهم) ۞ ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة فى جملة ماأجيب به الأمر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ماسيكون كما يعلم ماقد كان (حكيم) لايفعل إلا مااقتضته الحكمة (أم منقطعة) ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لاتتركون على ماأنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين

بل هذا السر الذى انطوى عليه وقد تقدمت له أمثال والله الموفق

(قوله بين مخرج الهمزة والياء) لعله مخرجى الهمزة والياء (قوله ويشف صدور طائفة) هذا لفظ التلاوة والأنسب ويشفى عطفا على يعذبهم بأيديهم لأنه من جملة الوعد (قوله ويذهب غيظ قلوبكم) التلاوة غيظ قلوبهم ولعل بعض الناسخين فهم أنه من البشرى فغيره بلفظ الخطاب والمنجز غيظ قلوبهم لما لقوا ثم قوله ويذهب بالرفع عطف على يعذبهم بأيديهم لأنه من جملة الوعد كما سيشير اليه

يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا

المخلصين وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقول القائل ما علم الله منى ما قيل فىّ يريد ما وجد ذلك منى (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد الله) يعنى المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثانى أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك و(شاهدين) حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصى وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطفق على ابن أبى طالب رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أو لكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجراً إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت (حبطت أعمالهم) التى هى العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار فى قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم فى حال واحدة وذلك محال غير مستقيم (إنما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتداً بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبى صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضى الله عنه من أسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد ضوءه * (فإن قلت) هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر أن الإيمان بالله تعالى قرينته الإيمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شىء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول عليه السلام وقيل دلّ عليه بذكر إقامة الصلاة

* قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال إذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح إلا قوله إن الكبيرة تهدم الأعمال فإنه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها *

(قوله فيقعدون فيها حلقا) فيقعدون فى نسخة فيعدون وفى أخرى فيغدون وليحرّر

يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ۝ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ۝ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ۝ خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ۝ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ۝

وإيتاء الزكاة ۝ (فإن قلت) كيف قيل (ولم يخش إلا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى فى أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التى استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفى هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين فى ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى ۝ السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبى وجزة السعدى وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين أعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم ۝ وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا رضى الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست فى أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أرانى إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا هم (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم ۝ قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل ۝ وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضى الله عنه هى فى المهاجرين خاصة ۝ كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن

قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله تعالى فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال فى هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمد وأكثرهم يقول إن عسى من الله واجبة بناء منهم على أن استعمالها غير مصروفة للمخاطبين والحق فيما قال الزمخشرى ولكن الخطاب مصروف إليهم أى فحال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الأمور

(قوله لأطماعهم من الانتفاع) لعله فى كعبارة النسفى (قوله وأبى وجزة السعدى) فى الصحاح أنه شاعر ومحدث

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا

موالاتهم وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم لايطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحبّ فى الله ويبغض فى الله حتى يحبّ فى الله أبعد الناس ويبغض فى الله أقرب الناس إليه ۞ وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) وعيد . عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هى عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لاترى أشدّ منها كأنها تنعى على الناس ماهم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب فى ذات الله والثبات على دين الله مايستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرّد منها لأجله أم يزوى الله عنه أحقر شىء منها لمصلحته فلا يدرى أىّ طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالى كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ۞ مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاى طحت كما هوى ۞ بأجرامه من قلة النيق منهوى

وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ۞ (فإن قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين أو فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لابهذا الظاهر وموجب ذلك أنّ قوله (إذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأنّ كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً فى جميعها فبقى أن يكون ناصبه فعلا خاصاً به إلا إذ نصبت إذا بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامّهم من إمداد سائر العرب فكانوا الجمّ الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقيل أبو بكر رضى الله عنه وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديداً وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزلّ عنهم أنّ الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه لايتحلحل ليس معه إلا عمه العباس رضى الله عنه آخذاً بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث بن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهى

۞ قوله تعالى « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » (قال محمود مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال أحمد لامانع والله أعلم من عطف الظرفين المكانى والزمانى أحدهما على الآخر كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد إذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمراً فى المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيداً وعمرا ولايحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول هذا مع أنه لابدّ من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين فى الحقيقة فإنك إذا قلت أضرب زيداً اليوم وعمراً غداً لم يشك فى أنّ الضربين متغايران بتغاير الظرفين ومع ذلك الفعل

(قوله من قلة النيق منهوى) ويروى قنة وكلاهما بمعنى أعلى الجبل والنيق أرفع موضع فى الجبل كما فى الصحاح

(قوله لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن) إنما يلزم كون كثرتهم أعجبتهم فى جميعها مع أنه خلاف الواقع لو جعل إذ أعجبتكم بدلا من المواطن أيضاً فتدبر

وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وماهى إلا من آيات النبوّة وقال يارب ائتنى بما وعدتنى وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى الأنصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحداًوهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) مامصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها لم أحلها تعنى مع ثياب السفر والمعنى لاتجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (سكينته) رحمته التى سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنودا) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسبى النساء والذرارى (ثم يتوب الله) أى يسلم بعد ذلك ناس منهم وروى أن ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم مالايحصى فقال إن عندى ماترون إن خير القول أصدقه اختاروا إماذراريكم ونساءكم وإماأموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذرارى والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيأ فمن كان بيده شىء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لافليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إنى لاأدرى لعل فيكم من لايرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قدرضوا ۞ النجس مصدر يقال نجس نجساً وقذر قذراً ومعناه ذو نجس لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولأنهم لايتطهرون ولايغتسلون ولايجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أوجعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أوضرب نجس وأكثر ماجاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد

واحدفى الصناعة فعلى هذا يجوز فى الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غيرمؤول إلى الآخر على أن الزمخشرى أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كانا عنده جميعاً زمانين لعلة أن كثرتهم لم تكن ثابتة فى جميع المواطن يريدولو ذهبت إلى اتحاد الناصب الزم ذلك وهذا غيرلازم ألا تراك لوقلت أضرب زيداً حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحداً وهمامتغايران وإنما يمتنع عمل الفعل الواحد فى ظرفى زمان مختلفين عندعدم

(قوله ورباطة جأشه) الجأش رواع القلب عند الفزع ورابط الجأش من يربط نفسه عن الفرار لشجاعته ويقال هم عنق إليك أى مائلون إليك كذا فى الصحاح (قوله بمعنى مع رحبها وحقيقته) لعله بمعنى مع أى مع رحبها وفى الصحاح الرحب بالضم السعة

عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ قَـٰتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَـٰرَى الْمَسِيحُ

فى كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول على كرم الله وجهه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضى الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وإن خفتم عيلة) أى فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدراراً فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضى الله عنه ألقى الشيطان فى قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم ۞ وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله (إن شاء) الله إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم فى دينكم (إن الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطى ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما فى حيزه ، نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة وعن أبى روق لا يعملون بما فى التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام الذى هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده ۞ سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل (عن يد) إما أن يراد يد المعطى أو الآخذ فمعناه على إرادة يد المعطى حتى يعطوها عن يد أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط

العطف المتوسط بينهما والله أعلم قوله تعالى «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (قال هذا النهى راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصاً بالمناهى فإن ظاهر الآية توجه النهى إلى المشركين إلا أنه بعيد لأن المعلوم من المشركين أنهم لا ينزجرون بهذا النهى والمقصود تطهير المسجد الحرام بإبعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود إلا بنهى المسلمين عن تمكينهم من قربانه ويرشد إلى أن المخاطب فى الحقيقة المسلمين تصدير الكلام بخطابهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمينه نصاً بخطابهم بقوله وإن خفتم عيلة وكثيراً ما يتوجه النهى على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه إذا كانت ثم ملازمه كقوله لا أرينك ههنا ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون والله أعلم ۞ قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال إما أن يراد به المعطى أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد فى قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب إلى قوله إلا يداً بيد ۞ عاد كلامه (قال وإن أريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه أملأ بالفائدة والله أعلم

(قوله وأكثر ميرهم وأسلم) المير إطعام الطعام ويقال بلد باليمن وجرش موضع منه أيضاً أفاده الصحاح
(قوله أى عن يدى مؤاتية غير ممتنعة) فى الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته

ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم

يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد وأصحب ألاترى إلى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة لامبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ وأما على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وإن كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالإسلام عند أبى حنيفة ولا يسقط به خراج الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبى حنيفة تضرب على كل كافر من ذمى ومجوسى وصابىء وحربى إلا على مشركى العرب وحدهم روى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب وقال لأهل مكة هل لكم فى كلمة إذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت إليكم العجم الجزية وعند الشافعى لا تؤخذ من مشركى العجم والمأخوذ عند أبى حنيفة فى أول كل سنة من الفقير الذى له كسب اثناعشر درهما ومن المتوسط فى الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعى يؤخذ فى آخر السنة من كل واحد دينار فقيراً كان أو غنيا كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربياً وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضى الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان ابن أوفى وشاش بن قيس ومالك ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له إلى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ماجمع الله التوراة فى صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب * (فإن قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لايعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم لاتدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب ومالا معنى له مقول بالفم لاغير ، والثانى أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبى حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لابقلوبهم لأنه لاحجة معه ولاشبهة حتى يؤثر فى القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لاصاحبة له لم تبق شبهة فى انتفاء الولد (يضاهون) لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم غير مستحدث أو يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهى التى ضاهأت الرجال فى أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما فى غرقئ (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجباً من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون)

(قوله وأصحب) أى سهل بعد صعوبة اهـ صحاح (قوله وأن يتلتل تلتلة) أى يزعزع ويزلزل وقوله يزخ أى يدفع كما فى الصحاح (قوله أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة) هذا لايناسب قوله على فعيل فلعله أو همزة الخ

ورهبـنهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا وحدًا لا إله إلا هو سبحـنه عما يشركون ۞ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفوههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكـفرون ۞ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ۞ يـأيها الذين ءامنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموٰل الناس بالبـطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون

كيف يصرفون عن الحق ۞ اتخاذهم أربابًا أنهم أطاعوهم فى الأمر بالمعاصى وتحليل ماحرم الله وتحريم ماحلله كما تطاع الأرباب فى أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده بل كانوا يعبدون الجن ياأبت لاتعبد الشيطان وعن عدىّ ابن حاتم رضى الله عنه انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال ألقِ هذا الوثن عنك فألقيته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ ... ألیسوا يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلون ماحرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضى الله عنه ما أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى إلى قوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (وماأمروا إلا ليعبدوا إلهاواحداً) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص فى الإنجيل والمسيح عليه السلام أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الإشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير فى وماأمروا للمتخذين أربابًا أى وماأمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ۞ مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى فى الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (فإن قلت) كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت وأبغضت إلا زيداً (قلت) قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره ۞ معنى أكل الأموال على وجهين إما أن يستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم أخذ الطعام وتناوله وإما على أن الأموال يؤكل بها فهى سبب الأكل ومنه قوله :

إن لنا أحمرة عجافا ۞ يأكلن كل ليلة إكافا

يريد علفا يشترى بثمن إكاف ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشا فى الأحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرائع (والذين يكنزون) يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هى ثابتة وإنما عنى بترك الإنفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ماأدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهراً وعن عمر رضى الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذى أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ماأدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ماأديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ومالم يؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وإن كان على ظهر الأرض (فإن قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضى الله عنه أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تباً للذهب تباً للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة

۞ قوله تعالى ويأبى الله إلا أن يتم نوره (قال إن قلت كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا إن الإباء عدم الإرادة فكما صح الايجاب بعد نفى الإرادة فينبغى أن يصح بعد ماهو فى معناها مطلقا لأنا نقول لوجود حرف

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۞ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء حد وما روى عن على رضى الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الأفضل (فإن قلت) لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله ۞ فإنى وقيار بها لغريب ۞ وقيار كذلك (فإن قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال (قلت) لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما (فإن قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى (فإن قلت) فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لأنه مسند إلى الجار والمجرور وأصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء ۞ وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء (فإن قلت) لم خصت هذه الأعضاء (قلت) لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على إرادة القول وقوله (لأنفسكم) أى كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التى حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب هو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع

النفى أثر فى تصحيح مجىء حرف الإيجاب بعد فلا يلزم ذلك والله أعلم ۞ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم (قال إن قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمى الميسم وأحميته الخ) قال أحمد وفى هذا الفصل دقائق إعراب يشوب حسنها إغراب والله الموفق

(قوله ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى) لعله والذهب كذلك

فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا النَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا

ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضرالذى بين جمادى وشعبان . والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أوأخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (أنفسكم) أى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراسانى رضى الله عنه أحلت القتال فى الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرما فى سائر الشهور (كافة) حال من الفاعل أوالمفعول (مع المتقين) ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها ۝ والنسىء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطئوا عدة ماحرم الله) أى ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين وربما زادوا فى عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعنى من غير زيادة زادوها ۝ والضمير فى يحلونه ويحرمونه للنسىء أى إذا أحلوا شهراً من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل يروى أنه حدث ذلك فى كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى الجاهلية وكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرّم فأحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول إن آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه ۝ جعل النسىء زيادة فى الكفر لأنّ الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفراً فزادتهم رجساً إلى رجسهم كما أنّ المؤمن إذا أحدث الطاعة إزداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضلّ على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضلّ على أن الفعل لله عز وجل ۝ وقرأ الزهرى ليوطئوا بالتشديد ۝ والنسىء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيأ كقولك مسه مسأ ومساساً ومسيساً وقرئ بهنّ جميعاً وقرئ النسى بوزن الندى والنسى بوزن النهى وهما تخفيف النسىء والنسء ۝ (فإن قلت) مامعنى قوله (فيحلوا ماحرم الله) (قلت) معناه فيحلوا بمواطأة العدّة وحدها من غير تخصيص ماحرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدى) أى لا يلطف بهم بل يخذلهم

(قوله فى إذا وحرف الاستفهام مانعة) لعله وحروف أو أحرف الاستفهام بمعنى همزة الاستفهام فلذا قال مانعة (قوله أن يعمل فيه قلت مادل عليه) لعله أن يعمل فيه اثاقلتم

فِى سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عزوجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أى تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدى بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحو أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذى معناه الإنكار والتوبيخ (فإن قلت) فما العامل فى إذا وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه (قلت) مادل عليه قوله اثاقلتم أو مافى مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ماتصنعون إذا قيل لكم كما تعمله فى الحال إذا قلت مالك قائما وكان ذلك فى غزوة تبوك فى سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) أى بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (إلا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيراً منهم وأطوع وأنه غنى عنهم فى نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيئاً وقيل الضمير للرسول أى ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لامحالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص ۞ (فإن قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت والثانى أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً فى ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم فى قوله من قريتك التى أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنهم أخرجوه (ثانى اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه يروى أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معى قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثانى اثنين بالسكون و (إذهما) بدل من إذ أخرجه ۞ والغار ثقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (إذيقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ماظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكار كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينته) ماألقى فى قلبه من الأمنة التى سكن عندها وعلم أنهم لايصلون إليه ۞ والجنود والملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين ۞ وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر (وكلمة

۞ قوله إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير (قال فى هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب إعادة الضمير إلى الرسول أن الضمير فى قوله إلا تنصروه عقيب ذلك عائد إليه اتفاقا والله أعلم

حَكِيمٌ ۞ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

الله) دعوته إلى الإسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع أوجه و(هى) فصل أومبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم (خفافا وثقالا) خفافا فى النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أوخفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أوخفافا من السلاح وثقالا منه أوركبانا ومشاء أوشبابا وشيوخا أومهازيل وسمانا أوصحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا أنه من يحبه الله يبتله . وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ۞ العرض ماعرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان مادعوا إليه غنما قريبا سهل المنال (وسفراً قاصداً) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لاتبعد وهم يدفنونه ۞ ولابعد إلا ماتوارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيحلفون أوهو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لواستطعنا لخرجنا معكم) أوسيحلفون بالله يقولون لواستطعنا وقوله لخرجنا سدّ مسد جوابى القسم ولوجميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدّة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع فى قوله فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أى لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها من المسير فى تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لواستطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لأنّ العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس مافعلت و(لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك

۞ قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين إما أن لايكون هو المراد وإما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا فى حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشرى على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن من قال فى هذه الآية إنّ من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه

(قوله ومعناه أخطأت وبئس مافعلت) خاطب الله رسوله خطاب الرقة والرأفة وفسره المصنف بخطاب الغلظة والقسوة وشتان مابينهما

وَتَعْلَمَ الْكَـٰذِبِينَ ۞ لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَـٰعِدِينَ ۞ لَوْ خَرَجُوا

واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن (حتى يتبين لك) من صدق فى عذره ممن كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى (لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا و كان الخاص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبى أبدا ولنجاهدن أبدا معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى (أن يجاهدوا) فى أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب (إنما يستأذنك) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ۞ قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال ۞ وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا ۞ من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير إضافة وعده بإضافة ۞ (فإن قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطياً معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إلى (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل إلقاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لأنفسهم وقيل هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى القعود (فإن قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى فى نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهى قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج فى نفوسهم حسناً ومصلحة (فإن قلت) فلم خطأ رسول الله

بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الأدب يجب احتذاؤه فى حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ۞ عاد كلامه (قال) وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله إلى قوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا الخ (قال أحمد) وهذا الأدب يجب أن يقتفى مطلقا فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه فى أن يسدى إليه معروفا ولا بالمضيف أن يستأذن ضيفه فى أن يقدم إليه طعاما فإن الاستئذان فى أمثال هذه المواطن أمارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه أنه كان لا يتعاطى شيأ من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجميلة والآداب الجليلة فقال تعالى «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين» أى ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به والمهتم يأمر ضيفه بمرأى منه ربما يعد كالمستأذن له فى الضيافة فهذا من الآداب التى ينبغى أن يتمسك بها ذوو المروءة وأولوا الفتوة وأشد من الاستئذان فى الخروج للجهاد ونصرة الدين والتثاقل عن المبادرة إليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتثاقل وقد دعى الناس إلى الغزاة أن يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه ۞ قوله تعالى «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين» (قال محمود إن قلت كيف جاز أن يوقع الله فى نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبنى على قاعدتين فاسدتين إيجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره واعلم أن معتقد السنة أن الله تعالى ألقى كراهة الخروج فى قلوبهم لأنه أراد شقاوتهم وانضاف إلى ذلك إرادة راحة المخلصين من مرافقتهم إذ الأمر ليس شرطاً فى نفوذ المشيئة والله الموفق ۞

فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن

صلى الله عليه وسلم فى الإذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لأن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر فى هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله تعالى ولكن لأنهم استأذنوه فى ذلك واعتذروا إليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز فى قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون فى ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ۞ (فإن قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» (إلا خبالا) ليس من الاستثناء المنقطع فى شىء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيراً إلا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذى هو الشىء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئاً إلا خبالا والخبال الفساد والشر (ولأوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشى وقرأ ابن الزبير رضى الله عنه ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصاً إذا أسرعت وأرقصتها قال ۞ والراقصات إلى منى فالغبغب ۞ وقرئ ولأوفضوا (فإن قلت) كيف خط فى المصحف ولا أوضعوا بزيادة ألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الألف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفاً وفتحتها ألفاً أخرى ونحوه أو لا أذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون المنافقين ويطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أى العنت ونصب الغوائل والسعى فى تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله ابن أبى يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضى الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الأمور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء فى إبطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الإثم بأن لا تأذن لى فإنى إن تخلفت بغير إذنك

عاد كلامه (قال محمود فإن قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبيهاته الحسنة ونزيده بسطاً فنقول لو قيل اقعدوا مقتصراً عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة مع إلحاقهم بهؤلاء الأصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة إلا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ فى توعد موسى عليه السلام بقوله لأجعلنك من المسجونين ولم يقل لأجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

(قوله بالتضريب) أى بالإغراء (قوله فالغبغب) هو المنحر وهو جبيل هناك كذا فى الصحاح

تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ

أثمت وقيل ولاتلقنى فى الهلكة فإنى إذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قدعلمت الأنصار أنى مستهتر بالنساء فلاتفتنى ببنات الأصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى وقرئ ولاتفتنى من أفتنه (ألا فى الفتنة سقطوا) أى إن الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وفى مصحف أبىّ رضى الله عنه سقط لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعنى أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هى محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم فى وسطها (إن تصبك) فى بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وإن تصبك مصيبة) نكبة وشدة فى بعضها نحو ماجرى فى يوم أحد يفرحوا بحالهم فى الانحراف عنك و(يقولوا قد أخذنا أمرنا) أى أمرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ماوقع ۝ وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ قرأ ابن مسعود رضى الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضى الله عنه هل يصيّنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لايفعل لأنه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب فى جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألاترى إلى قولهم صوب رأيه إلا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله أسهمى الصائبات والصيب واللام فى قوله (إلا ما كتب الله لنا) مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا مااختصنا الله باثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألاترى إلى قوله (هو مولانا) أى الذى يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لايتوكلوا على غير الله فليفعلوا ماهو حقهم (إلا إحدى الحسنيين) إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) إحدى السوأتين من العواقب إما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ماذكرنا من عواقبنا (إنا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم فلابد أن يلقى كلنا مايتربصه لايتجاوزه (أنفقوا) يعنى فى سبيل الله ووجوه البر (طوعا أو كرها) نصب على الحال أى طائعين أو مكرهين (فإن قلت) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال (لن يتقبل منكم) (قلت) هو أمر فى معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

۝ أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ۝ أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أم أحسنت (فإن قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) إذا دلّ الكلام عليه كما جاز عكسه فى قولك رحم الله زيداً وغفر له (فإن قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهى أن كثيراً كأنه يقول لعزة امتحنى لطف محلك عندى وقوة محبتى لك وعاملينى بالإساءة

(قوله إنى مستهتر بالنساء) مستهتر أى مولع لاأبالى بما يقال فى شأنى انتهى (قوله يصوب ومصاوب) فى الصحاح أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلى بالزائد ويجمع أيضا على مصاوب وهو الأصل (قوله صاب السهم يصيب ومن قوله) لعله ومنه أو لعله ومنها وفى الصحاح صاب السهم القرطاس يصيبه صيبا لغة فى أصابه (قوله إحدى السوأتين من العواقب) لعله السوأيين

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۞ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۞ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۞ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ

والإحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت أو محسنة وفى معناه قول القائل

أخوك الذى إن قمت بالسيف عامدا ۞ لتضربه لم يستغشك فى الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه (فإن قلت) ما الغرض فى نفى التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهباً هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الأمرين جميعاً وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمى الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم وروى أنها نزلت فى الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالى أعينك به فاتركنى (إنكم) تعليل لرد إنفاقهم ۞ والمراد بالفسق التمرد والعتو (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه ۞ وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمى أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى فى جمع سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهى ثقيلة عليهم كقوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت فى بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية فإن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغى أن يسنده المؤمن إلى نفسه (فإن قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين فى قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار ۞ الإعجاب بالشىء أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبى وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم فى جمعه واكتسابه وفى تربية أولادهم (فإن قلت) إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم (وهم كارهون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكاناً يلجئون اليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشىء وأغرته أنا يعنى أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفار (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول ۞ وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبى بن كعب رضى الله عنه متدخلا وقرئ لو ألوا إليه لالتجؤا اليه (يجمحون) يسرعون إسراعا لا يردهم شىء من الفرس الجموح وهو الذى إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضى الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد (يلمزك) يعيبك فى قسمة

(قوله فإن قلت إن صح تعليق) مبنى على أنه تعالى لا يريد الشر وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة أنه يريده كالخير
(قوله ويجمزون ويشتدون) فيقال جمز بالجيم يجمز بالكسر أسرع وحمز بالحاء يحمز بضمها اشتد اه صحاح فتدبر

فِى الصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَـآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَـٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّـآ إِلَى اللَّهِ رَٰغِبُونَ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَـٰكِينِ وَالْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ

الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يارسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة فى اللمز ۞ ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين ومافيه صلاح أهله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه ۞ وإذا للمفاجأة أى وإن لم يعطوا منها فاجؤا السخط ۞ جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ماقسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (إنا إلى الله) فى أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (إنما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هى لهم لا لغيرهم ونحوه قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلىّ وعند الشافعى رضى الله عنه لابد من صرفها إلى الأصناف الثمانية وعن عكرمة رضى الله عنه أنها تفرق فى الأصناف الثمانية وعن الزهرى أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان فى المسلمين قلة ۞ والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها مايبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفى سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غنى حيث ماله (فريضة من الله) فى معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فإن قلت) لم عدل عن اللام إلى فى فى الأربعة الأخيرة (قلت) للإيذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن

۞ قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء الآية إلى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها الخ) قال أحمد وهو مذهب مالك رضى الله عنه والقول بوجوب صرفها إلى جميع الأصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من إشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعى لا يسعده السياق فإن الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على أن غيرهم لا يستحق فيها نصيباً فهذا هو الغرض الذى سيقت له فلا اقتضاء فيها لما سواه والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت لم عدل عن اللام إلى فى فى الأربعة الأخيرة الخ) قال أحمد وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك

فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فإن قلت) فكيف وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمزقاسمها صلوات الله عليه وسلامه * الأذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين * وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن * وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفاً عليه أى هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أى أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة فى الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذن ونحن نأتيه ونعتذر اليه فيسمع عذر أيضاً فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدإ محذوف وخير كذلك

أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وإنما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن فى مصالح تتعلق بهم فالمال الذى يصرف فى الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا فى سبيل الله وإنما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها فى الاستدلال لمالك على أن الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك فيقول متعلق الجار الواقع خبراً عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فإما أن يكون التقدير إنما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعى لكن الأول متعين لأنه تقدير يكتفى به فى الحرفين جميعاً يصح تعلق اللام به وفى معا فيصح أن تقول هذا الشىء مصروف فى كذا ولكذا بخلاف تقديره مملوكة فإنه إنما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء إلى فى يحتاج إلى تقدير مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق * قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الأذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع سمى الرجل بالجارحة التى هى آلة السماع الخ) قال أحمد لا شىء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لأنه فى الأول إطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم فى تنقصه باليأس منه ويضاهى هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لأن فى أوله إطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شىء أقطع من الإطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

(قوله ونظيره قولهم للربيئة) فى الصحاح الربيئة الطليعة

لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا

أى هو أذن هو خير لكم يعنى إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال ﴿ (فإن قلت) لم عدى فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين باللام (قلت) لأنه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم مايقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم (فإن قلت) ماوجه قراءة ابن أبى عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هى علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق ﴿ وإنما وحد الضمير لأنه لاتفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا فى حكم مرضى واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشنى وجبر منى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ﴿ المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فإن له) على حذف الخبر أى لحق أن له (نار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لأن فى قوله أنه تأكيداً ويجوز أن يكون فإن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فإن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء ﴿ كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شىء يفضحنا ﴿ والضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود اليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم كأنها تقول لهم فى قلوبكم كيت وكيت يعنى أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أى ليحذر المنافقون (فإن قلت) الحذر واقع على إنزال السورة فى قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ماتحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون إظهاره من نفاقكم. بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشأم وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يانبى الله لاوالله ما كنا فى شىء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى

(قوله على سوء دخلتكم) أى مذمتكم وفى الصحاح أن دخلة الرجل بالضم باطن أمره اه ولعلها غلبت فى المذمة
(قوله ما أنباه عن الباء ونحوه) أى ما أبعده

مجرمين * المنـفقون والمنـفقـت بعضهم من بعض يأمرون بالمنـكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنـفقين هم الفـسقون * وعد الله المنـفقين والمنـفقـت والكفار نار جهنم خـلدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم * كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أمولا وأولدا فاستمتعوا بخلـقهم فاستمتعتم بخلقـكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلـقهم وخضتم كالذى خاضوا أولـئك حبطت أعمـلهم فى الدنيا والآخرة وأولـئك هم الخسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من

وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لاتنفعكم بعدظهورسركم (قدكفرتم) قدظهر كفركم باستهزائكم (بعد إيمانكم) بعد إظهاركم الإيمان (إن نعف عن طائفة منكم) بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أوإن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعذبهم فى العاجل نعذب فى العاجل طائفة بأنهم كانوامجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين * وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث * وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (بعضهم من بعض) أريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والإنفاق فى سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل فى قوله كسالى فما ظنك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) دلالة على عظم عذابها وأنه لاشىء أبلغ منه وأنه بحيث لايزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب سوى الصلى بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم فى العاجل لاينفكون عنه وهو مايقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين ومايحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم * الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل مافعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر * كاليوم مطلوبا ولا طالبا * بإضمار لم أر وقوله (كانوا أشد منكم قوة) تفسير لتشبيهم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم * والخلاق النصيب وهو ماخلق للإنسان أى قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أى أثبت * والخوض الدخول فى الباطل واللهو (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا وكالخوض الذى خاضوه (فإن قلت) أى فائدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن

(وألحقهم بالملائكة) مبنى على مذهب المعتزلة من تفضيل الملك على البشر

قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ

عنه كما أغنى قوله كالذى خاضوا عن أن يقال وخاضوا كخضتم كالذى خاضوا (قلت) فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة وإن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضى به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ماقبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة (حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفا كهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله فى المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى قولك سأنتقم منك يوما تعنى أنك لا تفوتنى وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شىء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد ۞ وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ويدل عليه ماروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هى مدينة فى الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشىء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولى الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عينى ولا تنازع نفسى إلى شىء مما وعد الله فى دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عنى وأن أحشر فى زمرة المهديين المرضيين عنده (ذلك) إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أى هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزاً وروى أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شىء أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعاً ولا تحابهم

۞ قوله تعالى «يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ)

(قوله والنفس المرة) أى القوية الشديدة العقل من المرة بالكسر وهى القوة وشدة العقل كما فى الصحاح

إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا

وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهرّ فى وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها ۞ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم، منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس أجل والله إن محمداً لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد إسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادى إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل همّ المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبىّ وإن لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (إلا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفاً فاستغنى (فإن يتوبوا) هى الآية التى تاب عندها الجلاس (فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار ۞ روى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه ۞ وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج

قال أحمد والحمد لله الذى أنطقه بالحجة لنا فى إغلاظ عليه أحيانا والله الموفق

(قوله فليكفهر فى وجهه) فى الصحاح اكفهر الرجل إذا عبس (قوله تصديق الكاذب وتكذيب الصادق) لعله تصديق الصادق وتكذيب الكاذب ويمكن أنه جعل نفسه كاذبا والجلاس صادقا لأنه مقتضى ظاهر الحلف

وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضي الله عنهما أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل (نفاقا) متمكنا (في قلوبهم) لأنه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر أن الضمير لله عزّ وجلّ والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق ۞ وقرئ يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالتاء عن عليّ رضي الله عنه (سرّهم ونجواهم) ما أسرّوه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون) محله النصب أو الرفع على الذمّ ويجوز أن يكون في محل الجرّ بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوّعين) المتطوعين المتبرعين روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حثّ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدّق عاصم بن عديّ بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا للعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (إلا جهدهم) إلا طاقتهم قرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله (ولهم عذاب أليم) سأل عبد الله بن عبد الله بن أبيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وإن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام

لأصبحن العاص وابن العاصي ۞ سبعين ألفا عاقدي النواصي

(فإن قلت) كيف خفي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام

۞ قوله تعالى «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» الخ (قال قد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر الخ) قال أحمد وما يدعيه الزمخشري في هذا وأمثاله من محذوف هو المقصود بالأمر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة ۞ أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ۞ كأنه يقول لها امتحني محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحالان أو لا قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر في الآية الأخرى في قوله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم عاد كلامه (قال فإن قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد وقد أنكر القاضي رضي الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى قوم في قبوله حتى أنهم اتخذوه عمدة في مفهوم المخالفة وبنوه على أنه عليه السلام فهم من تحديد نفي الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب إنكار القاضي عليهم

(قوله والمعنى فخذلهم حتى نافقوا) فسره بذلك على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يخلق الشر
(قوله بالجرير) هو حبل البعير ويروى أجر بالجرير الماء كذبها من أجر

أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفسقين ۞ فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ۞ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون ۞ فإن رجعك الله إلى طآئفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ۞ ولا تصل

وتمثيلاته والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لى ربى فسأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول إبراهيم عليه السلام ومن عصانى فإنك غفور رحيم وفى إظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المناقفين فأذن لهم وخلفهم فى المدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال أقام خلاف الحى بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبى حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله تعالى وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه ومافيهم مافى المؤمنين من باعث الإيمان وداعى الإيقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها ۞ مساءة يوم أريها شبه الصاب ۞ فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ۞ وراء تقضيها مساءة أحقاب

۞ معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيراً (جزاء) إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ۞ وإنما قال (إلى طائفة منهم) لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعنى إلى غزوة بعد غزوة تبوك و(أول مرة) هى الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم تخلفهم الذى علم الله أنه لم يدعهم اليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين (فإن قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهى أكبرهن ثم إن قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ماقيل ۞ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبدالله بن أبى بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يارسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وسأله أن يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبدالله بن عبدالله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلى على

(قوله يوم أريها شبه الصاب) فى الصحاح الأرى العسل والصاب عصارة شجر مر (قوله لا لتؤنبنى) أى تعنفنى باللوم

عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۞ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۞ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ۞ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلى عليه فجذبه جبريل (فإن قلت) كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبدالله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك وإجابة له إلى مسئلته إياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعى المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى أنه قال له أسألك أن تكفنه فى بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلما بأن تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفا لغيره فقد روى أنه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وإنى أؤمل من الله أن يدخل فى الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه وطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فإن قلت) فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهى عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما فى ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضى الله عنه ما أدرى ما هذه الصلاة إلا أنى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة (إنهم كفروا) تعليل للنهى وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لأن تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشىء الذى أهم صاحبه فهو يرجع اليه فى أثناء حديثه ويتخلص اليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه ۞ يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها فى قوله (وإذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هى براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد (أن آمنوا) هى أن المفسرة (أولوا الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر فى التخلف (فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أى إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما . فإن استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر فى الأمر إذا قصر فيه وتوانى

(قوله وكان رجلا طوالا فكساه) فى الصحاح الطوال بالضم الطويل (قوله إنا لا نأذن لمحمد) أى فى دخوله مكة
(قوله فقد نهد إلى الفوز) قوله نهد أى نهض كما فى الصحاح

الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ۝ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ۝ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ۝ ولا على الذين
إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ۝
إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم
لا يعلمون ۝ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى

ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز فى العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للإتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذى يجتهد فى العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فائذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طىّ على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأنّ التاء لا تدغم فى العين إدغامها فى الطاء والزاى والصاد فى المطوعين وأزكى وأصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضى الله عنه الذين لم يفرطوا فى العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الأعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الإيمان وقرأ أبىّ كذبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الأعراب (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى ۝ والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ۝ والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أى إذا ما أتوك قائلا لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس لهم فى أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الأشعرى وأصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الأنصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التميز (ألا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزنا ۝ (فإن قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعنى أنّ السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم (فإن قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم ويحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لأنّ غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم

(قوله وجب عليه الإخلال) الإخلال أى الترك يقال أخل الرجل بمركزه إذا تركه

اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ ۞ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَٰتِ الرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ

لأنّ الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (إنهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعنى أن المعاتبة لاتنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذوالبشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأماهؤلاء فأرجاس لاسبيل إلى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فإن ترضوا عنهم) فإن رضاكم وحدكم لاينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم قيل هم جدبن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لاتجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبدالله بن أبى يحلف أن لايتخلف عنه أبداً (الأعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدر أن لا يعلموا) وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة فى الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ماينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لاينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من إعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعى عليهم بنحو مادعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرى السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم الدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ماينفقه سبب لحصول القربات

---

* قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال أحمد وفى آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك أن الذى نسب إليهم

(قوله والقسوة فى الفدادين) الفدادين هم الذين تعلوا أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم ورجل فداد شديد الفديد وهو الصوت أفاده الصحاح

اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ

عند الله (وصلوات الرسول) لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صلى على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ماينفق سبباً لذلك قيل يتخذ ماينفق قربات وصلوات (ألا إنها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) ومافي السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذاخلصت النية من صاحبها * وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبدالله وذو البجادين ورهطه (السابقون الأولون من المهاجرين) هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدراً وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان مابين الهجرتين (و)من (الأنصار) أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبوزرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضى الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على السابقون * وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغيرواو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروى أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لايبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضى الله عنهم) ومعناه رضى عنهم لأعمالهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية * وفي مصاحف أهل مكة تجرى من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة لموصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لايخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد عليه إذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مراتتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لاتعلمهم) أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى مايشككك فى أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أى لايعلمهم إلا الله ولا يطلع

تربص الدوائر مطلقاً والذى دعى عليهم به دائرة السوء على التقييد بأسوإ الدوائر لا على الإطلاق والله الموفق * قوله تعالى وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته الآية (قال ماأدل هذا الكلام على أن الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب فى أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وأنه مخلد فى النار وإن كان موحداً وغرض الزمخشرى أن يجعل الفسق الذى وسم به المنافق هو الذى يوسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما للخلود واحداً فاحذره والله أعلم * قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه أنه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك الخ) قال أحمد وكان قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة

(قوله لفرط تنوقهم) أى تأنقهم أفاده الصحاح

إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۞ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ

على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر فى سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لاتشك معه فى إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضى الله عنه أنهم اختلفوا فى هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يافلان فإنك منافق اخرج يافلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول والثانى عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (إلى عذاب عظيم) إلى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس مافعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبدالمنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم مانزل فى المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم قسموا أن لايحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا إلى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبى التوبة والإثم (فإن قلت) قدجعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ماليس فى قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم ۞ (فإن قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وماذكرت توبتهم (قلت) إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ۞ ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء فى تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة فى المال (وصلّ عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدّق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعى رحمه الله أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما

لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة فى النفاق والضراوة به والله أعلم ۞ قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم (قال إن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والتحقيق فى هذا أنك إذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به فى هذا الكلام أن الماء المخلوط واللبن مخلط به والمدلول عليه لزوما لاتصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا وإذا قلت خلطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا وأما مخلط به كل واحد منهما فغير مصرح به بل من اللازم أن كل واحد منهما مخلوط به ويحتمل أن يكون قرينة أو غيره فقول الزمخشرى إن قولك خلطت الماء واللبن يفيد مايفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر فى الآية والله أعلم أن العدول عن الباء إنما كان لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم انضاف إلى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معا به والله أعلم

(قوله فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) ظاهره أن القائل هو ابن عباس (قوله يدعو المصدّق لصاحب الصدقة) المصدّق اسم

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

أعطيت وجعله طهوراً وبارك لك فيما أبقيت ۞ وقرئ إنّ صلاتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون إليه وتطمئنّ قلوبهم بأنّ الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم (عليم) بما فى ضمائرهم والغمّ من الندم لما فرط منهم ۞ وقرئ (ألم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعنى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (إنّ الله هو يقبل التوبة) إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأنّ الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فى هو أنّ ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فإنّ عملكم لايخفى خيراً كان أو شراً على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثانى أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم فى التوبة فقد روى أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لايكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فإن قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضى الله عنه إنّ الصدقة تقع فى يد الله تعالى قبل أن تقع فى يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة ۞ قرئ مرجون ومرجؤن من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعنى وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم (إما يعذبهم) إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا (وإما يتوب عليهم) إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لايسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى وإظهار الجزع والغم فلما علموا أنّ أحداً لاينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفى قراءة عبد الله غفور رحيم وإمّا للعباد أى خافوا عليهم العذاب وأرجولهم الرحمة ۞ فى مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفى سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذى أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روى أنّ بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجداً ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإنى ذاهب إلى قيصر وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم إنى على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

فاعل الذى يأخذ الصدقات أفاده الصحاح (قوله وقرئ إن صلاتك على التوحيد) بدل قراءة صلواتك على الجمع (قوله وأمّا للعباد أى خافوا عليهم) عبارة النسفى وإمّا للشك وهو راجع إلى العباد (قوله وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ) عبارة النسفى ففعلوا

مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞

والقيامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (ضرارا) مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وإرصادا) واعدادا (لـ) أجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فإنه بنى على ضرار وكل مسجد بنى على ضرار أو رياء أو سمعة فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بنى ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على يد عمر رضى الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا فى مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه (فإن قلت) والذين اتخذوا ما محله من الإعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة ۞ (فإن قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف (إن أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (إلا) الخصلة (الحسنى) أو الإرادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجد قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال تشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا . وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام فى التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء بأثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فإن قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشىء المشتهى له على إيثاره ومحبة الله تعالى إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ۞ قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها وأقلها

(قوله فى مسجد قباء فيغتص) أى يمتلىء اه (قوله فمن أسس بنيان دينه) هذا كما فى الحديث بنى الإسلام على خمس

لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۝ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التورية والإنجيل

بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل (شفا جرف هار) فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى ۝ (فإن قلت) فما معنى قوله (فانهار به فى نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجىء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به وذلك الجرف فهوى فى قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات فى شائك وصائت وألفه ليست بألف فاعل إنما هى عينه وأصله هور وشوك وصوت ولاترى أبلغ من هذا الكلام ولاأدل على حقيقة الباطل وكنه أمره ۝ وقرئ جرف بسكون الراء (فإن قلت) فما وجه ماروى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفى مصحف أبى فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان إمامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب فى خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال ياأمير المؤمنين لاتعجل على فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لاأعلم ماأضمروا فيه ولو علمت ماصليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لايقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه ۝ ريبة شكا فى الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للإسلام فمعنى قوله (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لايزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (إلا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أى إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفى قراءة عبدالله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ۝ مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشروى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروى أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبدالله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فمالنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لانقيله ولانستقيله فخرج إلى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ۝ وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثانى للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت

(قوله فيجوز أن يكون ذكر التقطيع) على قراءة تقطع بالتشديد مبنيا للمفعول (قوله فى سبيله بالشروى) كالجدوى فى الصحاح والوشاح هى المثل والظن أنها هنا اسم للاشتراء

وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۞ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ

قد أثبته (فى التوراة والإنجيل) كما أثبته فى القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنى الذى لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبدالله وأبىّ رضى الله عنهما التائبين بالياء إلى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرّاً صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرّؤا من النفاق و (العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و (والسائحون) الصائمون شبهوا بذوى السياحة فى الأرض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الأرض يطلبونه فى مظانه ۞ قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب أنت أعظم الناس علىّ حقا وأحسنهم عندى يداً فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فأبى فقال لا أزال أستغفر لك مالم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أى أبويه أحدث به عهداً فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبراً فقال إنى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فنزلت وهذا أصح لأن موت أبى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوى قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبى) ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لأنهم ماتوا على الشرك ۞ قرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية (إلا عن موعدة وعدها إياه) أى وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الرواية وعدها أباه (فإن قلت) كيف خفى على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحى لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك مالم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم (فإن قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحى أنه لن يؤمن وأنه يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۞ أواه فعال من أوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك ۞ يعنى ما أمر الله باتقائه واجتنابه

(قوله مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك) شكاسته أى صعوبته وفى الصحاح رجل شكس بالتسكين أى صعب الخلق

إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ

كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه الآية شديدة ما ينبغى أن يغفل عنها وهى أن المهدى للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل فى حكم الإضلال ۞ والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فأما ما يعلم بالعقل كالصدق فى الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبى) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرون والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من إذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (فى ساعة العسرة) فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم ۞ غداة طفت علماء بكر بن وائل ۞

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ۞ عشية قارعنا جذام وحميرا

إذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى ۞ يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبى لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أى خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه خالفوا وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رحبت) برحبها أى

۞ قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فأما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال أحمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وأن العقل حاكم والشرع كاشف لما غمض عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها فى غير ما موضع والله الموفق

(قوله فأما ما يعلم بالعقل كالصدق) مبنى على مذهب المعتزلة أن الحكم قد يعلم بالعقل وعند أهل السنة لا حكم قبل الشرع (قوله والإهالة الزنخة وبلغت بهم) الإهالة الزنخة أى الدهن المنتن وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره اه من الصحاح (قوله أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم) الخالفة الذى لا خير فيه وخلوف الفم تغيره اه من الصحاح

ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۞ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ

مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لايجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لايسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا) وعلموا (أن لا ملجأ من) سخط (الله إلا) إلى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرّة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة روى أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغنى أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال ياحائطاه ماخلفنى إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت فى سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال ياأهلاه مابطأنى ولا خلفنى إلا الضن بك لاجرم والله لأكابدنّ المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر إلا نفسه لاأهل ولا مال فقال يانفس ماخلفنى إلا حب الحياة لك والله لأكابدنّ الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبى ذرّ الغفارى أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبى خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضحّ والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فردّ علىّ كالمغضب بعدماذكرنى وقال ليت شعرى ماخلف كعبا فقيل له ماخلفه إلا حسن برديه والنظر فى عطفيه فقال معاذ الله ماأعلم إلا فضلا وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهنّ فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وكنت كما وصفنى ربى وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمين فقام إلىّ طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبى بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا فى إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضى الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا فى جلتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضى الله عنه لايصلح الكذب فى جدّ ولا هزل ولاأن يعد أحدكم صبيه ثم لاينجزه اقرؤا إن شئتم

(قوله فى الضحّ والريح) الضحّ الشمس ويزهاه السراب يرفعه اه من الصحاح (قوله من ذروة سلع) سلع هو جبل بالمدينة اه من الصحاح

وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا عن أن يربئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهى بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب (بـ) سبب (أنهم لا يصيبهم) شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدوهم نيلا) ولا يرزؤنهم شيئا بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (إلا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك لنا الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين أبي أمية وزياد ابن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين ۞ وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك (إلا كتب لهم) ذلك من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء ۞ اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة ۞ طائفة) أي

۞ قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (قال معناه أن نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون

(قوله وجب على سائر الأنفس أن تتهافت) تتهافت أي تتساقط ويربئوا يرتفعوا اه من الصحاح (قوله بوج)

قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة يكفونهم النفير (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عزّ وجل لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً (لعلهم يحذرون) إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحى والتفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم مالم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم ۞ وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة أو الصبر على القتال وشدّة العداوة والعنف فى القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (إيمانا) إنكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحى والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا (فزادتهم إيمانا) لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة فى الإيمان لأن الإيمان يقع

لينفروا كافة على التفسير الأول أمر لا نهى وعلى الثانى خبر والمراد به النهى لأنه فى الأول راجع إلى تنفير أهل البوادى إلى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزاً أو واجبا وإن لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية وأما فى الثانى فلأن المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واقعا فنهوا عن إطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم ۞ قال أحمد ولا أجد فى تأخرى عن حضور الغزاة عذراً إلا صرف الهمة لتحذير هذا المصنف فإنى تفقهت فى أصل الدين وقواعد العقائد مؤيداً بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتها من مكايد أهل البدع والأهواء وأنا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

وجّ بلد بالطائف اهـ من الصحاح (قوله وانقلاب حماليق أحدهم) الحماليق هى ما يسوّده الكحل من باطن الجفن وقيل ما غطته الأجفان من بياض المقلة اهـ من الصحاح

مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۞ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۞ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞

على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) كفراً مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحى كفراً ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم ۞ قرئ أولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لاينتهون ولايتوبون عن نفاقهم ولايذكرون ولايعتبرون ولاينظرون فى أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وماينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لاينزجرون (نظر بعضهم إلى بعض) تغامزوا بالعيون إنكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فإنا لانصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما فى قلوب أهل الإيمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لايفقهون) لايتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم ثم ذكر مايتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ماعنتم) أى شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب (حريص عليكم) حتى لايخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذى جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) ۞ وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم وأفضلكم وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضى الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله رؤف رحيم (فإن تولوا) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فاستعن وفوض إليه فهو كافيك معرتهم ولايضرونك وهو ناصرك عليهم ۞ وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضى الله عنه العرش لايقدر أحد قدره وعن أبى بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم. عن رسول الله ﷺ ما نزل على القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

۞ قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين أما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا وأما من عينهم الإمام لذلك وإن بعدت بهم الدار وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وازعاج العدو من دياره وإخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الإسلام أجدر ۞ قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحى الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كما فسره ويحتمل الإخبار بأن الله صرف قلوبهم أى منعها من تلقى الحق بالقبول ولكن الزمخشرى يفر من جعله خبراً لأن صرف القلوب عن الحق لايجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والأصلح ولايزال يؤول الظاهر إذا اقتضى ذلك كما مر له فى قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعين عنده جعلها دعاء ثم فى هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

(قوله فهو كافيك معرتهم) المعرة الإثم كذا فى الصحاح

سورة يونس مكية

إلا الآيات ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

﴿سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) تعديد للحروف على طريق التحدى و (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ماتضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و(الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الأعشى

وغريبة تأتى الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه و(إن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وإن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والأجود أن تكون كان تامة وإن أوحينا بدلا من عجب (فإن قلت) فما معنى اللام فى قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم وليس فى عند الناس هذا المعنى والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب وأن يذكرهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من تلك الأسباب فى شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب العجيب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هى المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس و (أن لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فإن قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (إن هذا) إن هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين فى تسميته سحرا وفى قراءة أبىّ ما هذا إلا سحر (يدبر) يقضى ويقدر على حسب مقتضى

﴿القول فى سورة يونس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد لم يرد فى سابقة السوء تسميتها قدما إما لأن المجاز لا يطرد وإما أن يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب فى

(قوله من أفناء رجالهم) فى الصحاح يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو

إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ٭ إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصلحت بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ٭ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الأيت لقوم يعلمون ٭ إن فى اختلف اليل والنهار وما خلق الله فى السموت والأرض لأيت لقوم يتقون ٭ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن ءايتنا

الحكمة ويفعل مايفعل المتحرى للصواب الناظر فى أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه مايكره آخراً و(الأمر) أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش (فإن قلت) ماموقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها فى وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لايخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (مامن شفيع إلا من بعد إذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن و(ذلكم) إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذى يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لايضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه (إليه مرجعكم جميعا) أى لاترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم و (حقاً) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه ٭ وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقاً أى حق حقاً بدأ الخلق كقوله

أحقاً عباد الله أن لست جائياً ٭ ولا ذاهباً إلا علىّ رقيب

٭ وقرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيداً منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً لأن الشرك ظلم قال الله تعالى «إن الشرك لظلم عظيم» والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون ٭ الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ماقبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذا منازل كقوله تعالى «والقمر قدرناه منازل» (والحساب) وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالى (ذلك) إشارة إلى المذكور أى ماخلقه إلا ملتبساً بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً ٭ وقرئ يفصل بالياء ٭ خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر (لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لايأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لايخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى أرضيتم بالحياة

الحقيقة والله أعلم

(قوله ذلك العظيم) لعله ذلكم

غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين

الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (يهديهم ربهم بإيمانهم) يسدّدهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدّى إلى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الأنهار) بياناله وتفسيراً لأنّ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد يهديهم فى الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إنّ المؤمن إذا خرج من قبره صوّر له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صوّر له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فإن قلت) فلقد دلت هذه الآية على أنّ الإيمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذى لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال إنّ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أى بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لأنّ اللهمّ نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهمّ إياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة كقوله تعالى، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية، (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) * ومعنى وتحيتهم فيها سلام أنّ بعضهم يحيى بعضاً بالسلام وقيل هى تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هى المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله * أن هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن

* قوله تعالى «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم» (قال محمود معناه يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد هو يقرر بذلك زعمه فى أنّ شرط دخول الجنة العمل الصالح وأنّ من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية إلى الجنة مطلق الإيمان فقال يهديهم ربهم بإيمانهم وقول الزمخشرى أنّ المراد إطالة العمل لا ينهض عن حيز الدعوى فإنّ الله لم يعلل بغير الإيمان وإن جرى لغيره ذكر أولا فلا يلزم إجراؤه ثانياً ولا محوج إليه وشبهته أنّ الإيمان المجهول سبباً مضاف إلى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيداً فى التسبب وهو ممنوع فإنّ الضمير إنما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال والله الموفق * قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية (قال محمود فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من تنبيهات الزمخشرى الحسنة التى تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكداً أو مقارنا لغير فعله فى الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة والنحاة غايتهم أن يقولوا فى قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبتم نباتا ولا يزيدون على ذلك وإذا رجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر فى كتاب الله بغير فعله لفائدة أو لا تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها فالفائدة والله أعلم فى اقتران قوله نباتا بقوله أنبتكم التنبيه على تحتم نفوذ القدرة فى المقدور وسرعة إمضاء

لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ۞ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا
عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ۞ ولقد أهلكنا القرون من
قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ۞ ثم جعلناكم
خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ۞ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون

استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو يعجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه (لقضي إليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبدالله لقضينا إليهم أجلهم ۞ (فإن قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم (في طغيانهم) أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا (أو قاعداً أو قائما) (فإن قلت) فما فائدة ذكر هذه الأحوال (قلت) معناه أن المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعداً لا يقدر على القيام أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس (مر) أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال ۞ كأن ثدياه حقان ۞ (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته (ما كانوا يعملون) من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لأهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز أن يكون عطفاً على ظلموا وأن يكون اعتراضاً واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ وقرئ يجزي بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا (لننظر) أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم و (كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله (فإن قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه ۞ غاظهم ما في القرآن

حكمها حتى كان إنبات الله لهم نفس نباتهم أي إذا وجد من الله الإنبات وجد لهم النبات حتما فكان أحد الأمرين عين الآخر فقرن به والله أعلم ۞ قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه إن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على إنكار رؤية العبد لله تعالى فضم

(قوله متخاذل النوء) في الصحاح ناء ينوء نوأ إذا نهض بجهد ومشقة (قوله عاجز النهض) نهض نهضاً ونهوضاً أقام (قوله والمسحة) في الصحاح وعلى فلان مسحة من جمال

لقاءنا ائت بقرءان غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاىٔ نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ۝ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا

من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه مايغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها ۰ فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان (ما يكون لى) ماينبغى لى ومايحل كقوله تعالى ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرنى بذلك ربى (إن أتبع إلاما يوحى إلى) لا آتى ولا أذر شيئاً من نحو ذلك إلا متبعاً لوحى الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلىّ تبديل ولانسخ (إنى أخاف إن عصيت ربى) بالتبديل والنسخ من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) (فإن قلت) أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لايعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فإن قلت) لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لى مايتسهل لى ومايمكننى أن أبدله (قلت) يرده قوله إنى أخاف إن عصيت ربى (فإن قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم فى هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر. وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحاً لافترائه على الله (لو شاء الله ماتلوته عليكم) يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمىّ لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولانشأ فى بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التى لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولايخفى عليكم شىء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولاعرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به (ولاأدراكم به) ولاأعلمكم به على لسانى وقرأ الحسن ولا أدراتكم به على لغة من يقول أعطاته وأرضاته فى معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولاأدرأتكم به بالهمز وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد ألاترى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئا والمعنى ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال وتكذبوننى وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله ماتلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصنى بهذه الكرامة ورآنى لها أهلا دون سائر الناس (فقد لبثت فيكم عمراً) وقرئ عمراً بالسكون يعنى فقد أقمت

إلى ذلك إنكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون إن الله لايرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا وتقدم إبطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

(قوله بفتح التاء من غير) لعله أى من غير (قوله ظهرانيكم) فى الصحاح ظهرانيهم بفتح النون (قوله وحلأت) أى جعلته حلوا

مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۞ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي

فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فيتهمونى باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء اليه (ممن افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه اليه من الافتراء (مالايضرهم ولاينفعهم) الأوثان التى هى جماد لاتقدر على نفع ولاضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وأسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وعن النضر بن الحرث إذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى (أتنبؤن الله بما لايعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيأ لأن الشىء مايعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه (فإن قلت) كيف أنبؤا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الأصنام وإعلام بأنّ الذى أنبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشىء لايتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لايعلمه وقرئ أتنبؤن بالتخفيف وقوله (فى السموات ولافى الأرض) تأكيد لنفيه لأنّ مالم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وماموصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم (وما كان الناس إلا أمّة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لايعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغىّ (فقل إنما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لاعلم لى ولا لأحد به يعنى أنّ الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لايعلمه إلا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (إنى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ۞ سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهى للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ۞ (فإن قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكرا) (قلت) بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن

ءاياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ماتمكرون ۞ هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين ۞ فلما أنجاهم إذاهم يبغون فى الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متع الحيوة الدنيا ثم إلينا مرجعكم

يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون فى إطفاء نور الإسلام (إن رسلنا يكتبون) إعلام بأن ماتظنونه خافيا مطويا لايخفى على الله وهو منتقم منكم ۞ وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبى هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ۞ قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا فى الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (فإن قلت) كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر والتسيير فى البحر إنما هو بالكون فى الفلك (قلت) لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء ۞ (فإن قلت) ماجواب إذا (قلت) جاءتها ۞ (فإن قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فإن قلت) مافائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة (قلت) المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح (فإن قلت) ماوجه قراءة أم الدرداء فى الفلكى بزيادة ياءى النسب (قلت) قيل هما زائدتان كافى الخارجى والأحمرى ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذى لاتجرى الفلك إلا فيه والضمير فى (جرين) للفلك لأنه جمع فلك كالأسد فى فعل أخى فعل وفى قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكى يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أى تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أى أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحى مثلا فى الهلاك (مخلصين له الدين) من غير إشراك به لأنهم لايدعون حينئذ غيره معه (لئن أنجيتنا) على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول (يبغون فى الأرض) يفسدون فيها ويعبثون مترافين فى ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد (فإن قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغى لايكون بحق

۞ قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال إن قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضا من نكتة التى لايكتنه حسنها وقد مر لى قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه فى توأمتها وذلك عند قوله تعالى «وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم» وقد استدل الزمخشرى بها لأبى حنيفة فى أن الصغير يبتلى قبل البلوغ أن يسلم إليه قدر من المال يمتحن فيه خلافا لمالك فإنه لايرى الابتلاء قبل البلوغ . قال الزمخشرى ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيابه واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو حمله مافى حيز حتى من البلوغ مقرونا بإيناس الرشد وهذا المجموع هو الذى يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولايلزم من ذلك

(قوله والظن للهلاك) عبارة النسفى بالهلاك (قوله كالأسد فى فعل) أى كما جاء فعل بالضم فى فعل بفتحتين كأسد فى أسد جاز مجىء فعل بالضم فى فعل بالضم كفلك فى فلك وذلك لأن فعلا بفتحتين وفعلا بالضم أخوان لأنهما يشتركان فى الشىء الواحد كالعرب والعرب والعجم والعجم والرهب والرهب فما جاز فى أحدهما لايمتنع فى الآخر وقد جاز فعل بالضم فى فعل بالفتح فليجز فعل بالضم فى فعل بالضم لأنهما أخوات كذا فى الصحاح فتأمله

فننبئكم بما كنتم تعملون ۝ إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتيها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيت لقوم يتفكرون ۝ والله

(قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة ۝ قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فإن قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدإ الذى هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى على بعض منفعة الحياة الدنيا لابقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتمكر ولاتعن ماكراً ولاتبغ ولاتعن باغياً ولاتنكث ولاتعن ناكثاً وكان يتلوها . وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين فى أخيه

يا صاحب البغى إن البغى مصرعة ۝ فاربع فخير فعال المرء أعدله فلو بغى جبل يوما على جبل ۝ لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ۝ هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (أخذت الأرض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبدالله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت أى صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم ينبت على حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى

۝ طويل الثواء طويل التغنى ۝ والأمس مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً (دار السلام) الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما

أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع إلا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فإنه تعالى جعل غاية تسييرهم فى الفلك كونهم فيها مضافا إلى ما ذكر معه ونحن نعلم أن كونهم فى الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وإن كان المجموع واقعا كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون فى الفلك والله أعلم وإنما بسطت القول ههنا لفوائته ثم لجدد بما مضى عهدا

(قوله بخضرته ورفيفه) أى بريقه وتلألؤه وشجر رفيف إذا تندت أوراقه كذا فى الصحاح
(قوله أى لم ينبت) لعله لم يثبت وفى الصحاح غنى بالمكان أى أقام وغنى أى عاش (قوله طويل النواء) لعله الثواء

يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا

سلاما (ويهدى) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدى عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل عليه قوله تعالى «ويزيدهم من فضله» وعن على رضى الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضى الله عنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضى الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى إلى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة (فإن قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن فى الأول عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفى هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة أبى بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فإن قلت) إذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل إن من الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل فى من الليل

ه قوله تعالى «الذين أحسنوا الحسنى وزيادة» (ذكر) فى الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى الخ (قال) أحمد نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى إلى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة مرور على ديدنه المعروف فى التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروى فيه مدون فى الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة ائت بقرآن غير هذا أو بدله حملا له على أنه جاء به من عنده فلأهل السنة إذاً أسوة بصاحبها ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فابتلاء الحق بالباطل قديم والله الموفق وإن فى قوله تعالى على أثر ذلك «ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» مصداقا لصحة هذا التفسير فإن فيه تنبيها على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى لجدير بهم أن لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقى وسعيد

(قوله وزعمت المشبهة والمجبرة) يريد أهل السنة القائلين بجواز رؤيته تعالى ووقوعها فى الآخرة خلاف المعتزلة فى ذلك (قوله بحديث مرقوع) مرقوع بالقاف أى مفترى كذا قيل وهو فى مقابلة المرفوع بالفاء أى المضاف إلى النبى صلى الله عليه وسلم

خَٰلِدُونَ ۞ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۞ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۞ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَٰهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ

(مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف ۞ وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم إيانا تعبدون) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم (إن كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولى العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشىء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى « يوم تبلى السرائر » وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أى نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهى سعيدة وإن كان سيئا فهى شقية والمعنى نفعل بها كما فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلو أى تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (مولاهم الحق) ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أى يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والأبصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شىء بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الأمر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون) أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (ذلكم) إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق إلا الضلال) يعنى أن الحق والضلال لا واسطة

۞ قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض (قال معناه أى من يرزقكم منهما جميعا الخ) قال أحمد وهذه الآية كالحجة

(قوله وقطعنا أقرانهم والوصل) مفرده قرن بالتحريك وهو حبل يقرن به البعيران كما فى الصحاح ومفرد الوصل وصلة أى اتصال وذريعة كما فى الصحاح أيضا

تُصْرَفُونَ ۞ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

بينهما فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) أى تمردوا فى كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه و(أنهم لايؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد لكلمة العدة بالعذاب وأنهم لايؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لايؤمنون ۞ (فإن قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالإعادة (قلت) قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً راداً للظاهر البين الذى لامدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم فى إنكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فأمره بأن ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنه لايدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم ۞ يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ۞ ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لايهدى) وقرئ لايهدّى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع مابعدها ۞ وقرئ إلا أن يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه قولهم تهدّى ومعناه أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدى إلى الحق مثل هداية الله ۞ ثم قال أفمن يهدى إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذى لايهدى أى لايهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لايهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل اليه (إلا أن يهدى) إلا أن ينقل أو لايهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (ومايتبع أكثرهم) فى إقرارهم بالله (إلا ظنا) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم (إن الظن) فى معرفة الله (لايغنى من الحق) وهو العلم (شيئا) وقيل ومايتبع أكثرهم فى قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع (إن الله عليم) وعيد على مايفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء ۞ وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ماتقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز

لوجوه القدرية الزاعمين أن الأرزاق منقسمة فمنها مارزقه الله للعبد وهو الحلال ومنها مارزقه العبد لنفسه وهو الحرام

(قوله أمن لايهدى) من قولهم هدى بنفسه أمن لايهدى كيرى وقوله بفتح الهاء الخ بقيت القراءة بكسرها مع التشديد وقد أشار اليها بقوله أو كسرت والقراءة كيرى لحمزة وعلى وبالفتح مع التشديد للمكى والشامى وبالكسر معه لعاصم والأصل يهتدى وهى قراءة عبدالله أفاده النسفى

الْعَـٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي

دونها فهوعبارة عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وماصح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله فى علو أمره وإعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله (لاريب فيه من رب العالمين) (قلت) هو داخل فى حيز الاستدراك وأنه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلا منتفياً عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل أم يكون لاريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) إن كان الأمر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلى فى العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الإضافة أى بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله يعنى أن الله وحده هو القادر على أن يأتى بمثله لايقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (إن كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لاتوافق مانشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها فى أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا بصحة مذهبه وفساد ماعداه من المذاهب ۞ (فإن قلت) مامعنى التوقع فى قوله (ولما يأتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدى ورازوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الأخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة مافيه من الأخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ۞

وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفى لو سمعوا أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ۞ قوله تعالى بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (قال معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل الخ) قال أحمد وكان التكذيب قبل الإحاطة بعلمه ربما يوهم عذراً للمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنحسم أعذارهم ويتحقق شقاؤهم والله أعلم

(قوله ورازوا قواهم) أى جربوها وخبروها أفاده الصحاح

وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ

ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وإن كذبوك) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل إنى برىء وقيل هى منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومنهم ناس يستمعون اليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لايعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لايصدقون ۝ ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع فى صماخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الامر ۝ وأتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لابصائر لهم ولا عقول وقوله (أفأنت ۝ أفأنت) دلالة على أنه لايقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء كما لايقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبى العقل حديدى السمع والبصر راجحى العقل إلاهو وحده (إن الله لايظلم الناس شيئاً) أى لاينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ۝ ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعنى أن مايلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه (إلاساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول مايرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم (فإن قلت) كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الاولى فحال من هم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف وإما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا إلاساعة لأن التعارف لايبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا (قد خسر) على إرادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ماأخسرهم (فإلينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة ۝ (فإن قلت) الله شهيد على مايفعلون فى الدارين فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على مايفعلون وقرأ ابن أبى عبلة ثم بالفتح أى هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق (فإذا جاء) هم (رسولهم) بالبينات فكذبوه

(قوله وإن تموا على تكذيبك) أى مضوا عليه ولم يرجعوا عنه أفاده الصحاح (قوله ويتظنن) أى يعمل ظنه أفاده الصحاح (قوله وضعوا فى تجارتهم) فى الصحاح وضع الرجل فى تجارته وأوضع على مالم يسم فاعله وضعافيهما أى خسر

لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۞ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ

ولم يتبعوه (قضى بينهم) أى بين النبى ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أوفقر (ولانفعاً) من صحة أوغنى (إلا ماشاء الله) استثناء منقطع) أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل) يعنى أن عذابكم له أجل مضروب عندالله وحدمحدود من الزمان (إذاجاء) ذلك الوقت أنجز وعدكم لامحالة فلاتستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فإن قلت) هلا قيل ليلا أونهاراً (قلت) لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لاتشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهاراً) معناه فى وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير فى (منه) للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأى شىء يستعجلون منه وليس شىء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أى شىء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن تكون من للبيان فى هذا الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى (فإن قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أوتعرفوا الخطأ فيه (فإن قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون (أثم إذا ماوقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى قوله أفأمن أهل القرى أو أمن أهل القرى (آلآن) على إرادة القول أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام (ثم قيل الذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ويستنبؤنك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه

۞ قوله تعالى قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أونهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون (قال إن قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال أحمد وفى هذا النوع البليغ نكتتان إحداهما وضع الظاهر مكان المضمر والأخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله أعلم

(قوله أى شىء هول شديد) لعله أى شىء أتى هولا شديدا

إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين ۞ ولو أن لكل نفس ظلمت مافى الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ۞ ألا إن لله مافى السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون ۞ هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ۞ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ۞ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ۞ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن

باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود و(أى) بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لامحالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (مافى الأرض) أى مافى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا لرؤيتهم مالم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ماسلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا مايفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة فى القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه مادهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامداً مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشىء لخالصه وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشىء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد (وقضى بينهم) أى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ۞ ثم أتبع ذلك ذكر الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وماوعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لايقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون (قدجاءتكم موعظة) أى قدجاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد (و)هو (شفاء) أى دواء (لمافى) صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم ۞ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشىء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قدجاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذوا مضاجعكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة أبىّ فافرحوا (وهو) راجع إلى ذلك ۞ وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن أبىّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا « قل بفضل الله وبرحمته » فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ماوعد عليه (أرأيتم) أخبرونى و(ما أنزل الله) مافى موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فى معنى أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) أى أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله فى

(قوله لاينبس بكلمة) أى لايتكلم أفاده الصحاح (قوله لتأخذوا مضاجعكم) لعل الرواية مصادفكم

لكم أم على الله تفترون ﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرءان ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ الذين ءامنوا وكانوا يتقون ﴿ لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الأخرة لا تبديل لكلمت الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿

نسبة ذلك إليه ﴿ ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد فى شىء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى أى شىء ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وماظن على لفظ الفعل ومعناه وأى ظن ظنوا يوم القيامة وجىء به على لفظ الماضى لأنه كائن فكأن قد كان (إن الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وماتكون فى شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير فى (منه) للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل وما (تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أى عمل كان (إلا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (إذ تفيضون فيه) من أفاض فى الأمر إذا اندفع فيه (وما يعزب) قرئ بالضم والكسر ومايبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفى العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف إشكالا لأن قولك لا يعزب عنه شىء إلا فى كتاب مشكل ﴿ (فإن قلت) لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبأ «عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض» (قلت) حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم إياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس رضى الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون فى الله وعن عمر رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يارسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية . الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على الوصف للأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هى محبة الناس له والذكر الحسن

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّ

وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى « تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة » وأما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ومايرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم ومايقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لاتبديل لكلمات الله) لاتغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله تعالى مايبدّل القول لدىّ و (ذلك) إشارة إلى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرئ ولايحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر مايتكلمون به فى شأنك (إنّ العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لاأحزن فقيل إنّ العزة لله جميعا أى إنّ الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها لاهم ولاغيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى إنا لننصر رسلنا وقرأ أبوحيوة أنّ العزة لله بالفتح بمعنى لأنّ العزّة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لاما أنكر من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع مايقولون ويعلم مايدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من فى السموات ومن فى الأرض) يعنى العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أنّ هؤلاء إذا كانوا له وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولايصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لايعقل أحق أن لايكون له ندأ وشريكا وليدلّ على أنّ من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسى فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ۞ ومعنى ومايتبعون شركاء أى ومايتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأنّ شركة الله فى الربوبية محال (إن يتبعون إلا) ظنهم أنها شركاء (وإن هم إلا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديراً باطلا ويجوز أن يكون ومايتبع فى معنى الاستفهام يعنى وأى شىء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله مايتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ۞ وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل ومايتبع على الاستفهام أى وأى شىء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعنى أنهم يتبعون الله ويطيعونه فمالكم لاتفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولايتبعون مايتبع الملائكة والنبيون من الحق ۞ ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التى يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون فى نهارهم من تعب التردد فى المعاش والنهار مضيأ يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لأنّ مايطلب به الولد من يلد ومايطلبه له السبب فى كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له مافى السموات ومافى الأرض) فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (إن عندكم من سلطان بهذا) ماعندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ماعندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله مالا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدلّ على أن كل قول لا برهان

الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿ متع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يقوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بئايت الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴿

عليه لقائله فذاك جهل وليس يعلم (يفترون على الله الكذب) بإضافة الولد اليه (متاع فى الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر (مقامى) مكانى يعنى نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامى ومكثى بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامى وتذكيرى لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه ﴿ قال ﴿ هل أغدون يوما وأمرى مجمع ﴿ والواو بمعنى مع يعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفى قراءة أبى فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فإن قلت) كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون ﴿ (فإن قلت) مامعنى الأمرين أمرهم الذى يجمعونه وأمرهم الذى لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعنى فأجمعوا ماتريدون من إهلاكى واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم فى كيدى وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه وأنهم لن يجدوا اليه سبيلا وأما الثانى ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعنى ثم أهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غصة وحالكم عليكم غمة أى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثانى أن يراد به ماأريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة فى فرائض الله أى لا تستر ولكن يجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثم اقضوا إلى) ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر أو أدوا إلى ماهو حق عليكم عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه (ولا تنظرون) ولا تمهلونى وقرئ ثم افضوا إلى بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلى بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أى أصحروا به إلى وأبرزوه لى (فإن توليتم) فإن أعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى (فما سألتكم من أجر) فما كان عندى ماينفركم عنى وتتهمونى لأجله من طمع فى أموالكم وطلب أجر على عظتكم (إن أجرى إلا على الله) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة أى ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام والذى كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه فى سوق الأمر معهم على الطريق الذى يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير

(قوله أو قيامى ومكثى) لعله أو مقامى بالضم (قوله أو مقامى وتذكيرى) لعل هذا أو قيامى
(قوله مستورا عليكم) لعله أراد ملتبسا فلذا قال عليكم كما أشار اليه النسفى

فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ❊ ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ❊ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملإيه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ❊ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين ❊ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ❊ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ❊ وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم ❊

(فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له فى آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم فى أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا إلى قومهم) يعنى هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدة شكيمتهم فى الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند اليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوما مجرمين) كفاراً ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (إن هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شىء من السحر الذى ليس إلا تمويها وباطلا (فإن قلت) هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه فى عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعنى قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به آلسحر إن الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا فى قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه ❊ جبروت منه ولا كبرياء

❊ قوله تعالى قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال إن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد وفى الفرق بين الوجهين غموض وإيضاحه أن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولا وفى الثانى على أنه يطلب مفعولا والله أعلم ❊ قوله تعالى

(قوله فتموا على تكذيبه) أى استمروا أفاده الصحاح

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۞ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ

ينفى ماعليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطى لموسى عليه السلام إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض (ومانحن لكما بمؤمنين) أى مصدقين لكما فيما جئتما به ۞ وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ماجئتم به) ماموصولة واقعة مبتدأ و (السحر) خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شىء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ماجئتم به سحر وقرأ أبى ما أتيتم به سحر والمعنى لاما أتيت به (إن الله سيبطله) سيمحقه ويظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة (لايصلح عمل المفسدين) لايثبته ولايديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته (فما آمن لموسى) فى أول أمره (إلا ذرية من قومه) إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فإن قلت)

«قال موسى ماجئتم به السحر إن الله سيبطله» (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر أى الذى جئتم به الخ) قال أحمد وليس المراد فى القراءة الأولى الإخبار بأن ماجاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ماجاء به عن كونه سحراً وإنما يستفاد ذلك بما فى هذا النظم المخصوص من إفادة الحصر ولو مرت بخاطر الإمام أبى المعالى فى مسئلة تحريمة التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على إفادة هذا النظم الحصر فإنا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فإنما أراد إضافة السحر إلى ماجاؤا به محصوراً فيه حتى لايتعدى إلى الحق الذى جاء به هو منه شىء وأما القراءة الثانية ففيها والله أعلم إرشاد إلى أن قول موسى عليه السلام أولا أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم ويكون أسحر هذا هو الذى قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا إن هذا لسحر مبين وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعاً بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقاً والاستهزاء بالحق إنكار له بل قد يكون الاستفهام فى بعض المواطن أبت من الإخبار ألا ترى أنهم يقولون فى قوله آ انت أم سالم أبلغ فى البت من قوله مخبراً أنت أم سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الإنكار ودعوى أنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثانى وبخهم موسى على قولهم الأول ومعنى العبارتين ومآلهما واحد وإما أن لايكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الإنكار حسبما تقدم فحكاه الله تعالى عنهم بمآله لأنه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الإنكار وبت القول أنه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة فى الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لامحمل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعانى وحاصل هذا البحث أن قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا إنما حكى فيه قولهم ويرشد إلى ذلك أنه كافأهم عند ماأتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهما فقال ماجئتم به آلسحر على قراءة الاستفهام قرضاً بوفاء على السواء والذى يحقق لك أن الاستفهام والإخبار فى مثل هذا المعنى مؤداهما واحد أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ماجئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على أن مؤدى الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر وإنما حمل الزمخشرى على تأويل القول بالتعييب أو إضمار مفعول تقولون استشكال وقوع الاستفهام محكياً بالقول والمحكى أولا عنهم الخبر وقد أوضحنا أنه لاتنافر ولا تنافى بين الأمرين فشد بهذا الفصل عرى التمسك فإنه من دقائق النكت والله الموفق ۞ قوله تعالى

ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۞ فَقَالُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ

إلام يرجع الضمير فى قوله (وملئهم) (قلت) إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع إلى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم (وإنّ فرعون لعال فى الأرض) لغالب فيها قاهر (وإنه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية (إن كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فإليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون ۞ ثم شرط فى التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لاحظّ للشيطان فيها لأن التوكل لايكون مع التخليط ونظيره فى الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) إنما قالوا ذلك لأنّ القوم كانوا مخلصين لاجرم أنّ الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص (لاتجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا ۞ تبوّأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا فى أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك فى أول الإسلام بمكة (فإن قلت) كيف نوع الخطاب فثنى أوّلا ثم جمع ثم وحد آخراً (قلت) خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأنّ ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها ۞ الزينة مايتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فإن قلت) مامعنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا

وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الأمر الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفى الذى هو أدق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفا ووجه ذلك أنه علم أنّ الظاهر بل والباطن أنّ اللام للتعليل وأنّ الفعل منصوب بها ومعنى ذلك إخبار موسى عليه السلام بأنّ الله إنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجا ليزدادوا إثما وضلالة كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله إنما نملى لهم ليزدادوا إثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشرى بنى على القاعدة الفاسدة فى استحالة ذلك على الله تعالى لاعتقاده أنّ من الجور أن يملى لهم فى الضلالة ويعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة فى تأويلها وردها إلى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا إثما وكأين من آية غراء رام أن يسترغرتها

(قوله بمصر بيوتا من بيوته) لعل الضمير لمصر (قوله ويفتنونهم) لعله ويفتنوهم

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

وردّد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لايزيدون على عرض الآيات إلا كفراً وعلى الإنذار إلا استكباراً وعن النصيحة إلا نبوّا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لايجيء منهم إلا الغي والضلال وأنّ إيمانهم كالمحال الذى لايدخل تحت الصحة أوعلم ذلك بوحى من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لايكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لايكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لايستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلايؤمنوا وماعلىّ منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا مالم يقبل منه حسرة على مافاته من قبول نصيحته وحردا عليه لاأن يريد خلاعته واتباعه هواه * ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لايدخلها الإيمان (فلايؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشدد أودعاء بلفظ النهى وقد حملت اللام فى ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا فى الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلايؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقرأ الفضل الرقاشى أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم * قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى إنّ دعاءكما مستجاب وماطلبتما كائن ولكن فى وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة فى إلزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام فى قومه ألف عام إلا قليلا ولاتستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعانّ سبيل الذين لايعلمون) أى لاتتبعا طريق الجهلة بعادة الله فى تعليقه الأمور بالمصالح ولاتعجلا فإنّ العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إنى أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع * قرأ الحسن وجوّزنا من أجاز المكان وجوّزه وجاوزه وليس من جوّز من الذى فى بيت الأعشى * وإذا يجوّزها حبال قبيلة *
لأنه لوكان منه لكان حقه أن يقال وجوّزنا بنى إسرائيل فى البحر كما قال * كما جوّز السكى فى الباب فيتق * (فاتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته * وقرأ الحسن وعدوا * وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التى هى صلة الإيمان وأنه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت * كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرّة الواحدة كافية فى حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق

ويطفئ نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقداً ويأبى الله إلا أن يتم نوره ثم لايسعه إلا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها * قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة فى وقت اضطرارك حين أدركك الغرق الخ) قال أحمد ولقد أنكر منكرا وغضب لله

(قوله وعن النصيحة) لعله وعلى (قوله يتسكعون) فى الصحاح التسكع التمادى فى الباطل (قوله وليكونوا ضلالا) هذا على قراءة ليضلوا بفتح الياء والقراءة المشهورة ليضلوا بضمها وعبارة النسفى ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى اه (قوله وحرداً عليه) فى الصحاح الحرد بالتحريك الغضب (وقرأ الحسن وعدوّا) فى الصحاح عدا عدوا وعدوّا

قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ۞ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ

يعني حين أو شك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور (ببدنك) في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معد يكرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي ۞ وكل مقاص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق. وروى أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبداً وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ۞ ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وإن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله ۞ وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرؤا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب

ولملائكته كما يجب لهم والله الموفق

وعداء اه وقدمر في قوله تعالى فيسبوا الله عدوا (قوله من حال البحر فدسه) أي طينه الأسود أفاده الصحاح وفي الحديث قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه كذا في الخازن

(قوله الباهتين لله) في الصحاح بهته إذا قال عليه ما لم يفعله

ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۞ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۞ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (فإن قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك) مع قوله فى الكفرة وإنهم لفى شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وإنهم لفى شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت فى شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديراً (فاسئل الذين يقرؤون الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بنى إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم فى التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ فى ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديراً وسبيل من خالجته شبهة فى الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعنى أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك ولزيادة التثبت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبيناً وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل يعنى لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فاسئل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه (فنفعها إيمانها) بأن يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار وقرأ أبى وعبد الله فهلا كانت (إلا قوم يونس) استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة فى معنى النفى

۞ قوله تعالى فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (قال إن قلت كيف قال له عليه السلام فإن كنت فى شك مع قوله فى الكفرة وإنهم لفى شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسر إن نفى الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لأمره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤلين لا ليستفيد بسؤالهم علما لمزيد تعين الإبراء بقوله له قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله فأمر بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم وأسلم

(قوله لا كتابة مقدر ومراد) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى يريد كل كائن خيرا

لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۞ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن

كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمى والكسائى روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها على بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحى حين لاحى وياحى محيى الموتى وياحى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا مانحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والإلجاء (لآمن من فى الأرض كلهم) على وجه الإحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى إلى قوله (أفأنت تكره الناس) يعنى إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن فى المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعنى من النفوس التى علم أنها تؤمن (إلا بإذن الله) أى بتسهيله وهو منح الألطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه وقرئ الرجز بالزاى وقرئ ونجعل بالنون (ماذا فى السموات

والله أعلم. قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والإلجاء) قال أحمد وهذا من دسه الاعتزال مخلسا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولما علم أن الآية تقتضى عدم مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق بصيغة الكلية وأنه إنما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر إذ مقتضى لولا امتناع وكان ذلك راداً لمعتقده الفاسد إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض فلم يؤمن إلا بعضهم أخذ يحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإلجاء ليتم له أن المشيئة المرادة فى الآية لم تقع إلا أنا نوافقه على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختيارا له وقصداً وهذا كما ترى لا يعد فى التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده وإقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان وإضلاله والله الموفق

كان أوشرا (قوله وعجوا أربعين ليلة) أى رفعوا أصواتهم أفاده الصحاح (قوله وعلت الأصوات والعجيج) هو رفع الصوت أفاده الصحاح (قوله مشيئة القسر) هذا مذهب المعتزلة وذلك أنهم أوجبوا على الله الصلاح والأصلح وإيمان الكل أصلح لكن الآية تخالف مذهبهم فقالوا إنه تعالى أراد إيمان الكل إرادة تخيير للعباد فلم يلزم وقوع المراد ولو أراده إرادة إجبار لوقع وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئا ولزوم وقوع المراد لا ينافى تخيير العباد لما لهم من الكسب فى أفعالهم الاختيارية وإن كان فاعلها فى الحقيقة هو الله كما تقرر فى التوحيد (قوله وهو الخذلان) تأويل الرجس بالخذلان

قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

والأرض) من الآيات والعبر (وماتغنى الآيات والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لايؤمنون) لايتوقع إيمانهم وهم الذين لايعقلون وقرئ ومايغنى بالياء ومانافية أو استفهامية (أيام الذين خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (ثم ننجى رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجى رسلنا على حكاية الأحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم ۞ كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الإنجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين و (حقاً علينا) اعتراض يعنى حقّ ذلك علينا حقاً وقرئ ننج بالتشديد (ياأيها الناس) ياأهل مكة (إن كنتم فى شك من دينى) وصحته وسداده فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لامدخل فيه للشك وهو أنى لاأعبد الحجارة التى تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) وإنما وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبد دون مالايقدر على شىء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى أنّ الله أمرنى بذلك بما ركب فىّ من العقل وبما أوحى إلىّ فى كتابه وقيل معناه إن كنتم فى شك من دينى ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلاتحدثوا أنفسكم بالمحال ولاتشكوا فى أمرى واقطعوا عنى أطماعكم واعلموا أنى لاأعبد الذين تعبدون من دون الله ولاأختار الضلالة على الهدى كقوله قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون أمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذى هو حذف الحروف الجارة مع إن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر ۞ (فإن قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه إشكال لأنّ أن لاتخلو من أن تكون التى للعبارة أو التى تكون مع الفعل فى تأويل المصدر فلايصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأنّ عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لايساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأنّ الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قد سوّغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهى وشبه ذلك بقولهم أنت الذى تفعل على الخطاب لأنّ الغرض وصلها بما تكون معه فى معنى المصدر والأمر والنهى دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم وجهك استقم إليه ولاتلتفت يميناً ولاشمالا و (حنيفاً) حال من الدين أو من الوجه (فإن فعلت) معناه فإن دعوت من دون الله مالاينفعك ولا يضرّك فكنى عنه بالفعل إيجازاً (فإنك إذاً من الظالمين) إذاً جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأنّ سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لاظلم أعظم من الشرك إنّ الشرك لظلم عظيم ۞ أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لاتنفع ولاتضر أنّ الله عزّ وجلّ هو الضارّ النافع الذى إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لاشعور به وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد مايريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادنى الله بضر هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادنى برحمة هل هنّ ممسكات رحمته (فإن قلت) لم ذكر المس فى

على مذهب المعتزلة وعلى مذهب أهل السنة لاحاجة إلى تأويله

لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ *

سورة هود مكية

إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا

أحدهما والإرادة فى الثانى (قلت) كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً الإرادة والإصابة فى كل واحد من الضر والخير وأنه لاراد لما يريده منهما ولامزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة فى أحدهما والإرادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ماترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير فى قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قدجاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولاعلى الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فمانفع باختياره إلا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل وفيه حث على إيثار الهدى وإطراح الضلال مع ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول إلى أمركم وحملكم على ما أريد إنما أنا بشير ونذير (واصبر) على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروى أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى يعنى أنى أمرت فى هذه الآية بالصبر على ماسامتنى الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على مايسومكم الأمراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروى أن أباقتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الأنصار إنكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال ؟ قال : قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال إذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

إلا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامى * بأنا صابرون فمنظروكم * إلى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام﴾

﴿مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أحكمت آياته) نظمت نظماً رصيناً محكماً لايقع فيه نقض ولاخلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً أى جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * إنى أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص

إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۞ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۞ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

أوجعلت فصولا سورة سورة وآية آية أوفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أوفصل فيهاما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل (فإن قلت) مامعنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدإ محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أى من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور (ألا تعبدوا) مفعول له على معنى لئلا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لأن فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله أوأمركم أن لا تعبدوا إلا الله (وأن استغفروا) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله إننى لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إننى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله عزوجل أى اننى لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أوهى صلة لنذير أى أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم ۞ (فإن قلت) مامعنى ثم فى قوله (ثم توبوا اليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عشية واسعة ونعمة متتابعة (إلى أجل مسمى) إلى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أوفضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وإن تولوا) وإن تتولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ۞ وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادراً على أشد ماأراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وإن تولوا من ولى (يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعنى ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون لقود المعنى إلى إضماره الإضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم (مايسرون ومايعلنون) يعنى أنه لا تفاوت فى علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى مايريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف مايظهر وقيل نزلت فى المنافقين ۞ وقرئ تثنونى صدورهم واثنونى أفعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس

(قوله لقود المعنى) أى لتأدية المعنى (قوله ويريدون الاستخفاء) الظاهر أن هذا هو الخبر عن قوله ومعنى ألا حين الخ كما قال أولا

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞

لتثنونى وقرئ تثنوئ وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ماهش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما ينثنى الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى (فإن قلت) كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل (قلت) هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجباً كنذور العباد ۞ والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه ۞ والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهن لحكمة بالغة وهى أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (فإن قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما فى الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجهاً واسمع أيهم أحسن صوتا لأن النظر والاستماع من طرق العلم (فإن قلت) كيف قيل (أيكم أحسن عملا) وأعمال المؤمنين هى التى تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفاً لهم وتنبيهاً على مكانهم منه وليكون ذلك لطفاً للسامعين وترغيباً فى حيازة فضلهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله ۞ قرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق عنك تشترى لنا لحماً وأنك تشترى بمعنى علك أى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره لقالوا (إن هذا إلا سحر مبين) باتين القول ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم إن هذا إلا سحر مبين أن السحر أمر باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيهاً له به

﴿القول فى سورة هود عليه السلام﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ۞ قوله تعالى وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها (قال إن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال أحمد كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف فى الدنيا أو ثواب فى الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعده خبر وخبره صدق وجب وقوع الموعود أى يستحيل فى العقل أن لا يقع للزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف وبينهما هذا الفرق المذكور وهذه قاعدة أهل الحق وقدمر الكلام عليها عند قوله تعالى إنما التوبة على الله والله الموفق

يعنى ويريدون (قوله من الثن) فى الصحاح الثن بالكسر يبس الحشيش (قوله أو بيضة كل) لعله كل أى كل واحد (قوله وقيل وكان الماء) لعله كان بدون واو ويمكن أن المعنى كان عرشه على الماء وكان الماء

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا

أو أشاروا بهذا القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار مافيه من البعث وغيره وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (إلى أمة) إلى جماعة من الأوقات (مايحبسه) مايمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء و (يوم يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله فى إخباره (الإنسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (إنه ليؤس) شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء له (ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (إنه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إلا الذين) آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا * كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض مايوحى إليك) أى لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أى هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه ثم قال (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شىء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فإن قلت) لم عدل عن ضيق إلى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدراً ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القراآت وقول السمهرى العكلى

بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس بادشحوبها

(قوله أو أشاروا بهذا) لعله وأشاروا

بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ

(أم) منقطعة ۞ والضمير فى (افتراه) لما يوحى إليك ۞ تحداهم أوّلا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح إلى وأنّ الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام (فإن قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وإن كان مفترى (فإن قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله

۞ فإن شئت حرمت النساء سواكم ۞ ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وأخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه (و) اعلموا عند ذلك (أن لا إله إلا) الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف إليهم) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدّق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرىء فقد قيل وعن أنس ابن مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة فى الرزق وصحة فى البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم فى الغنائم وقرئ يوفّ بالياء على أن الفعل لله عزّ وجلّ وتوفّ إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفى قراءة الحسن نوفى بالتخفيف وإثبات الياء لأنّ الشرط وقع ماضيا كقوله ۞ يقول لا غائب مالى ولا حرم ۞ (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط فى الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعنى لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أى باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم

(قوله قاودهم على دعواهم) ضمن معنى وافقهم وسايرهم

(قوله فمن كان على بينة) عبارة النسفى كمن كان وعبارة الخازن أفمن كان على بينة من ربه أى كمن كان يريد الخ

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيداً وتبايناً بيناوأراد بهم من آمن من اليهود كعبدالله بن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (إماماً) كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم (أولئك) يعنى من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك فى مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الأشهاد) من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكا ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فواخزياه وافضيحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد ۝ وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) أى ما كانوا يعجزون الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا أستطيع

۝ قوله تعالى «يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» (قال أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل فلا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا مايجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وإنما الذى ينفى الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا أهل السنة والحق مع الزمخشرى فى هذا الموضع إلا فى غفلته حيث يقول فيوعوع

(قوله ولعلّ بعض المجبرة) إن كان مراده بهم أهل السنة كعادته فهم لا يسلبون عن العبد الاستطاعة فى الفعل بل يثبتون له الكسب والاستطاعة مع الفعل وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة فى الهواء فلا ضير ونقل الخازن عن ابن عباس فى هذه الآية أنه قال أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فإنه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وما كانوا يبصرون وأما فى الآخرة فإنه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (قوله فيوعوع به) فى الصحاح الوعوعة صوت الذئب

يفترون ۞ لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ۞ إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون ۞ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ۞ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين ۞ أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ۞ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نرىك إلا بشرا مثلنا وما نرىك اتبعك إلا الذين

أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست بشىء فما كان لهم فى الحقيقة من أولياء ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم) فسر فى مكان آخر (هم الأخسرون) لاترى أحداً أبين خسرانا منهم (وأخبتوا إلى ربهم) واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المطمئنة ومنه قولهم للشىء الدنى الخبيث قال : ينفع الطيب القليل من الرز ۞ ق ولا ينفع الكثير الخبيث

وقيل التاء فيه بدل من الثاء ۞ شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والأصمّ وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله ۞ الصابح فالغانم فالآيب ۞ (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيهاً ۞ أى أرسلنا نوحا بأنى لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله (إنى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك إنّ زيداً كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول (أن لاتعبدوا) بدل من إنى لكم نذير أى أرسلناه بأن لاتعبدوا (إلا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ۞ وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازى لوقوع الألم فيه (فإن قلت) فإذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لأن الأليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجدجده (الملأ) الأشراف من قولهم فلان ملىء بكذا إذا كان مطيقاً له وقد ملؤا بالأمر لأنهم ملؤا بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لأنهم يتمالؤن أى يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم

بها على أهل العدل يعنى الآية المذكورة وهذه سقطة عظيمة وهب أن المجبر غالط فى الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجيز أن يطلق على إيراده الآية وعوعة وإنما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه فى تصحيح معتقده الباطل به وما الزمخشرى إلا يتسامح كثيراً فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز وإنما يليق التسامح إذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق ۞ قوله تعالى ۞ مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ۞ (قال محمود شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصمّ وفريق المؤمنين بالبصير والسميع إلى قوله أن تكون الواو الخ) قال أحمد بخلافها على الوجه الأول فإنها لعطف الموصوف على الموصوف وأما تنظيره الآية بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فإن امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيهاً واحداً والآية على التفسير الأول شبهت كلّ واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وإنما ينظر ببيت امرئ القيس على الوجه الثانى فإن مقتضاه أن كلّ واحد منهما شبه تشبيهاً واحداً ولكن فى صفتين متعددتين والأمر فى ذلك قريب والله أعلم ۞ قوله تعالى

(قوله أو الذى جمع بين البصر والسمع) لعله والذى (قوله والمجالس أبهة) كسكرة عظمة

هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞

ملاء بالأحلام والآراء الصائبة (ماتراك إلا بشراً مثلنا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ وموازلهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم ومانرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا لا بشراً ۞ والأراذل جمع الأرذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا ۞ قرئ بادى الرأى بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأى أو ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شىء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين فى طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) أخبرونى (إن كنت على بينة) على برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بإيتاء البينة على أن البينة فى نفسها هى الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فإن قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثانى وحقه أن يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفى قراءة أبى فعماها عليكم (فإن قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد (فإن قلت) فما معنى قراءة أبى (قلت) المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) يعنى أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه فى الدين وقد جىء بضميرى المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثانى منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك إياهم وحكى عن أبى عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا فى ضرورة الشعر ۞ والضمير فى قوله (لا أسئلكم عليه) راجع إلى قوله لهم إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ۞

«فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماتراك إلا بشراً مثلنا وماتراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى» (قال محمود هو تعريض بأنهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد يحتمل فى الوجهين أن يكون المراد أول الرأى ولكنه ترك الهمز استثقالا إلا أن يكون القارئ بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحا بمن اتبعه من وجهين أحدهما أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يتروا فى اتباعه ولا أمعنوا الفكرة فى صحة ماجاء به وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

(قوله فخلاهم الله) لم يفسره بمعنى أخفاها لأن الله لا يفعل الشر عند المعتزلة وعند أهل السنة يفعل كل ممكن

وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠

وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل (فإن قلت) مامعنى قوله (إنهم ملاقوا ربهم) (قلت) معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على مافى قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وماأعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادى الرأى من غير نظر وتفكر وما على أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أوهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لامحالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ألا لايجهلن أحد علينا ۞ أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (إن طردتهم) وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء (أعلم الغيب) معطوف على عندى خزائن الله أى لاأقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لاأقول لكم عندى خزائن الله فأدعى فضلا عليكم فى الغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم ومانرى لكم علينا من فضل ولاأدعى علم الغيب حتى تنسبونى إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على مافى نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم (ولا أقول إنى ملك) حتى تقولوا لى ماأنت إلا بشر مثلنا ۞ ولاأحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله (لن يؤتيهم خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (إنى إذا لمن الظالمين) إن قلت شيئا من ذلك ۞ والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فأكثرت جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (إنما يأتيكم به الله) أى ليس الإتيان بالعذاب إلى إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه (إن شاء) يعنى إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فأكثرت جدلنا ۞ (فإن قلت) ماوجه ترادف هذين الشرطين (قلت) قوله (إن كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه مادل عليه قوله لاينفعكم نصحى وهذا الدال فى حكم مادل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط فى قولك إن أحسنت إلى أحسنت اليك إن أمكننى (فإن قلت) فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم (قلت) إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا

۞ قوله تعالى ولاينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال إن قلت ماوجه ترادف هذين الشرطين الخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق إن شربت إن أكلت وهى المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية أنها إن شربت ثم أكلت لم يحنث وإن أكلت ثم شربت حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر أى الذى يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر فى العربية لانطول بذكره وعليه أعرب الزمخشرى هذه الآية كما رأيت والله أعلم

(قوله ذلك مما تعرفونهم به أى ترمونهم وتعيبونهم أفاده الصحاح (قوله فإن قلت فما معنى) السؤال وجوابه مبنى على مذهب المعتزلة إن الله لايخلق الشر أما على مذهب أهل السنة فالإغواء على ظاهره خلق الغى أى الضلال فى القلب

بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن

عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلطف به سمى إرشاداً وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لاتنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحى (فعلى إجرامى) وإجرامى بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم أسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامى والمعنى إن صح وثبت أنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى وكان حقى حينئذ أن تعرضوا عنى وتتألبوا على (وأنا برىء) يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مما تجرمون) من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذى لاتعلق به للتوقع (إلا من قد آمن) إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلاتبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

مايقسم الله أقبل غير مبتئس ۞ منه واقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلاتحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقدحان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) فى موضع الحال بمعنى أصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ فى صنعته عن الصواب وأن لايحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وإنا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) ولاتدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (إنهم مغرقون) إنهم محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله ياإبراهيم أعرض عن هذا انه قدجاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها فى برية يهماء فى أبعد موضع من الماء وفى وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يانوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (فإنا نسخر منكم) يعنى فى المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أى نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم فى استجهالكم لأنكم لاتستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة فى البعد عن الحقائق وروى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع مايحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة وقيل أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله

(قوله إذا بشم فهلك) فى الصحاح البشم التخم يقال بشمت من الطعام بالكسر وبشم الفصيل من كثرة شرب اللبن (قوله وتألبو على) أى تتجمعوا أفاده الصحاح (قوله وأن لايحول بينه) لعله وأن يحول (قوله برية يهماء) أى لايهتدى فيها الطريق ويقال للمرأبهم وكذا الرجل الشجاع أبهم كذا فى الصحاح

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۞ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ

أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا أهلكت قال لامت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثمة شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) فى محل النصب بتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذى لاانفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هى التى يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فإن قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد (فإن قلت) فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (فإن قلت) فما جواب كلما (قلت) أنت بين أمرين إما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعنى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم ۞ واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لالتقديره عليه وإرادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته (إلا قليل) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد ابن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء. ويجوز أن يكون كلاما واحداً وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء وانتصابهما بما فى بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدإ وخبر مقتضبة أى بسم الله إجراؤها وإرساؤها يروى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أى بقدرته وأمره وقرئ ۞ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى إما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله (فإن قلت) مامعنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن

۞ قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها (قال ويجوز أن يقتحم الاسم الخ) قال أحمد نفور من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحما والله أعلم

(قوله قال فضرب الكثيب) أى راوى هذه القصة لكنه غير معلوم

(قوله يختار الكفر لالتقديره عليه) هذا على مذهب المعتزلة من عدم سبق القضاء والقدر على الشر وعدم إرادته ولكن مذهب أهل السنة أن كل ممكن مسبوق بالقضاء والقدر والإرادة ولو شراً

يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ

تكون فى موضع الحال كقوله

۞ وجاؤنا بهم سكر علينا ۞ فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين (إن ربى لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله (وهى تجرى بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتماعها (فإن قلت) الموج مايرتفع فوق الماء قد التقى وطبق مابين السماء والأرض وكانت الفلك تجرى فى جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألاترى إلى قول ابنه سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء. قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام ۞ وقرأ على رضى الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن على وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدأن ابنهافا كتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابنى من أهلى وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لايختلفون فى أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلى ولم يقل منى ، ولنسبته إلى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبى سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام وقرأ السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى أى قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعد يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن دين أبيه (يابنى) قرئ بكسر الياء اقتصاراً عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصاراً عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة فى قولك يابنيا أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة (إلا من رحم) إلا الراحم وهو الله تعالى أولاعاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أى إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفوراً رحيما فى قوله إن ربى لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لايعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل إلا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول ۞ نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك وأقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها مايشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على

۞ قوله تعالى لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم (قال المراد إلا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم الخ) قال أحمد والاحتمالات الممكنة أربعة لاعاصم إلا راحم ولامعصوم إلا مرحوم ولاعاصم إلا مرحوم ولامعصوم إلا راحم فالأولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشرى خامسا وهو لاعاصم إلا مرحوم على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لامكان عاصم إلا مكان مرحوم والمراد بالنفى التعريض بعدم عصمة الجبل وبالثبت

(قوله عند اضطرابه وزخيره) فى الصحاح زخر الوادى إذا امتد جداً وارتفع ومنه يقال بحر زاخر

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء * والبلع عبارة عن النشف * والإقلاع الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه إذا نقصه (وقضى الأمر) وأنجز ماوعدالله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجىء أخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الامور العظام لاتكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ولا أن يقضى ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى وأقلعى وذلك وإن كان لايخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التى هى اللب وماعداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروى أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى * نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (فإن قلت) فإذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء إرادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (إن ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه وكان ربيبا له فهو بعض أهله (وإن وعدك الحق) وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لاشك فى إنجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لافضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه

التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها أقرب من بعض والله أعلم * قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (قال نداء الأرض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال أحمد ومن هذا النمط فى السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الأوصاف أحيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها وأنه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره فى مثل قوله وهو الله فى السموات وفى الأرض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها فى العالمين ومنه * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * ولقد تحيل الشعراء على التعلق بأذيال هذه المعانى اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة

لا تحمدنها واحمدن هماما * إذ لم يسم حامد سواكا

يعنى لا تمدح نفسك فإنك المنفرد بالمدائح حتى إذا ذكرت ولم يسم الممدوح بها لم يسبق إلى ذهن أحد غيرك لتفردك بها * قوله تعالى قال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أى أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لافضل لحاكم على غيره إلا بالعلم الخ) قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشرى ترفع عن أقضى القضاة إلى قاضى القضاة والذى تلاحظوا به فى ارتفاع هذه الثانية على الأولى أن الاولى تقتضى مشاركة القضاة لأقضاهم فى الوصف وأن يزاد عليهم فترفعوا أن يشركهم أحد فى وصفهم ممن دونهم فى المنصب فعدلوا عما يشاركون فيه إلى ماليس كذلك فأفردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضى القضاة أى هو الذى يقضى بين القضاة ولا يشاركهم منهم أحد فى وصفه وجعلوا الذى يليه فى الرتبة أقضى القضاة إلا أنهم إنما يعنون قاضى قضاة زمانه أو إقليمه وإذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة فى زمانه كما أطلقه عليه

عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ

أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (إنه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك ومعتقدك من الأباعد فى المنصب وإن كان حبشيا وكنت قرشياً لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحماً فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها ۞ فإنما هى إقبال وإدبار ۞ وقيل الضمير لنداء نوح أى إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فإن قلت) فهلا قيل إنه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى التى يستبقى معها لفظ المنفى وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وإن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقرئ عمل غير صالح أى عملا غير صالح ۞ وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعنى فلا تلتمس منى ملتمسا أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فإن قلت) لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله فى وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز ۞ وجعل سؤالا ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين (فإن قلت) قد وعده أن ينجى أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم ديناً فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا (قلت) إن الله عز وعلا قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن فى جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق فى أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم

النبى عليه الصلاة والسلام حيث قال أقضاكم على فدخل فى المخاطبين القضاة وغيرهم فلا حرج إن شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الإقليم وأعلمهم قاضى القضاة وأقضى القضاة أى قضاة زمانه وبلده وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدأ هذا اللقب ۞ قوله تعالى إنه عمل غير صالح (قال فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه الخ) قال أحمد ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتك الأقربين وإن كان مأموراً بالإنذار عن العموم ولكن لما كانت أهلية النبى عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل خص أهله بالإنذار إيذانا بذلك والله أعلم ولهذا لما نزلت أنذرهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال إنى لا أملك لكم من الله شيئاً أو قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه ۞ قوله تعالى «فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين» (قال فإن قلت قد وعده الله أن ينجى أهله وما كان عنده الخ) قال أحمد وفى كلام الزمخشرى ما يدل على أنه يعتقد أن نوحا عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل إليه ومعاتبته على ذلك وليس الأمر كما تخيله الزمخشرى ونحن نوضح الحق فى الآية منزلا على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام عما توهم الزمخشرى نسبته إليه فنقول لما وعد نوح أولا بتنجية أهله إلا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على باطن أمره بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن بقى على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة ولم يعارضها يقين فى كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل فى المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه فى علمه من المستثنين وأنه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتباً فإن نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استأثر به غيبا وأما قوله إنى أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهى عن وقوع السؤال فى المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه إن وقع فى المستقبل فى السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعى وقوع ذنب بل المقصد

(قوله من الأباعد فى المنصب) لعله تحريف وأصله فى النسب

أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۞ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً

فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه (أن أسئلك) من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا علم لى بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وإلا تغفر لى) ما فرط منى من ذلك (وترحمنى) بالتوبة على (أكن من الخاسرين) أعمالا ۞ وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما (وبركات عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن تكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة لأنهم كانوا جماعات أوقيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وأمم) رفع بالابتداء و(سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم يمتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر . وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أى تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) من قبل إيحائى اليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى أو من قبل هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه (إن العاقبة) فى الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) ۞ وقوله ولا قومك معناه إن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولاسمعوه ولاعرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبدالله ولا أهل بلده (أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و(هودا) عطف بيان و(غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (إن أنتم إلا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ۞ ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شىء منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شىء أنفى للتهمة من ذلك قيل (استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان ۞ والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شىء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين فى كل ناحية وقيل أراد القوة فى المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس

منها أن لا يقع الذنب فى الاستقبال ولذلك مثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهى عنه والله أعلم

(قوله ركانوا مدلين) من الدل وفى الصحاح الدل قريب من الهدى وهما من السكينة والوقار

إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين * قالوا يـهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني برئ مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها

عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه (مجرمين) مصرين على إجرامكم وآثامكم (ماجئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا امثالك فيما يدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة (اعتراك) مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من المودة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب * من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله (فإن قلت) هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم (قلت) لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من إشراككم

* قوله تعالى «قال إني أشهد الله واشهدوا أني برىء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون» (قال محمود إن قلت هلا قيل أشهد الله وأشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله أن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الإشهاد منه فلما كان إشهاده لله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر لأنه إشهاد صحيح ثابت وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده في هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون إشهاده لهم حقيقة والغرض إقامة الحجة عليهم وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى

(قوله المبرسمين) في الصحاح البرسام علة معروفة (قوله وضب من الزندقة) في الصحاح الضب الحقد والضب واحد ضباب النخل وهو طلعه (قوله لا يبالون بالبهت) رمي الشخص بما ليس فيه

إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۞ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۞ وَإِلَى ثَمُودَ

آلهة من دونه أو مما تشركون من آلهة من دونه أى أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدونى جميعاً) أنتم وآلهتكم أعجل ماتفعلون من غير إنظار فإنى لاأبالى بكم وبكيدكم ولاأخاف معرّتكم وإن تعاونتم علىّ وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرّنى آلهتكم وماهى إلا جماد لاتضر ولاتنفع وكيف تنقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى ٭ ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، من كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك (إنّ ربى على صراط مستقيم) يريد أنه على طريق الحق والعدل فى ملكه لايفوته ظالم ولايضيع عنده معتصم به (فإن تولوا) فإن تتولوا (فإن قلت) الإبلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط فى الإبلاغ وكنتم محجوجين بأنّ ماأرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم (ولاتضرونه) بتوليكم (شيئاً) من ضرر قط لأنه لايجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم وفى قراءة عبدالله ويستخلف بالجزم وكذلك ولاتضروه عطفاً على محل فقد أبلغتكم والمعنى إن تتولوا يعذرنى ويستخلف قوماً غيركم ولاتضروا إلا أنفسكم (على كل شىء حفيظ) أى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولايغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيباً على الأشياء كلها حافظاً لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف ٭ (فإن قلت) مامعنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أوّلا أنه حين أهلك عدوّهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أنّ الله عزّ وجلّ بعث عليهم السموم فكانت تدخل فى أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشدّ ٭ وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذى أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا فى الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لانفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله (ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فإن قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألاترى إلى قوله

إخوتى لاتبعدوا أبداً ٭ وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فإن قلت) ماالفائدة فى هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه

بصيغة الخبر التى هى أجلّ وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر والله الموفق للصواب ٭ قوله تعالى ألا بعداً لعاد قوم هود (قال إن قلت ماالفائدة فى هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال أحمد فيه أيضاً فائدتان جليلتان إحداهما النسبة بذكر هود الذى إنما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكأنه قيل عاد قوم هود الذى كذبوه والأخرى تناسب الآى بذلك فإن قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول فى القوافى والله أعلم

أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۞ قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۞ وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ

الدعوة وسما وتجعل فيهم أمراً محققاً لاشبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عاداً عادان الأولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وعن معاوية بن أبى سفيان أنه أخذ فى إحياء الأرض فى آخر أمره فقيل له فقال ماحملنى عليه إلا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ۞ ولا تكون له فى الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر فى معنى أعمر كقولك استهلكه فى معنى أهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثانى أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) دانى الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وسأله (فينا) فيما بيننا (مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً فى الأمور ومسترشداً فى التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لاخير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على مانحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى قيل (إن كنت على بينة من ربى) بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وأنى نبى على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره فمن يمنعنى من عذاب الله (فما تزيدوننى) إذن حينئذ (غير تخسير) يعنى تخسرون أعمالى وتبطلونها أو فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملوننى عليه غير أن أخسركم أى أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها مادل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ۞ (فإن قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيراً وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (فى داركم) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل فى دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب

(قوله إذن حينئذ) إحداهما مزيدة (قوله ويوم شهدناه) أى من قول الشاعر ويوم شهدناه سليما وعامراً من قوله (قوله فقد صدقك ولم يكذب) لعله صدقه ولم يكذبه

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ

فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفى بك فإذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزى يومئذ) قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله ۞ على حين عاتبت المشيب على الصبا ۞ (فإن قلت) علام عطف (قلت) على نجينا لأن تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزى يومئذ أى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ۞ وقرئ ألا إن ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى أحد عشر (بالبشرى) هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ۞ كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

(فما لبث أن جاء) فما لبث فى المجىء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه ۞ والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوى بالرضف فى أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين ۞ يقال نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الأعشى

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ۞ من الحوادث إلا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل فى طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطارقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم

قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط الآية (قال قيل إنه كان ينزل فى طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت فى قصة إبراهيم هذه ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دال على أنه إنما أوجس منهم خيفة لعلمه أنهم ملائكة وعدم علمه جاؤا الثانى فى الحجر قوله ونبئهم عن ضيف إبراهيم إلى قوله لا توجل إنا نبشرك فلم يطمئنوا بإعلامه أنهم ملائكة ولكن بأنهم مبشرون له فدل على استشعارهم أنه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤا فيه الثالث فى الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه فهو أيضا كذلك وأما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى إلى قوله تعالى قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأول ما أعلموا به أنهم رسل فالفرق بين هذه الآية وبين آى إبراهيم مصداق لأن إبراهيم علم كونهم ملائكة ولوطا لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل إبراهيم على لوط أن يبعد على فراسته أن يعلم أنهم ملائكة

(قوله فى البث إن جاء) لعله إن جاء بعجل (قوله مشوى بالرضف) أى الحجارة المحماة كما فى الصحاح

إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴿ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ﴿ قالت يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴿ فلما ذهب عن إبرهيم الروع وجاءته البشرى يجدلنا

أرسلوا (فأوجس) فأضمر ﴿ وإنما قالوا لاتخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لأنهم كانوا لاينزلون إلا بعذاب (وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبدالله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإنى أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ماتوهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابى فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب مولود أو موجود أى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى أنه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها إسحق ومن وراء إسحق يعقوب على طريقة قوله

ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ﴿

الألف فى (ياويلتا) مبدلة من ياء الإضافة وكذلك فى يالهفا وياعجبا وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الأصل و (شيخا) نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدإ محذوف أى هذا بعلى هو شيخ أو بعلى بدل من المبتدإ وشيخ خبر أو يكونان معاً خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة (إن هذا لشىء عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى أجراها الله وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فـ(قالوا أتعجبين من أمر الله) لأنها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها مايزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب ﴿ وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت الله وبركاته عليكم) كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بنى إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم (حميد) فاعل مايستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الإحسان إليهم ﴿ وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن

دون لوط عليهما السلام ﴿ عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وإنما قالوا لاتخف لأنهم رأوا أثر الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشرى والله أعلم لأنهم إنما علموا خوفه ووجله بإخباره إياهم بذلك ويدل عليه قوله تعالى فى آية أخرى قال إنا منكم وجلون قالوا لاتوجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب ﴿ عاد كلامه (قال وضحك زوجته لأنها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعديا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت إذ لاعجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة مهماز على إمكان الحمل والله الموفق

(قوله ولا ناعب) تتمته: إلا ببين غرابها (قوله ولايزدهيها) فى الصحاح زهاه وازدهاه استخفه وتهاون به

فى قوم لوط ۞ إنّ إبرهيم لحليم أوّه منيب ۞ يـٰإبرهيم أعرض عن هـٰذآ إنه قد جآء أمر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود ۞ ولمّا جآءت رسلنا لوطا سىٓء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هـٰذا يوم عصيب ۞ وجآءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السّيّئات قال يـٰقوم هـٰؤلآء بناتى هنّ أطهر لكم

أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أوقال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط قيل فى يجادلنا هو جواب لما وإنما جىء به مضارعا لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضى كما ترد إن الماضى إلى معنى الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (فى قوم لوط) فى معناهم وعن ابن عباس قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ماقوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان (إن إبراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء إليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه (يا إبراهيم) على إرادة القول أى قالت له الملائكة (أعرض عن هذا) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (إنه قدجاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذى لايصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ۞ كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية فى الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها ۞ يقال يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيآت) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتى) أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان فى لحنه وعن أبى عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع فى لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها مافى هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلى شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتى بدل ويعمل هذا المضمر فى الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه

(قوله عشرة فيهم خير) لعله عشرة يصلون (قوله وضيق ذرعه) فى الصحاح يقال ضقت بالأمر ذرعا إذا لم تطقه ولم تقو عليه وأصل الذرع إنما هو بسط اليد فكأنك تريد مددت يدى إليه فلم تنله

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ

فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى هنّ جملة فى موضع خبر المبتدإ كقولك هذا أخى هو ويكون أطهر حالا (فاتقوا الله) بإيثارهنّ عليهم (ولا تخزونى) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدى إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء ﴿ وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة فى تواضعه لهم وإظهاراً لشدّة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً فى أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (ما لنا فى بناتك من حق) لأنك لا ترى منا كحتنا وما هو إلا عرض سابرى وقيل لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأنّ نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا فى بناتك من حق قط لأنّ نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذى نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفى الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة ﴿ جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أنّ قرآنا سيرت به الجبال يعنى لو أنّ لى بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لى به قوة وما لى به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لى به يدان لأنه فى معنى لا أضطلع به ولا أستقلّ به ﴿ والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوىّ أستند إليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوىّ العزيز بالركن من الجبل فى شدّته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إنّ ركنك لشديد وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد ﴿ وقرئ أو آوى بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لى بكم قوة أو أويا كقولها ﴿ للبس عباءة وتقرّ عينى ﴿ وقرئ إلى ركن بضمتين وروى أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوّروا الجدار ﴿ فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من درّ منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى «فطمسنا أعينهم» فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن فى بيت لوط قوما سحرة . لن يصلوا اليك : جملة موضحة للتى قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ﴿ قرئ فأسر بالقطع والوصل وإلا امرأتك بالرفع والنصب وروى أنه قال لهم متى وعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعنى قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفى إخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها

(قوله لشدّة امتعاضه) امتعض من الأمر غضب منه وشق عليه كذا فى الصحاح (قوله وما هو إلا عرض سابرى) عرض سابرى بفتح العين نوع من الثياب رقيق منسوب إلى سابور من الأكاسرة كذا بهامش وفى الصحاح عرضت له الشىء أى أظهرته له

مَنْضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۞ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ۞ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞

اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه فى أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هى كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هى من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان (منضود) نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه فى أثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضى الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وماهى) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم (ببعيد) بشىء بعيد ويجوز أن يراد وماهى بمكان بعيد لأنها وإن كانت فى السماء وهى مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهى أسرع شىء لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه (إنى أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ماتفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو (فإن قلت) وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب مااشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ۞ (فإن قلت) النهى عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله أوفوا (قلت) نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن فى التصريح بالقبيح نعيا على المنهى وتعبيرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجىء به مقيدا بالقسط أى ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ماجاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه وفيه توقيف على أن الموفى عليه أن ينوى بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد ۞ البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير ۞ وفى كل ماباع امرؤ بخس درهم ۞ وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شىء يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان مايشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك ۞ والعثى فى الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم فى

۞ قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال إن قلت النهى عن النقصان أمر بالإيفاء الخ) قال أحمد ولمن قال إن الأمر بالشىء ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فإن الأمر لو كان عين النهى عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفى كلام الزمخشرى مايدل على أنه وهم فاعتقد أن النهى فى الآية قبل الأمر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم وأما قوله أن الإيفاء حسن فى العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانها وبينا أن التحسين والتقبيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل فى حكم سمعى

وأبرزته اليه يقال عرضت له ثوبا مكان حقه وفى المثل عرض سابرى لأنه ثوب جيد يشترى بأول عرض ولا يبالغ فيه (قوله وسجل لفلان منضود) فى الصحاح نضد متاعه ينضده بالكسر نضدا أى وضع بعضه فوق بعض

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۞ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَايَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَانَشَٰٓؤُا إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ

الأرض (بقيت الله) مايبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم إن كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد فى الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان (فإن قلت) بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان (قلت) لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لى فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد مايبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذى يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولايسمى رزقاً وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه ومراقبته التى تصرف عن المعاصى والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً وقد أعذرت حين أنذرت ۞ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية فى قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذى تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لاوجه لصحته وأن مثله لايدعوك إليه داعى عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التى تداوم عليها فى ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك (أن نترك) تأمرك بتكليف أن نترك (مايعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذى هو التكليف لأن

۞ قوله تعالى بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين (قال بقية الله مايبقى لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لانهيا ولا أمراً وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهى وهذه الآية تدل على أنهم مخاطبون فى حال الكفر بشرط الإيمان وقد قررها الزمخشرى على ذلك ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضا من إقرار الزمخشرى للآية على ظاهرها ومعنى السؤال أن الكفار إذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات فى الدار الآخرة لأن ثمرة الخلاف فى مسئلة خطاب الكفار إنما تظهر فى الدار الآخرة وإذا كانوا ينتفعون بذلك فلامعنى لاشتراط الإيمان والحال مع وجوده وعدمه فى الانتفاع بالامتثال سواء . ومعنى الجواب أن ظهور الانتفاع بالامتثال إنما يتحقق مع الإيمان وأما مع الكفر فهم مخلدون فى العذاب فإنما تظهر الفائدة على خفاء فى تحقيق مأمن العذاب والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد مايبقى لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لاخالق ولا رازق إلا الله إيمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم وإذا كان الرزق عبارة عن كل مايقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام فى هذا الإطلاق عقداً وحقيقة وأما إطلاق القول بإضافته على الخصوص إلى الله تعالى فأمر خارج عن الاعتقاد راجع إلى الاتباع والله الموفق ۞ قوله تعالى « قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء » (قال محمود معناه تأمرك بتكليف أن نترك مايعبد آباؤنا

(قوله ولايسمى رزقا) هذا مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فالرزق ماينتفع به ولو حراماً (قوله مساق الطنز) فى الصحاح الطنز السخرية وطنز يطنز فهو طناز وأظنه مولداً أو معربا اه

عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ

الإنسان لايؤمر بفعل غيره ۞ وقرئ أصلاتك بالتوحيد ۞ وقرأ ابن أبى عبلة أو أن تفعل فى أموالنا ماتشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ماكان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (إنك لأنت الحليم الرشيد) نسبته إلى غاية السفه والغىّ فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لايبضّ حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجدلك وقيل معناه إنك المتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون أنّ ماتأمر به لايطابق حالك وماشهرت به (ورزقنى منه) أى من لدنه (رزقا حسنا) وهو مارزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيباً من غير بخس ولاتطفيف (فإن قلت) أين جواب أرأيتم ومالهلم يثبت كما أثبت فى قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأنّ إثباته فى القصتين دلّ على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى أخبرونى إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصى والأنبياء لايبعثون إلا لذلك ۞ يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادراً ومنه قوله تعالى « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » يعنى أن أسبقكم إلى شهواتكم التى نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر (ما استطعت) ظرف أى مدّة استطاعتى للإصلاح وما دمت متمكناً منه لا آلو فيه جهداً أو بدل من الإصلاح أى المقدار الذى استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله ۞ ضعيف النكاية أعداءه ۞

أى ماأريد إلا أن أصلح مااستطعت إصلاحه من فاسدكم (وماتوفيقى إلابالله) وما كونى موفقاً لإصابة الحق فيما آتى وأذر ووقوعه موافقاً لرضا الله إلابمعونته وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه فى إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوّه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه ۞ جرم مثل كسب فى تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين

إلى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون أن نفعل معطوفا على أن نترك وعلى المشهور لايجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيها على مايعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة آبائنا أو معبود آبائنا على أنها مصدرية أو موصولة ثم قالوا أو أن نفعل أى أو أن نترك فعلنا فى أموالنا مانشاء. هذه لطيفة فتنبه لها ولاحاجة إلى إضمار الزمخشرى لمضاف تقديره تأمرك بتكليف أن نترك واحتجاجه لذلك بأنّ الإنسان لايؤمر بفعل غيره إذ أو المسئلة فرع من فروع خلق الأفعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف فى الآية متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لأن عرف التخاطب فى مثله يقتضى ذلك والله أعلم ۞ قوله تعالى « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت » (قال محمود ما استطعت ظرف أى مدّة استطاعتى للإصلاح ومادمت متمكناً منه ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو يكون مفعولا للمصدر كقوله ۞ ضعيف النكاية أعداءه) قال أحمد والظاهر أنه ظرف كهو فى قوله فاتقوا الله ما استطعتم وأمّا جعله مفعولا للمصدر وقد عرف بالألف واللام فبعيد لأنّ إعمال المصدر المعرف فى المفعول الصريح ليس بذاك قالوا ولم يوجد فى القرآن عاملا فى مفعول صريح ولا فى غيره إلا فى قوله لايحب الله الجهر بالسوء فأعمله فى الجار والعدول

(قوله عن حذف الدراهم) الذى فى الصحاح حذفت من شعرى ومن ذنب الدابة أى أخذت اه (قوله لايبضّ حجره) فى الصحاح بضّ الماء يبض بضيضاً سال قليلا قليلا وفى المثل مايبضّ حجره أى ماتندى صفاته

مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۞ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۞ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا

تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال ۞ جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ۞ ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم) أى لا يكسبنكم شقاقى إصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارماله أى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لافرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه فكذلك لافرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما إن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا ۞ وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله ۞ لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ۞ (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى أنهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك (فإن قلت) ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) إما أن يرادوما إهلاكهم ببعيد أو ماهم بشىء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال (ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) لأنهم كانوا لا يلقون اليه إذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفاً) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا ۞ والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولاهم احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دلّ إيلاء ضميره حرف النفى على أنّ الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فإن قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت)

عن إقفاء الاعراب إلى وجوهه وهى ممكنة عتيدة متعين خصوصاً فى أفصح الكلام والله أعلم ۞ قوله تعالى إنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفاً أى لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن

(قوله جرمت فزارة) صدره ولقد طعنت أبا عبيدة طعنة وجرمت أى الطعنة أفاده الصحاح (قوله على ما يقتضيه قوم من عمله) وذلك بأن يعامل معاملة المؤنث نحو كذبت قوم نوح المرسلين أو معاملة جمع الذكور نحو إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون لأنّ الأول مقتضى حمله على لفظه كما سيأتى للمهم فى سورة الشعراء من أنّ القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة والثانى مقتضى حمله على معناه وهو ظاهر

إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ

تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألاترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لايعبأ به والظهرى منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسبة إلى أمس أمسىّ (بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علماً فلايخفى عليه شيء منها (على مكانتكم) لاتخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أواعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (إنى عامل) على حسب مايؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (من يأتيه) يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب (فإن قلت) أى فرق بين إدخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون (قلت) إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وماأقول لكم (إنى معكم رقيب) أى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فإن قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم (قلت) القياس ماذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعنى فى زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فإن

نكته الدالة على أنه كان مليا بالحذاقة فى علم البيان والله المستعان * قوله تعالى إنى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب (قال إن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال أحمد والظاهر والله أعلم أن الكلامين جميعا لهم فالأول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جرمهم الذى يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وإنما يعنى المخاطب فى الكلامين فإذا ثبت صرف الكلامين إليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هو لأن أحد الفريقين إذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا فذكره لإحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الأخرى تعريضا والتعريض كما علمت فى كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح وهذا منه والذى يدل على أن الكلامين لهما وأن عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه فى الآية التى فى أول هذه السورة وهى قوله تعالى قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله فى سورة الأنعام قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هناك أيضا إحدى العاقبتين لأن المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير ومتى أطلقت فلايعنى إلا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله أعلم فتأمل هذا الفصل فإنه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز وضم

ثمود ۝ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ۝ إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ۝ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ۝ وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ۝ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ۝ وما ظلمناهم

قلت) ما بال ساقتى قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب لجيء بالفاء الذى هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ماقبلهما كما تعطف قصة على قصة ۝ الجاثم اللازم لمكانه لايريم كاللابد يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين ۝ البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألاترى إلى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمى بعدت بضم العين والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب إلاأنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمى جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى فى معنى الموت وقيل معناه بعداً لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لايخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذى لايأتى إلامن شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذى فيه رشد أى وما فى أمره رشد إنما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لامن يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين فى أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس فى أمره رشد قط (يقدم قومه) أى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيراً لذلك وإيضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل فى كل مايحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل مايذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين ۝ (فإن قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جئ بلفظ الماضى (قلت) لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لامحالة و(الورد) المورد و(المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده (واتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس

بعضها إلى بعض والله الموفق للصواب

(قوله ما بال ساقتى قصة) فى الصحاح ساقة الجيش مؤخره اه ومثله ساقة القصة هنا (قوله كاللابد) أى المتلبد اللاصق بالأرض أفاده الصحاح (قوله بحيث هو قعصا كان) فى الصحاح يقال مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة فمات مكانه (قوله وذلك أنه ادعى الإلهية) وهو بشر مثلهم وظاهر بالعسف والظلم والشر الذى لايأتى إلامن شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية (قوله يقدم قومه فيوردهم) ولم جيء بلفظ الماضى قلت لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم

وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۞ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ

العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أى بعضها باق وبعضها عاف الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد (فإن قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هى مستأنفة لامحل لها (وما ظلمناهم) باهلاكنا إياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية و(لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره إذا أوقعه فى الخسران ۞ محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل ۞ وقرئ إذ أخذ القرى (وهى ظالمة) حال من القرى (أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال (ذلك) إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم فى الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه و(الناس) رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس (فإن قلت) لأى فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ۞ ويوم شهدناه سليما وعامرا ۞ أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال ۞ فى محفل من نواصى الناس مشهود (فإن قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا فى نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى

۞ قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه إن قلت لم عدل عن الفعل إلى اسم المفعول الخ) قال أحمد ولهذا السر ورد قوله تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ ۞ قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع فى الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذى هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الإبهام ما يكون وتفخيما وهذا مكانه

(قوله اسم المفعول من دلالة على ثبات) عبارة النسفى دلالته

مَعْدُودٍ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا

فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لايشهده المقيم ويغيب عنه المسافر ۞ الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لالغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (ومانؤخره إلا لأجل معدود) إلالانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ ومايؤخره بالياء ۞ قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لاأدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل (فإن قلت) فاعل يأتى ماهو (قلت) الله عزّ وجلّ كقوله هل ينظرون إلاأن يأتيهم الله أو يأتى ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ ومايؤخره بالياء وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة (فإن قلت) بما انتصب الظرف (قلت) إما أن ينتصب بلاتكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف فى قوله إلالأجل معدود أى ينتهى الأجل يوم يأتى (فإن قلت) فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشىء بنفسه (قلت) المراد إتيان هوله وشدائده (لاتكلم) لاتتكلم وهو نظير قوله لايتكلمون إلامن أذن له الرحمن (فإن قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن أنفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام فلايؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لاتكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس والشقى الذى وجبت له النار لإساءته والسعيد الذى وجبت له الجنة لإحسانه ۞ قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا ۞ والزفير إخراج النفس ۞ والشهيق رده قال الشماخ:

بعيد مدى التطريب أول صوته ۞ زفير ويتلوه شهيق محشرج

(مادامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» وقوله «وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء» ولأنه لابد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثانى أن يكون عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب مادام تعار وما أقام ثبير ومالاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (فإن قلت) فما معنى الاستثناء فى قوله (إلا ماشاء ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار فى الأبد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لايخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ماهو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر» ولهم مايتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لايعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته (إن ربك فعال لما يريد) أنه يفعل بأهل النار مايريد من العذاب كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لاانقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولايخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثانى ينادى على

(قوله ولايخدعنك عنه قول المجبرة) يريد أهل السنة أما المعتزلة فيقولون فاعل الكبيرة واسطة بين المؤمن والكافر وخلوده فى النار أبدى وتحقيق بطلانه فى علم التوحيد

الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۞ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ

تكذيبهم ويسجل باقترائهم وماظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبدالله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون ۞ لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيداً لهم ثم قال (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها (وإنا لموفوهم نصيبهم) أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم ۞ (فإن قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصاً (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة) يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة (لقضي بينهم) بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضاً (وإن كلا) التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف ۞ واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتباراً لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقراءة عبدالله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعاً كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت

۞ قوله تعالى «وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص» (قال محمود) أي حظهم من العذاب وإنما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال أحمد) وهم والله أعلم فإن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان أو ناقصاً فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالا عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الإعطاء كما استعمل التوفي الأخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه كان جديراً أن يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

(قوله لما روى لهم بعض النوابت) في الصحاح أن بني فلان لنابتة شر والنوابت من الأحداث الأغمار

وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ

وليستقم من تاب على الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (إنه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وروى أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتنى هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت ما الذى شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضى الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم ۞ قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء. وعن أبى عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم فى كسرهم حروف المضارعة إلا الياء فى كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبى عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهى متناول للانحطاط فى هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزى بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله (إلى الذين ظلموا) أى إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكى أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهرى السلاطين كتب إليه أخ له فى الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعى مامن شىء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (ومالكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه ومالكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لأنه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم (فإن قلت) فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر

(قوله وما أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك) لعل هنا سقطاً تقديره فى جنب ما أعطوك وما أقل ما أصلحوا لك فى جنب ما أفسدوا الخ

ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۞

والعصر لأنّ مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر فى بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو مايقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أى أقم الصلاة طرفى النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله عزوجل فى بعض الليل (إن الحسنات يذهبن السيئات) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفى الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة مابينهما مااجتنبت الكبائر والثانى إن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفاً فى تركها كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى أبى اليسر عمرو بن غزية الأنصارى كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن فى البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءاً حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات (ذلك) إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين ۞ ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ماجاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهمّ مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ماأمرت به والانتهاء عمانهيت عنه فلا يتم شىء منه إلا به (فإن الله لايضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا إلا التى فى الصافات وماصحت هذه الحكاية فى غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ۞ أن تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم ۞ ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى فهلا كان منهم ذو وبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرّة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم (إلا قليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا مما أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ۞ ومن فى (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لأن النجاة إنما هى للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فإن قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) إن جعلته متصلا على ماعليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لأنه يكون تحضيضاً الأولى البقية على النهى عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۞ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَاتِ

وإن قلت فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات أى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ماعرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا ماوراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو فى رواية الجعفى وأتبع الذين ظلموا يعنى وأتبعوا جزاء ماأترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء أترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر (فإن قلت) علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف قالوا أو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فإن قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) (قلت) على أترفوا أى اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صحّ واستقام ۞ واللام لتأكيد النفى و (بظلم) حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيهاً لذاته عن الظلم وإيذانا بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لايهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فساداً آخر ۞ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى لاضطرهم إلى أن يكون أهل أمة واحدة أى ملة واحدة وهى ملة الإسلام كقوله إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى اضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك) إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك إشارة إلى مادل عليه الكلام الأول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ (نقصّ عليك) و (من أنباء الرسل) بيان لكل و (مانثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقصّ عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقصّ عليك يعنى على الأساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه ومافيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك فى هذه الحق) أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصة فيها ماهو حق (وموعظة وذكرى ۞ وقل للذين لايؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (إنا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (إنا منتظرون) أن ينزل بكم نحو مااقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم

وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞

سورة يوسف مكية

إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ

(ولله غيب السموات والأرض) لاتخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (وإليه يرجع الأمر كله) فلابد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فإنه كافيك وكافلك (وماربك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء أى أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى ذلك

﴿ سورة يوسف مكية وهى مائة وإحدى عشرة آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تلك) إشارة إلى آيات السورة و (الكتاب المبين) السورة أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب وتبكيتهم أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لاتشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف (أنزلناه) أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه (قرآنا عربياً) وسمى بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وإن أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أى بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألاترى أن هذا الحديث مقتص فى كتب الأولين وفى كتب التواريخ ولاترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن مايقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه (فإن قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره إذا اتبعه لأن الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (وإن كنت) إن مخففة من الثقيلة ۞ واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية ۞ والضمير فى (قبله) راجع إلى قوله

(قوله ليست فى غيرها والظاهر أنه) لعله فى غيره كعبارة النسفى

يوسف لأبيه يـٰأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى سٰجدين ۞ قال يـٰبنى

ما أوحينا والمعنى وإنّ الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولاطرق سمعك طرف منه (إذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأنّ الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قصّ وقته فقد قصّ أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف (فإن قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربى لأنه على وزن المضارع المبنى للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لأنّ القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أنّ الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لأنه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فإن قلت) ما هذه التاء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء فى الوقف (فإن قلت) كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فإن قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة (قلت) لأنّ التأنيث والإضافة يتناسبان فى أنّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم فى آخره (فإن قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هى الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك يا أبى قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ماقبلها مفتوحا (فإن قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها فى الإعراب، وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فإن قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها فى حكم الياء إذا قلت ياغلام فكما لا يجوز يا أبتى لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لاغير ألاترى إلى قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينهما وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فإن قلت) فقد دلت الكسرة فى ياغلام على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها فإن دلت على مثل ذلك فى يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبى (فإن قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا أبى وأما من ضم فقد رأى اسما فى آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول ياتبة من غير اعتبار لكونها عوضا من غير ياء الإضافة ۞ وقرئ إنى رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا إلى تسعة عشر إلا اثنى عشر لئلا يلتقى ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأنّ ماذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف

﴿القول فى سورة يوسف عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قال إن قلت ما معنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهى المقصودة إذ الآية فى السجود كانت والله أعلم

(قوله كما تقول ياتبه من غير اعتبار) قوله تبه بكسر التاء وتشديد الباء الحالة الشديدة وفى نسخة ياابنة كذا بهامش الأصل

لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فإن قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى أى والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون ۞ (فإن قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ۞ (فإن قلت) ما معنى تكرار رأيت (قلت) ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إنى رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لى ساجدين) (فإن قلت) فلم أجريت مجرى العقلاء فى رأيتهم لى ساجدين (قلت) لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم أن يلابس الشىء الشىء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة ۞ عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم ۞ والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رويا بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك وريك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لأن الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام فى قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر (فيكيدوا) منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك (فإن قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشىء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته والأحاديث الرؤيا لأن الرؤيا إما حديث نفس أو ملك أو شيطان ۞ وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معانى كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى إلى قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون الله

إبرٰهيم وإسحٰق إنّ ربّك عليم حكيم ۞ لقد كان في يوسف وإخوته ءايٰت للسّائلين ۞ إذ قالوا ليوسف
وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا ونحن عصبة إنّ أبانا لفي ضلٰل مبين ۞ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل

نزل أحسن الحديث، وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة ۞ ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل ۞ وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما ۞ وأراد بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهم في حكم الأب في الأصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة و(إبراهيم وإسحق) عطف بيان لأبويك (إن ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته إلا على من يستحقها (في يوسف وإخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب ۞ وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام للابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل (أحب) في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في (ونحن عصبة) واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة

۞ قوله تعالى «إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة» قال اللام للتوكيد دخلت للإشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت الخ) قال أحمد هذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتي هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان في لحنه أي تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلا بد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن نحن على طريقة
۞ أنا أبو النجم وشعري شعري ۞ ونحو أنا أنا وأنت أنت لم يكن في فصاحته مقال وقد علمت أن معنى أنا أنا أي أنا الموصوف بالأوصاف الشهيرة التي استغنى عن ذكرها فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظا وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد إلى المحذوف وإذا كان كذلك فقول القائلين ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن معناه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذي ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور فلا غرو في وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجري في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فقوله هن في حكم الكلام التام والمراد هؤلاء بناتي هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ۞ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ۞ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ۞ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ۞ قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب

عليهما (إن أبانا لفى ضلال مبين) أى فى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك ۞ والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علىّ رضى الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنبارى هذا كما تقول العرب إنما العامرى عمته أى يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا) أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشىء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين إلى الله عما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم ۞ وتكونوا إما مجزوم عطفاً على يخل لكم أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق (قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذى قال فلن أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم (ألقوه فى غيابة الجب) وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل:

إن أنا يوما غيبتنى غيابتى ۞ فسيروا بسيرى فى العشيرة والأهل

أراد غيابة حفرته التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدرى غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون فى الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله ۞ كما شرقت صدر القناة من الدم ۞ ومنه ذهبت بعض أصابعه (إن كنتم فاعلين) إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى (مالك لا تأمنا) قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منافى بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعى ۞ وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فإن قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعباً لأنه فى صورته (ليحزننى) اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببى المضارعة ۞ اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا

۞ قوله تعالى « قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن

(قوله قال المنخل إن أنا يوما) لعله إذا أنا أو لعله وإن أنا (قوله ما يدل على خلاف النصيحة والمقة) أى المحبة وقد ومقه يمقه بالكسر فيهما أى أحبه فهو وامق كذا فى الصحاح

وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۞ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۞ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً

عنه برعيهم ولعبهم وأقلّ به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى فى النوم أنّ الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفى أمثالهم ۞ البلاء موكل بالمنطق ۞ وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة ۞ القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (إنا إذاً لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط ۞ والواو فى ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ماخافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذاً لقوم خاسرون أى هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لاغناء عندهم ولا جدوى فى حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسارة والدّمار وأن يقال خسرهم الله ودمّرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذاً وخسرناها (فإن قلت) قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذى كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به (أن يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم ۞ وقرئ فى غيابات الجب قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به مافعلوا من الأذى فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرّية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ياأبتاه لو تعلم مايصنع بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا أما أعطيتمونى موثقاً أن لاتقتلوه فلما أرادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال ياإخوتاه ردّوا علىّ قميصى أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ودلوه فى البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه فظنّ أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أنّ إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وجرّد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه (وأوحينا إليه) قيل أوحى إليه فى الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) وإنما أوحى إليه ليؤنس فى الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدّثن إخوتك بما فعلوا بك (وهم لايشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدّل للهيآت والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطنّ فقال إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه فى غيابة

عصبة إنا إذاً لخاسرون » (قال محمود) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لمفارقته الثانى خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه لأنه مظنة هلاكه وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما إليه عما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشدّ الأمرين عليه والله أعلم

(قوله ويذيقهم الأمرين فأعاروه) الأمرّين بنون الجمع الدواهى كذا بهامش وفى الصحاح الأمرّان الفقر والهرم وفيه أيضاً الأمرّ المضارّين يجتمع فيها الغرث قال الشاعر فلا تهد الأمرّ وما يليه ۞ ولا تهدن معروف العظام أبو زيد لقيت منه الأمرّين ، بنون الجمع وهى الدواهى اه

يبكون ۞ قالوا يـٰأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صـٰدقين ۞ وجاءو على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ۞ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يـٰبشرى هـٰذا غلـٰم وأسروه بضـٰعة والله

الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لايشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لايشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لاأنيس له ۞ وقرئ لتنبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لايشعرون متعلق بأوحينا لاغير ۞ وعن الحسن عشياً على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي ياأبا أمية أماتراها تبكي فقال قدجاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولاينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية وروى أنه لما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يابنى هل أصابكم فى غنمكم شيء قالوا لاقال فمالكم وأين يوسف (قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق) أى نتسابق ، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامى وغير ذلك والمعنى نتسابق فى العدو أو فى الرمى وجاء فى التفسير ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كناصادقين) ولوكنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه ۞ فهن به جود وأنتم به بخل ۞ وقرئ كذبا نصا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضى الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أى كدر وقيل طرى وقال ابن جنى أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذى يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر فى قميصه روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر ۞ (فإن قلت) على قميصه مامحله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فإن قلت) هل يجوز أن تكون حالامتقدمة (قلت) لالأن حال المجرور لاتتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أى سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته فى أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص أو أوحى اليه بأنهم قصدوه (فصبر جميل) خبر أومبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى قراءة أبي فصبراً جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع أنه الذى لاشكوى فيه ومعناه لاشكوى فيه إلى الخلق ألاترى إلى قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وقيل لاأعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقال له ماهذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى اليه يايعقوب أتشكونى قال يارب خطيئة فاغفرها لى (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ماتصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت

۞ قوله تعالى وجاءوا أباهم عشاءيبكون (قال روى أنه لما سمع أصواتهم قال يابنى هل أصابكم فى غنمكم شيء قالوا لاالخ)

(قوله يقال لقيته عشياً وعشياناً) وهذا لوحذفت نونه صار عشيا كقراءة الحسن

(قوله وهو الفوف البياض) عبارة الصحاح الفوف البياض الذى يكون فى أظفار الأحداث اه فجعل البياض خبرا عن الفوف وتفسيرا له فعله هنا أى البياض

عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۞ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ

سيارة) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف فى الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريباً منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء ۞ والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم (يابشرى) نادىٰ البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يابشراى على إضافتها إلى نفسه وفى قراءة الحسن وغيره يابشرى بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهى لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون فى دعائهم ياسيدى ومولىّ وعن نافع يابشراى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف ۞ قيل لما أدلى دلوه أى أرسلها فى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يابشراى (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه و(بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة مابضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ماليس لهم أو والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أوزيف ناقص العيار (دراهم) لادنانير (معدودة) قليلة تعد عداً ولاتوزن لأنهم كانوا لايزنون إلا ما بلغ الأوقية وهى الأربعون ويعدون مادونها وقيل للقليلة معدودة لأنّ الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بماطف من الثمن لأنهم التقطوه والملتقط للشىء متهاون به لايبالى بم باعه ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أنّ إخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لايأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لأنّ الصلة لاتتقدم على الموصول ألا تراك لاتقول وكانوا زيدا من الضاربين وإنما هو بيان كأنه قيل فى أى شىء زهدوا فقال زهدوا فيه (الذى اشتراه) قيل هو قطفير أو أطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى أيامه

قال أحمد وقواه على اتهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذى خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أوّلا وهو أكل الذئب إياه فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم وأخاف أن يأكله الذئب وكثيرا ما تلقف الأعذار الباطلة من قلق فى المخاطب المعتذر إليه حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الإنكار ۞ قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال أحمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم أحصهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحداً فالمدعو به وإن كان إحصاؤهم عدداً فى الظاهر إلا أنّ هذا ليس مرادا لأنّ الله تعالى أحصى كل شىء عددا وأحاط به علما فلابد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الإحصاء والله أعلم

(قوله فيبيعه بماطفّ من الثمن) أى قلّ وفى الصحاح الطفيف القليل

لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ

فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريراً فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (أكرمى مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا بدليل قوله إنه ربى أحسن مثواى والمراد تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به ۞ واللام فى لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التى أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الإشارة إلى ما تقدم من أنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف (مكنا) له أى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله فى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره قد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الأمر كله بيد الله ۞ قيل فى الأشد ثمانى عشر سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله ۞ المراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشىء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التحمل لمواقعته إياها (وغلقت الأبواب) قيل كانت سبعة ۞ قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء ابن وعيط وهيت كجير وهيث كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل وأما فى الأصوات فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (إنه) إن الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخلفه فى أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (إنه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل أراد الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب ۞ هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ۞ تركت على عثمان تبكى حلائله

(قوله وأما فى الأصوات فللبيان) فى الصحاح هيت به وهوت به أى صاح به ودعاه وفيه أيضا قولهم هيت لك أى هلم لك وفيه هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا هما أى ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هماً حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى إذا همّ بأمر أمضاه ولم يشكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهمّ بها) وهمّ بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها لحذف لأن قوله وهمّ بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لو أنى خفت الله لقتلته (فإن قلت) كيف جاز على نبىّ الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها (قلت) المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهمّ به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر مابه ويردّه بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهمّ بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فإن قلت) قوله وهمّ بها داخل تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به أم هو خارج منه (قلت) الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين (فإن قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه همّ بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت) لأن لولا لايتقدم عليها جوابها من قبل أنه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع مافى حيز من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز (فإن قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهمّ بها لأن الهمّ لايتعلق بالجواهر ولكن بالمعانى فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لاتكون إلا من اثنين معاً فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ماقلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهمّ بها فكان إغماله إلغاء له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ماهو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ماهو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهمّ بها وحده وقد فسر همّ يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على انملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذى النون وذكرت توبتهم

(قوله وقرمه ميلا) أى شدة شهوته أفاده الصحاح (قوله ومشافهته كأنه شرع فيه) لعله ومشابهته (قوله مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى) يريد بهم أهل السنة ويريد بأهل العدل المعتزلة وبهت الشخص نسبه إلى قبيح لم يفعله ولولا أن ذلك دائر بين السلف لما أورده

كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن

واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم ناظراً فى دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر فى العفة وطيب الإزار والتثبت فى مواقف العثار فأخزى الله أولئك فى إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزال الله السورة التى هى أحسن القصص فى القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من أنبياء الله فى القعود بين شعب الزانية وفى حل تكته للوقوع عليها وفى أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم فى مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقى بأدنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (كذلك) الكاف منصوب المحل أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أى الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (إنه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فإن قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه فى قوله وغلقت الأبواب (قلت) أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدى وقيل إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيداً له على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة ۝ لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا ألا ترى إلى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافيه أى ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شىء جزاؤه إلا السجن كما تقول من فى الدار إلا زيد (فإن قلت) كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وإنه أراد بها سوءاً (قلت)

۝ قوله تعالى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (قال إن قلت لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف الخ) قال أحمد وأظهرت بهذا الإجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها هذا أرادنى سوءاً ولذلك أيضا كنت بالسوء عما أضمرته من الهناة مبالغة فى المكر والكيد وإبعاداً للتهمة عنها بتوقى ما يشعر منها بالتبرج والفحة وعلى الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الإجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ولم تقل إنه قوى أمين حياء من التعيين وحشمة وخفراً ولكن هذه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء وامرأة العزيز إنما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

(قوله لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر) فى الصحاح فراشة القفل هو ما ينشب فيه يقال أقفل فأفرش
(قوله إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة) فى الصحاح وتقول آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته

نَفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن

قصدت العموم وأنّ كل من أراد بأهلك سوءاً لحقه أن يسجن أو يعذب لأنّ ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف ۞ وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عمّ لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالساً مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان فى الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبياً فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ۞ (فإن قلت) لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدّى مؤدى الشهادة فى إن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة (فإن قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال إن كان قميصه ۞ (فإن قلت) إن دل قدّ قميصه من دبر

۞ قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال إن قلت لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد مهما قدّره من ذلك فى اتباعه لها يحتمل مثله فى اتباعها له فإنها إنما تقدّ قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل إذا كانت هى التابعة أن تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين ثم جذبت قميصه إليها من قبل بل ههنا أظهر لأن الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع ۞ عاد كلامه (قال والثانى أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فينقد) قال أحمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هى التابعة وهو فارمنها فانقد قميصه فى إسراعه للفرار والله أعلم فليس كلام الزمخشرى فى هذا الفصل بذاك والحق والله ولى التوفيق أنّ الشاهد المذكور إن كان صبيا فى المهد كما ورد فى بعض الحديث فالآية فى مجرّد كلامه قبل أوانه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد إخبار عيسى عليه السلام فى المهد برهانا على صدق مريم فلا تبقى المناسبة بين الأمارة المنصوبة وما رتب عليها لأنّ العمدة فى الدلالة نصبها لا مناسبتها وإن كان الشاهد بعض أهلها كان فى الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له وإقامة الحق كما ذكر الزمخشرى فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر فنصبه أمارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قدّه من قبل على علم بأنه لم ينقد من قبل حتى ينفى عن نفسه التهمة فى الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعا فيذكر أمارة على صدقها المعلوم نفيه كما ذكر أمارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم أمارة صدقها على أمارة صدقه فى الذكر إزاحة للتهمة ووثوقا بأن الأمارة الثانية هى الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله أعلم هو التى راعاها مؤمن آل فرعون فى قوله وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فقدم قسم الكذب على قسم الصدق إزاحة للتهمة التى خشى أن تتطرق إليه فى حق موسى عليه السلام ووثوقا بأن القسم الثانى وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تأخيره فى الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذى يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بأنه معهم عليه وأنه حريص على أن يبخسه حقه وبنحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه لأنه لو بدأ به لفطنوا أنه هو الذى أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فقصد هذا الشاهد الأمارة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الأمارة الأولى فليست مقصودة وإنما ذكرها توطئة كما تقدّم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين وإنما هى كالفرض والتقدير والله أعلم وكأنه قال إن كان قميصه قدّ من قبل فهى صادقة لكنه يعلم انتفاء الأمارة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجود قدّه من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق ۞ وأما إن كان الشاهد الحكيم الذى كان الملك يرجع إليه ويستشيره كما ورد فى بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة فى الطرفين لأنها عهدة الحكيم وأقرب وجه فى المناسبة

دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ

على أنها كاذبة وأنها هى التى تبعته واجتبذت ثوبه إليها فقدّته فمن أين دل قدّه من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما أنه إذا كان تابعها وهى دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثانى أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر فى مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبى إسحاق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين (فإن قلت) كيف جاز الجمع بين إن الذى هو للاستقبال وبين كان (قلت) لأنّ المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قدّ ونحوه كقولك إن أحسنت إلىّ فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه تريد أن تمتن علىّ أمتن عليك (فلما رأى) يعنى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه) إن قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوأ أو أنّ هذا الأمر وهو طمعها فى يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولأمتها ۞ وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان فى الرجال إلا أنّ النساء ألطف كيداً وأنفذ حيلة ولهنّ فى ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى «ومن شرّ النفاثات فى العقد» والقصريات من بينهنّ معهنّ ماليس مع غيرهنّ من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأنّ الله تعالى يقول «إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً» وقال للنساء «إنّ كيدكنّ عظيم» (يوسف) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الأمر واكتمه ولا تحدّث به (واستغفرى) أنت (لذنبك إنك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين الذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمداً وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليباً للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكنّ خمساً امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج ۞ مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

أن قد القميص من دبر دليل على إدباره عنها وقدّه من قبل دليل على إقباله عليها بوجه والله أعلم ۞ قوله تعالى إنه من كيدكن إنّ كيدكنّ عظيم (قال الضمير راجع إلى قولها ماجزاء من أراد بأهلك سوأ الخ) قال أحمد وفيما قاله هذا العالم نظر لأنّ الآية التى ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكى وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه وأيضا فإن كيد الشيطان مذكور فى الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة إليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً وأيضاً فإنّ الكيد الذى يتعاطاه النساء وغيرهنّ مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهنّ أعظم من كيده والله أعلم

(قوله وقرئا) أى: قبل ودبر، قوله بسكون العين: أى الباء (قوله فى ذلك نيقة ورفق) النيقة اسم للتأنق فى الأمر. أفاده الصحاح (قوله مع غيرهنّ من البوائق) أى الدواهى أفاده الصحاح

لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال ◦ كما شعف المهنوءة الرجل الطالى ◦
و (حبا) نصب على التمييز (فى ضلال مبين) فى خطإ وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكراً لأنه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرّها فأفشينه عليها (أرسلت إليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشىء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر فى أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات فى أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل ◦ فظللنا بنعمة واتكأنا ◦ وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحزّ حزّا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين ◦ وقرئ متكاً بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكأ وهو الأترج وأنشد ◦ فأهدت متكة لبنى أبيها ◦ تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التى ذكرها أبو داود فى سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزاً وبطيخاً وقيل أعتدت لهن ما يقطع من متك الشىء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ إذا اتكأ (أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف إذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ◦ فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق

(قطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها ◦ حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال ◦ حاشا أبى ثوبان إن به ◦ ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهى قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان

(قوله إذا هنأه فأحرقه بالقطران) فى الصحاح هنأت البعير إذا طليته بالهناء وهو القطران
(قوله يدهشن ويبهتن عند رؤيته) يدهشن يتحيرن أفاده الصحاح (قوله اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية) لعله أى طعمنا (قوله تخب بها العثمثمة الوقاح) الخبب ضرب من العدو والعثمثمة الشديدة والوقاح الصلبة أفاده الصحاح (قوله وقيل الزماورد) الزماورد الرقاق المحشو باللحم

حَشَ لِلَّهِ مَاهَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِ

من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبى السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبى عمرو حاش لله بحذف الألف الآخرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تبعت الألف فى الإسقاط وهى ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله (فإن قلت) فلم جاز فى حاشا لله أن لاينون بعد إجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لأصله الذى هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى فى قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماهذابشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز فى الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لاأقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه فى الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز فى الطباع أن لاأدخل فى الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ماعليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم فى كل باب وإعمال ماعمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ماهن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع وهى فى قراءة ابن مسعود وقرئ ماهذا بشرى أى ماهو بعبد مملوك لئيم (إن هذا إلا ملك كريم) تقول هذا بشرى أى حاصل بشرى بمعنى هذا مشرى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هى الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربأ بحاله واستبعاداً لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به ۞ الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه

۞ قوله ماهذا إلا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال أحمد تقدم القول فى مسئلة التفضيل شافياً والزمخشرى لايدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات يرمى بها أهل الحق فينسب إليهم الإجبار والخسار والمكابرة فى الضروريات وجحد الحقائق تعكيساً وهذا كله هم برآء منه وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه فى اعتقاد أن تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقلياً نظريا ولكن سمعياً وقد قنع فى الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التى ادعى أنها مركوزة فى الطباع ثم حكم بأن كل مركوز فى الطباع حق وخصوصاً والكلام فى طباع النساء القائلات ماهذا بشرا وإذا كان كل مركوز فى الطباع حقاً فما ركز فيها حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز فى الطباع أفيكون ذلك حقاً إلا عند ناظر بعين الهوى أعشى فى سبيل الهدى والله ولى التوفيق ۞ قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتننى فيه (قال لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أجبت عما أورده من السؤال فى قوله تعالى أول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال إن قلت كيف أشار إليها وهى قريبة كما يشار إلى البعيد وأجاب هو بأن كل متقض بعيد وأجبت أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى

(قوله معرب على أصله وعلى فى قوله غدت) عطفه يحتاج إلى تكلف أى وإلى قوله غدت من عليه بعد ماتم ظمؤها كيف ترك على فى قوله ويمكن أن التقدير ألا ترى إلى قولهم الخ وعلى فى قوله أى وألا ترى على الخ (قوله إلا ماعليه الفئة الخاسئة) يريد أهل السنة وقد أساء فى تعصبه للمعتزلة فعفا الله عنه (قوله ليس هى اللغة القدمى الحجازية) بمعنى القديمة لكن لم يذكرها فى الصحاح

فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّـٰغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَـٰهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ

استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب ؛ وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء أبور منه على أنه برىء مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان ۞ (فإن قلت) الضمير فى (آمره) راجع إلى الموصول أم إلى يوسف (قلت) بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار فى قولك أمرتك الخير ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمرى إياه أى موجب أمرى ومقتضاه ۞ قرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لأن النون كتبت فى المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا فى الخفيفة ۞ وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعوننى) على إسناد الدعوة اليهن جميعاً لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له إياك وإلقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلى من ركوب المعصية (فإن قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة (قلت) كانت أحب اليه وآثر عنده نظراً فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل واحدة منهما لا نظراً فى مشتهى النفس ومكروهها (وإلا تصرف عنى كيدهن) فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لأن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنها الصبا لأن النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح ۞ وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله وإلا تصرف عنى فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى ليسجننه والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه فى يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها فى سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها فى أن يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ۞ مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (إنى أرانى) يعنى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمراً) يعنى عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين

(قوله لزوجها وفتلها منه فى الذروة) أى دورانها من وراء خديعته أفاده الصحاح (قوله رقى اليه أنهما يسمانه) فى الصحاح رقى اليه الكلام ترقية أى رفع اليه

إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

يحسنون عبارة الرؤيا أى يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالاله ذلك أومن العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس ماعلما به أنه عالم أومن المحسنين إلى أهل السجن ، فأحسن الينا : بأن تفرج عنا الغمة بتأويل مارأينا إن كانت لك يد فى تأويل الرؤيا روى أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا أضاق أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا اصبروا تؤجروا إن لهذا لأجراً فقالوا بارك الله عليك ماأحسن وجهك وماأحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن لواستطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك فكن فى أى بيوت السجن شئت وروى أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لاتحبانى فوالله ماأحبنى أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى أنهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابى إنى أرانى فى بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز إنى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها ۝ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله نبأتكما بتأويله (قلت) إلى ماقصا عليه والضمير يجرى مجرى اسم الإشارة فى نحوه كأنه قيل نبأتكما بتأويل ذلك ۝ لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هوفوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ماهو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه (ذلكما) إشارة لهما إلى التأويل أى ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات (مما علمنى ربى) وأوحى به إلى ولم أقله عن تكهن وتنجم (إنى تركت) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى إلى لأنى رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهى الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لايؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ماهم عليه من الظلم والكبائر التى لايرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد مارأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك مالا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبى يوحى اليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى الاستماع إليه واتباع قوله (ما كان لنا) ماصح

(قوله فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب) فى الصحاح الحبلة بالضم ثمر العضاه وفيه العضاه كل شجر يعظم وله شوك والحبلة بالتحريك القضيب من الكرم وفيه أيضا سلة الخبز معروفة (قوله ووصفاه بالإحسان افترص ذلك) أى اتخذه فرصة أى نوبة وحظا ونصيبا أفاده الصحاح

لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

لنا معشر الأنبياء (أن نشرك بالله) أى شىء كان من ملك أو جنى أو إنسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أى على الرسل وعلى المرسل اليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم اليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التى ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (ياصاحبى السجن) يريد ياصاحبى فى السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول ياسارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك ياصاحبى الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهم صحباك ويجوز أن يريد ياساكنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق فى العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (ماتعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (إلا أسماء) يعنى أنكم سميتم مالا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أى بتسميتها (من سلطان) من حجة (إن الحكم) فى أمر العبادة والدين (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذى دلت عليه البراهين (أما أحدكما) يريد الشرابى (فيسقى ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى أنه قال للأول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضى الأمر) قطع وتم ما (تستفتيان) فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا فى أمر واحد بل فى أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه فى معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه فى الأمر الذى نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضى الأمر الذى فيه تستفتيان أى ما يجر إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأيا شيئا على ما روى أنهما تحالماله فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما (ظن أنه ناج) الظان هو يوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى وينتاشنى من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابى (ذكر ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الإنساء (قلت) يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشىء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۝ قَالُوٓا

الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عز وجل" ماننسخ من آية أو ننسها (فان قلت) ماوجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وماهى إضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول (قلت) قد لابسه فى قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجارت إضافته إليه لأن الإضافة تكون أدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه فحذف المضاف الذى هو الإخبار (فإن قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصارى إلى الله وفى الحديث الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالى وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوى بالأدوية والتقوى بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك لأن الملك كان كافرا فلا خلاف فى جواز أن يستعان بالكفار فى دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن والأولى بالنبى أن لا يكل أمره إذا ابتلى ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكى إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ۝ لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان قلت) هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمان (قلت) إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن ۝ (فان قلت) هلا قيل سبع عجاف على الإضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت) الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز فى غيرها ألا تراك لا تقول عندى ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ (فان قلت) ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذى ليس بعده والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض ۝ (فإن قلت) هل فى الآية دليل على أن السنبلات اليابسات كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصبابه إلى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (فإن قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدى إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أن تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضى أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (ياأيها الملأ) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء ۝ واللام فى قوله (الرؤيا) إما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها كما

أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا

يعضدها اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه و (تعبرون) خبر آخر أو حال وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الأعراب   رأيت رؤيا ثم عبرتها ۞ وكنت للأحلام عبارا
(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام والمعنى هى أضغاث أحلام (فإن قلت) ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وماله إلا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الأحلام بنحارير قرئ (وادكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة والأصل تذكر أى تذكر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك وقرأ الأشهب العقيلى بعد إمة بكسر الهمزة والأمة النعمة قال عدى
ثم بعد الفلاح والملك والأمـ ۞ ـة وارتهم هناك القبور
أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمة بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله (فأرسلون) فابعثونى إليه لأسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة ۞ المعنى فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البالغ فى الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال (لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) لأنه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم

۞ قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين (قال يحتمل أن يكون مرادهم الأحلام المنامات الخ) قال أحمد وهذا هو الظاهر وحمل الكلام على الأول يصيره من وادى ۞ على لاحب لا يهتدى بمناره ۞ كأنهم قالوا ولا تأويل للأحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم أولا إن كنتم الرؤيا تعبرون دليل على أنهم لم يكونوا فى علمه عالمين بها لأنه أتى بكلمة الشك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا لشك الملك الذى أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين

(قوله فلو قلت عنده سبعة رجال) لعله عندى (قوله آخر عرضه وهو عبره ونحوه) فى الصحاح عبر النهر وعبر شطره وجانبه (قوله وأنهم ليسوا فى تأويل الأحلام بنحارير) جمع نحرير وهو العالم المتقن كما فى الصحاح (قوله قرئ بعد أمة بعد نسيان) لعله أى بعد (قوله ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ) بمعنى أثم من الخطإ بالكسر وهو الإثم أفاده الصحاح

قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ

فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر فى معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وإنما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى إيجاب إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الأمر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين إمّا على تدأبون دأبا وإمّا على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوّس و (يأكلن) من الإسناد المجازى جعل أكل أهلهنّ مسند إليهنّ (تحصنون) تحرزون وتخبؤن (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه قول الأعرابية غثنا ماشئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان إمّا أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدّى تعديته وإمّا أن يقال الأصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأنّ العام الثامن يجيء مباركا خصيباً كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة (فإن قلت) معلوم أنّ السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قلت إن علم ذلك من جهة الوحى (قلت) ذلك معلوم علماً مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحى ۞ إنما تأنى وتثبت فى إجابة الملك وقدّم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكفّ شرّه وفيه دليل على أنّ الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارّين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة

بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله إلى قوله لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون دليل أيضا على ذلك والله أعلم ۞ قوله تعالى « فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهنّ إنّ ربى بكيدهنّ عليم » (قال محمود إنما تأنى وتثبت فى إجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحمد ولقد مدحه النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الأناة بقوله ولو لبثت فى السجن بعض ما لبث يوسف لأجبت الداعى وكان فى طى هذه المدحة بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق إلى الوهم من أنه همّ بزليخا هما يؤاخذ به لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع أنّ الدواعى متوفرة على الخروج منه فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر والله أعلم ۞ عاد كلامه قال وإنما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهنّ ولم يكشف له عن القصة ولا أوضحها له لأنّ السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك والله الموفق

(قوله ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق) اتهم به والتسلق التوسل

رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۞ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْـٰٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَآئِنِينَ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ

وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر إن كان الحليما ذا أناة وإنما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل ۞ وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ماصنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (إن ربى) إن الله تعالى (بكيدهن عليم) أراد أنه كيد عظيم لايعلمه إلا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه برىء مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شأنكن (إذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شىء من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته ۞ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشىء مما قرفنه به لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق فى فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أى ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (أنى لم أخنه) بظهر الغيب فى حرمته ۞ ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفى عن عينه أو وهو غائب عنى خفى عن عينى ويجوز أن يكون ظرفا أى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها وبه فى خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا لأمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ۞ ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الأمانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله

۞ قوله تعالى قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (قال لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتتبع الآى المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية إلى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا فى قصة يوسف عليه السلام أنه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وإن الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا أنى أخاف الله فلا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فإن كان الزمخشرى يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم وإن كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة فشأنه وإياهم ۞ عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى إن ذلك الجد فى ظهور البراءة ليعلم الخ) قال أحمد وإرادته لعموم الأحوال أدخل فى تنزيهه وأدل على أن الغرض بهذا

(قوله وقص الحديث حتى يتبين له براءته) فى الصحاح نص الأمر مفصله (قوله ألقى ثفناته للإناخة) هى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما كذا فى الصحاح (قوله وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق فى فروة) يريد أهل السنة وقوله نحن قد بقى لنا الخ يعنى أن حالهم فى تفسير الهم والبرهان يمثل بذلك والفروة جلدة الرأس (قوله ومحل بالغيب الحال من الفاعل) لعله محل الحال أو النصب على الحال

لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

صلى الله عليه وسلم أنا سيدولد آدم ولافخر وليبين أن مافيه من الأمانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل وما أشهدلها بالبراءة الكلية ولاأزكيها ولايخلو إما أن يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لاعن طريق القصدو العزم وإما أن يريد عموم الأحوال (إن النفس لأمارة بالسوء) أراد الجنس أى إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (إلا مارحم ربى) إلا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون مارحم فى معنى الزمان أى إلا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت وأوان إلا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعا أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الإساءة كقوله ولاهم ينقذون إلا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم أنى لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فإنى قد خنته حين قرفته وقلت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إن ربى غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فإن قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولادليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولاحين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولاحين حللت تكة سراويلك يايوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله ۞ يقال استخلصه واستخصه إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) أيها الصديق (إنك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على

الكلام التواضع منه التبرى من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت الخ) قال أحمد وإنما يجرى الكلام على هذا الوجه إذا ألجأ إليه محوج كقوله فماذا تأمرون إذلا يمكن جعله من قول الملأ بوجه فتعين أن يصرف الضمير عنه إلى فرعون وأما هذه الآية فهى تتلو قوله وإنه لمن الصادقين إلى ماقبل ذلك من الضمائر العائدة إلى يوسف عليه السلام قطعاً ولاضرورة تدعو إلى حمل الضمير فى ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفى سياق الآية مايرشد إلى أن هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد فى السجن لم يحضر إلى الملك وأنه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ۞ عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال أحمد ولقد صدق فى التوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقاً أن الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت فى رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم فى أنه طلب لهم محالا فى العقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

(قوله فإنى قد خنته حين قرفته) أى اتهمته (قوله دليلا قائداً إلى أن يجعل) أى مؤدياً (قوله ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة) يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيمامر (قوله وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله) أى اتهامهم بما لم يفعله أفاده الصحاح

فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ

كل شيء وروى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار ولاتعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار فى الوافعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إنى أحب أن أسمع رؤياى منك فقال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لايخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الأهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لأحد قبلك (اجعلنى على خزائن الأرض) ولنى خزائن أرضك (إنى حفيظ عليم) أمين أحفظ ماتستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللذين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لايقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لالحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة (فإن قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعاله وتحت أمره وطاعته (قلت) روى مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبى أو العالم أنه لاسبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولايعترض عليه فى كل مارأى فكان فى حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) فى أرض مصر روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرئ بالنون والياء أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه وروى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى أنه قال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولالباس آبائى فقال قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين إفرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله مارأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فماترى قال الرأى رأيك قال فإنى أشهد الله وأشهدك أنى أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لايبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ۝ وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ماأصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولانضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى

(قوله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى) عبارة النسفى البلواء (قوله ولبس ثيابا جددا فلما دخل) فى الصحاح جديد وجدد كسرير وسرر (قوله أن تجمع الطعام فى الأهراء) كذا عبارة النسفى أيضا ولكنه ليس فى الصحاح بل الذى فيه هرأه البرد يهرأه هرأ أى اشتد عليه حتى كاد يقتله وهرئ المال وهرئ القوم فهم مهرؤون اه فأصل الاهراء مواضع يشتد فيها البرد

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۞ قَالُوا سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن

الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية ۞ لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزىّ ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زىّ فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) أى أصلحهم بعدتهم وهى عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) لابد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما شأنكم فإنى أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبى من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذى تقولون حق قالوا إننا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فإن لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهى (سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وإنا لفاعلون) وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لامحالة لا نفرط فيه ولا نتوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة وإخوان فى أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أى لغلمانه الكيالين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها (منع منا الكيل) يريدون قول يوسف

۞ قوله تعالى وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال إنما أنكروه لبعد العهد وتغيير الصورة الخ) قال أحمد وتوارد القادمين فى دخولهم عليه ومعرفته لهم عند ذلك تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة

(قوله وقيل رأوه على زىّ فرعون) إن أريد فرعون موسى فلم يكن قد وجد وعبارة الخازن زىّ ملوك مصر عليه ثياب

قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ *

فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام مانحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم فى يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فارجوا أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين * وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما فى قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد (ما نبغى) للنفى أى ما نبغى فى القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبتغى شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أى شىء نطلب وراء هذا وفى قراءة ابن مسعود ما تبغى بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أى شىء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى إن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا إلى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شىء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا فأى شىء نبتغى وراء هذه المباغى التى نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وإنما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فإن قلت) هذا إذا فسرت البغى بالطلب وأما إذا فسرته بالكذب والتزيد فى القول كانت الجملة الأولى وهى قوله هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقى (قلت) أعطفها على قوله ما نبغى على معنى لا نبغى فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغى أن نمير أهلنا كما تقول سعيت فى حاجة فلان واجتهدت فى تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغى لى أن لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغى وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون فى رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أى ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لأخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أى ذلك الكيل شىء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شىء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالى وقد رأيت منكم ما رأيت

بلا مهلة والله أعلم * قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه أن إرساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن للنفى المؤكد وأما قول الزمخشرى فى المنافاة له فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قل كلامه علما وذلك أنه اعتمد فى إحالة الرؤية على الله تعالى على أن قوله تعالى لن ترانى معناه أن الرؤية منافية لحالى وجعل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك فى هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد

(قوله كقوله ذلك ليعلم) هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب لأن المعنى يؤدى اليه كما جاز فى قوله تعالى ذلك

وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ

إرساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحالف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله فى ذلك فهو إذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (إلا أن يحاط بكم) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به او إلا أن تهلكوا (فإن قلت) أخبرنى عن حقيقة هذا الاستثناء فيه إشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذى هو قوله لتأتننى به فى تأويل النفى معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أى لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهى أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا فى النفى وحده فلا بد من تأويله بالنفى ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفى قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق وإعطائه (وكيل) رقيب مطلع ۞ وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم فى الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق فى الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فإن قلت) هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشىء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله فيقول الحشوى هو أثر العين كما قال تعالى « وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغنى عنكم من الله من شىء) يعنى إن أراد الله بكم سوأ لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا لله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة

عليه فى ذلك ۞ عاد كلامه (قال وقوله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان الخ) قال أحمد وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفى لأن المستثنى منه مسكوت عنه والنفى عام إذ يلزم من نفى الإتيان مثلا نفى جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الإتيان فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال لأنه لا يتوقف إلا على أحدها والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فإن يعقوب عليه السلام قال أولا فى حق يوسف وأخاف أن يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال ههنا ثانيا إلا أن يحاط بكم أى تغلبوا عليه فابتلى أيضا بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه

ليعلم كونه من كلام يوسف لأن المعنى يقود اليه فتدبر (قوله كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم) فى الصحاح الشارة اللباس والهيئة وفيه اشتهر الأمر أى وضح ولفلان فضيلة اشتهرها الناس (قوله ليتميز المحققون من أهل الحشو) إن كان مراده أهل السنة فهم يقولون تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات كربط النار بالإحراق فالسبب مؤثر فى الظاهر والله هو الفاعل فى الحقيقة قال النسفى وأنكر الجبائى العين اه وهو من مشايخ المعتزلة

اللّٰهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ

على أبيهم (إلا حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم وإظهارها بما قالهلم ووصاهم به (وإنه لذو علم) يعنى قوله وماأغنى عنكم وعلمه بأن القدر لايغنى عنه الحذر (آوى إليه أخاه) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالواله هذا أخونا قدجئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيداً فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثانى له فيكون معى فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولاراحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له (إنى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولاتعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه وعن وهب إنما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلاتبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروى أنه قال له فأنا لاأفارقك قال قدعلمت اغتمام والدى بى فإذا حبستك ازداد غمه ولاسبيل إلى ذلك إلاأن أنسبك إلى مالايجمل قال لاأبالى فافعل مابدالك قال فإنى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك قد سرقته ليتهيألى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (السقاية) مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هى المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك ۞ والعير الإبل التى عليها الأحمال لأنها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به مافعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله ياخيل الله اركبى ۞ وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن ۞ وقرأ أبوعبدالرحمن السلمى تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا ۞ وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا لقدعلمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا أفواه رواحلهم مكعومة لئلاتتناول زرعاأوطعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها

(قوله فعل به مافعل ببيض وعبد) لعله وغبد بإعجام الغين وهو جمع غبداء أى ناعمة أوأغبد بمعنى وسنان مائل العنق كذا فى الصحاح فليحرر لفظ المصنف (قوله وأفواه رواحلهم مكعومة) يقال كعمت البعير إذا شددت فمه بالكعام وهو شىء يجعل فى فم البعير عند هياجه كذا فى الصحاح

فِى الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۞ قَالُوا فَمَا جَزَٰٓؤُهُ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ۞ قَالُوا جَزَٰٓؤُهُ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ ۞ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۞

فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهى منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (إن كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لاغير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أى فهو حقه لتقرر ماذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثانى إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أى المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ماقتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ماأظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لانتركه حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه ۞ وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة (فإن قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه (قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل به منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعنى علمناه إياه وأوحينا به إليه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لأنه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (إلا أن يشاء الله) أى ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وعلا (فإن قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً فمن أى وجه حسن هذا الكيد وماهو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم كاذبين (قلت) هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله إن كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لايكون تكذيباً على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثاً ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم عليه السلام هى أختى لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة إليها فكانت حسنة

(قوله من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ) سيذكر أن حكم السارق فى دين ملك مصر أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (قوله ثم يقول ومن قتله منكم) لعله من بدون واو

قَالُوٓا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُوا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ۞ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ

جبلة و ازاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخ له) أرادوا يوسف روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا ما الذى صنعت فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم ۞ واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ فى صباه صنما لجدّه أبى أمه فكسره وألقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لى سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرّها) إضمار على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شرّ مكانا) وإنما أنث لأنّ قوله أنتم شر مكانا جملة أوكلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسرّ الجملة أو الكلمة التى هى قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا لأنّ قوله قال أنتم شر مكانا بدل من أسرّها وفى قراءة ابن مسعود فأسرّه على التذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة فى السرق لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم أنه لم يصح لى ولا لأخى سرقة وليس الأمر كما تصفون ۞ فاستعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب وإنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأنّ بنيامين أحب إليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه ثكلان وأنه مستأنس بأخيه (فخذ أحدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد (إنا نراك من المحسنين) إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه إنّ الله أمرنى وأوحى إلىّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو أخذت غير من أمرنى بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله (أن نأخذ) نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من و (إذا) جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا (استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مرّ فى استعصم ۞ والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف ويجوز أن يقال هم نجى كما قيل هم صديق لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية قال ۞ إنى إذاً ما القوم كانوا أنجيه ۞ ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أىّ صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا إلى التشاور (كبيرهم)

(قوله قد هلك وهو عليه ثكلان) أى حزين أسيف على فقد ولده (وإذاً جواب لهم وجزاء) أى لقولهم خذ أحدنا مكانه

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۝ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى

فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا (مافرطتم فى يوسف) فيه وجوه أن تكون ماصلة أى ومن قبل هذا تصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أن أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وأن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا مافرطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الأرض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق ۝ وقرئ سرق أى نسب إلى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شىء أبين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للأمر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع فى رحله ولم يشعر (القرية التى كنا فيها) هى مصر أى أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء ۝ معناه فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم ف(قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه

۝ قوله تعالى وماشهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وماشهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمناه من سرقته الخ) قال أحمد إما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشىء بيد المدعى عليه بعد إنكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره إذ او إما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده فى رحله لا يوجب علم كونه سارقاً وغايته أن يفيد ظناً بيناً فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيها على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الأمر الموجب للعلم فليسوا يدعونه عليه ۝ عاد كلامه (قال وقولهم وما كنا للغيب حافظين) معناه وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ) قال أحمد وإنما تلتئم القراءتان على التأويل الذى ذكرته وهو أنهم إنما أضافوا اليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لأن مقتضى الأولى الجزم عليه بالسرقة علما ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله أعلم ۝ قوله تعالى بل سولت لكم أنفسكم أمرا (قال معناه إن هذا شىء أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشرى إسلاف جواب عن سؤال كأن قائلا يقول هم فى الوقعة الأولى سولت لهم أنفسهم أمراً بلا مراء وأما فى هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا فى حق بنيامين سوأ ولا أخبروا أباهم إلا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر إلا مغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانياً بل سولت لكم أنفسكم أمرا كما قال لهم أولا وإذا ورد السؤال على هذا التقرير فلا بد من زيد بسط فى الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمن باتهامه لما أسلفوه فى حق يوسف عليه السلام

عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

وروبيل أو غيره (إنه هو العليم) بحالى فى الحزن والأسف (الحكيم) الذى لم يبتلى بذلك إلا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (ياأسفى) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين لفظتى الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون من سبإ بنبإ وعن النبى صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألاترى إلى يعقوب حين أصابه ماأصابه لم يسترجع وإنما قال ياأسفى (فإن قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادى أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده ولأن الرزء فى يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتبت عليها الرزايا فى ولده فكان الأسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا ۞ قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام مابلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وماساء ظنه بالله ساعة قط (فإن قلت) كيف جاز لنبى الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الإنسان مجبول على أن لايملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لايخرج إلى مالايحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول مايسخط الرب وإنا عليك ياإبراهيم لمحزونون وإنما الجزع المذموم مايقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يارسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال مانهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له فى ذلك فقال مارأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولايظهر مايسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكظم

وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهى أخذ الملك له فى السرقة ولم يكن ذلك إلا من دين يعقوب وحده لامن دين غيره من الناس ولامن عادتهم وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم أن الملك إنما فعل ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا ليتخلف أخوهم وكان الواقع أنهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة فذكروا ماعندهم ولم يشعروا أن المقصود إلزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لاحرج فيه وخصوصا فيما يرجع إلى الوالد من الولد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذى سوغ له هذا القول فى حقهم أنهم جعلوا بمجرد وجود الصواع فى رحل من يوجد فى رحله سرقة من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا فى شرعنا لايثبت السرقة على من ادعيت عليه فإن كان شرعهم مثل شرعنا فى ذلك ففتواهم إذاً غير محررة وهو إشعار بأنهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم وقوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا واقع بمكانه من حالهم وإن كان شرعهم يقتضى ذلك مخالفا لشرعنا فالعمدة على الجواب الأول والله المستعان

(قوله فهو مملوء من الغيظ) أى الغضب الكامن أفاده الصحاح (قوله على أولاده ولايظهر مايسوؤهم) أى لما صنعوا بيوسف وأخيه

أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ

بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه (تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه ۞ فقلت يمين الله أبرح قاعدا ۞ ومعنى لا تفتؤا لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتىء يفعل قال أوس: فما فتئت خيل تثوب وتدعى ۞ ويلحق منها لاحق وتقطع (حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف جاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب ۞ البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أى ينشره ومنه باثه أمره وأبثه إياه ومعنى (إنما أشكو) إنى لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربى داعيا وملتجئا إليه فخلونى وشكايتى وهذا معنى توليه عنهم أى فتولى عنهم إلى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جاره فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت من السن مابلغ أبوك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من همّ يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكونى إلى خلق قال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرلى فغفرله فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإنّ أحب خلقى إلىّ الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به أنه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حىّ فاطلبه ۞ وقرأ الحسن وحزنى بفتحتين وحزنى بضمتين قتادة (فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما فى الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أى من رحمته التى يحيا بها العباد (الضر) الهزال من الشدة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ماهو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (إن الله يجزى المتصدقين) شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التى تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علىّ إنّ الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذى يبتغى الثواب قل اللهم أعطنى أو تفضل علىّ أو ارحمنى (قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذى يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم

قوله تعالى قال هل علمتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون (قال أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الخ) قال أحمد ومن تلطفه بهم قوله إذ أنتم جاهلون كالاعتذار عنهم لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه

قبح (مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) لاتعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعنى هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم فى الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا لحق الله على نفسه فى ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفى العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا مايقتضيه العلم ولايقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان فى حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة روى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا فإن رددته علىّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فإن قلت) مافعلهم بأخيه (قلت) تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لايستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل العزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى * قرئ أئنك على الاستفهام وأنك على الإيجاب وفى قراءة أبىّ أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثانى عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فإن قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا فى روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ماشعروا به أنه هو مع علمهم بأن ماخاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ماعرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء * (فإن قلت) قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه

أسهل من فعله على علم وهم لو ضربوا فى طرق الاعتذار لم يلفوا عذرا كهذا ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضرّ وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادّوا اليه كتابا من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أمّا بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أمّا جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى إلى النار ليحرق فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأمّا أبى فوضعت المدية فى قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلىّ فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمّه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا فان رددته علىّ وإلا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر.

(قوله وينفث المصدور ويتشفى المغيظ) المصدور الذى يشتكى صدره والمحنق المغيظ والموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه كذا فى الصحاح (قوله ما أوطأها وأسجحها ولله حصا عقولهم) أى ما أسهلها وما أرفقها أفاده الصحاح وفيه فلان ذو حصاة أى ذو عقل ولب فحصا عقولهم إضافة بيانيه (قوله ولايقدم عليه إلا جاهل) لعله عطف على المعنى لأنّ قوله لم يفعلوا الخ بمعنى فعلوا ما لايقتضيه العلم (قوله قلت تعريضهم للغم والثكل) لعله تعريضهم إياه للغمّ والثكل فقدان المرأة ولدها كما فى الصحاح والمراد هنا الحزن (قوله قلت رأوا فى روائه وشمائله) بالضم أى منظره أفاده الصحاح (قوله لاعن بعض إغراء مصر) جمع غرو أى غير مجرب أفاده الصحاح

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ

على أن أخاه كان معلوما لهم (قلت) لأنه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات (فإن الله لا يضيع) أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أى فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين ۞ وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (لاتثريب عليكم) لاتأنيب عليكم ولاعتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه (فإن قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لاأثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة مافرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم واليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ماترونى فاعلابكم قالوا نظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ماقال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لاتثريب عليكم فعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه وأرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس أنكم إخوتى وأنى من حفدة إبراهيم (اذهبوا بقميصى هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولاسقيم إلا عوفى (يأت بصيراً) يصر بصيراً كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيراً أو يأت إلىّ وهو بصير وينصره قوله (وأتونى بأهلكم أجمعين) أى يأتنى أبى ويأتنى آله جميعاً وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً (فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير (قال) لولد ولده ومن حوله من قومه

كما صبروا تظفر كما ظفروا (قال فإن قلت بم تعلق اليوم فى قوله لاتثريب عليكم اليوم الخ) قال أحمد وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه ألاترى إلى قولهم بعد ذلك ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين وقوله سوف أستغفر لكم ربى دل على أنهم كانوا بعد فى عهدة الذنب ولوكان متعلقا بيغفر الزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ بأخبار النبى الصديق ويحتمل أن يقال إنما أراد مغفرة مايرجع إلى حقه دون حق أبيه إذ الاثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

(قوله والتقريع إزالة الجلد والقرع) فى الصحاح القرع بالتحريك بثر أبيض يخرج بالنصال والتقريع معالجة الفصيل من القرع كأنه ينزع ذلك منه (قوله وهو حاف حاسر من مصر) أى لامغفر له ولادرع أفاده الصحاح

رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۞ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ

(إنى لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان ۞ والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياى لصدقتمونى (إنى ضلالك القديم) انى ذهابك عن الصواب قدما فى إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا) فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه (ألم أقل لكم) يعنى قوله إنى لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (إنى أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم) قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة وقيل ليتعرف حالهم فى صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا إلى أخيهم فأوحى إليه إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة مايغنى عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال إن الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل إن يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (آوى إليه أبويه) ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن أبى إسحق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق (فإن قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر (قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ۞ ثم قال لهم (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير (وخروا له) يعنى الإخوة الأحد عشر والأبوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر ۞ (فإن قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت)

(قوله كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه وأخته) عبارة النسفى باقية (قوله نزل لهم فى مضرب أو بيت) عبارة النسفى مضرب خيمة

رؤيى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطن بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴿ رب قد ءاتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموت والأرض أنت ولىّ فى الدنيا والأخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصلحين ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴿ وما أكثر

بالدخول مكيفاً بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن فى دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وأمنوا فى دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازى ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وإن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربى فى كلام يعقوب وما أدرى ما أقول فيه وفى نظائره (فإن قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت فى التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجداً يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجداً لله شكراً وهذا أيضا فيه نبوة ﴿ يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء إليه. وبه قال ﴿ أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ﴿ (من البدو) من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى يقال نزغه ونسغه إذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجىء على وجه الحكمة والصواب وروى أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلىّ وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بنىّ ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلىّ على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط اليه منى فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتنى وروى أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأى أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحداً وولد له إفرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم ﴿ من فى (من الملك) و (من تأويل الأحاديث) للتبعيض لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت ولىّ) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وبوصل الملك الفانى بالملك الباقى (توفنى مسلما) طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيراً كثيراً أحييت سننا وأمتّ بدعا وفى حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (فإن قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله ربّ

(قوله ليكونوا كلهم فيه شرعا واحداً) فى الصحاح الناس فى هذا الأمر شرع أى سواء يحرك ويسكن

النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ

كقولك أخا زيد حسن أو على النداء (ذلك) إشارة إلى ماسبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه إليك) خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب * وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يامكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضى الله عنه أراد أهل مكة أى وماهم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وماتسئلهم) على ماتحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار (إن هو إلا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها * وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والأرض بالنصب على ويطؤن الأرض يمرون عليها وفى مصحف عبدالله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد مايرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر (ومايؤمن أكثرهم) فى إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل مايغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلى) هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أى أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و(أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعنى) عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعنى ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع فى أنا ومن اتبعنى (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (إلا رجالا) لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل فى سجاح المتنبئة * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا * وقرئ نوحى إليهم بالنون (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة أو الحال الآخرة (خير الذين اتقوا) الذين خافوا

(قوله وأنزهه من الشركاء) لعله عن (قوله وقرئ نوحى إليهم بالنون) مبنيا للمعلوم فتكون القراءة الأصلية بالياء مبنيا للمجهول

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

سورة الرعد مدنية، وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ۝ وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لانصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ماوعدهم الله من النصر وقال كانوا بشراً وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن مايخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ماعليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة إما على تأويل ابن عباس وإما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم فى موعدهم ۝ قرئ فننجى بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا ۝ والمراد بـ (من نشاء) المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) الضمير فى (قصصهم) للرسل وينصره قراءة من قرأ فى قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته ۝ (فإن قلت) فإلام يرجع الضمير فى (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) إلى القرآن أى ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) أى قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شىء) يحتاج إليه فى الدين لأنه القانون الذى يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب مانصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذى بين يديه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لايحسد مسلماً

﴿سورة الرعد مختلف فيها وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تلك) إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة

۝ قوله تعالى حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا (قال معناه يئسوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم الخ) قال أحمد ولايلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر فى الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لاعن اخبار ووحى ۝ عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس أنه قال فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ اللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهٰرًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰوِرٰتٌ وَجَنّٰتٌ مِنْ أَعْنٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ الْأَغْلٰلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ

الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال (والذى أنزل اليك) من القرآن كله هو (الحق) الذى لامزيد عليه لاهذه السورة وحدها وفى أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و(والذى) خبره بدليل قوله وهو الذى مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ماتقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هى صفة لعَمَدٍ ويعضده قراءة أبى ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الأمر) يدبر أمر ملكوته وربوبيته (يفصل) آياته فى كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيراً وقرئ يغشى بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لاللشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعاً فى جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه ۞ وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة فى هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهى تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر فى الأشكال والألوان والطعوم الروائح متفاضلة فيها وفى بعض المصاحف قطعاً متجاورات على وجعل ۞ وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات ۞ وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفاً على أعناب أو جناتٍ ۞ والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بنى تميم وقيس (تسقى) بالتاء والياء (ونفضل) بالنون وبالياء على البنا للفاعل والمفعول جميعاً (فى الأكل) بضم الكاف وسكونها (وإن تعجب) يامحمد من قولهم فى إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ماعدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الإعادة أهون شىء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أئذا كنا) إلى آخر قولهم يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول وإذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفى خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم (وأولئك الأغلال فى أعناقهم)

ينظم بين القراءتين لأن ظان الأمم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

(قوله الأنمارية هم كالحلقة) أى فى أولادها (قوله وكريمة إلى زهيدة وصلبة) فى الصحاح واد زهيد قليل الأخذ للماء وأرض زهاد أى لاتسيل إلا عن مطر كثير

وأولـئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإنّ ربك لشديد العقاب ● ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ● الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل

وصف بالإصرار كقوله إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ونحوه ● لهم عن الرشد أغلال وأقياد ● أو هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن الصمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال وروى أنها لما نزلت قال النبى عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآية المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى ● فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت رجل أرسلت منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شيء بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة (ووجه آخر) وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان فى صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى إجابتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة لأجابهم اليه وأما على الوجه الثانى فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأى طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وأن يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه

﴿القول فى سورة الرعد﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ● قوله تعالى وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم الخ) قال أحمد والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد فى غير الموحد فإن ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه فى المشيئة والزمخشرى يبنى على عقيدته التى وضح فسادها فى استحالة الغفران لصاحب الكبائر وإن كان موحدا إلا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق ● قوله تعالى

(قوله بوزن السمرة والمثلة لما بين) عبارة النسفى والمثلة العقوبة لما بين الخ (قوله لما يقال السمرة والمثلات) لعله السمرة والسمرات (قوله جمع مثلة كركبة وركبات) فى الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات وركبات وركبات وفى هامشه عن مرتضى أى بسكون الكاف وضمها وفتحها والراء مضمومة فيهن (قوله ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا) أى سواء كذا فى الصحاح

شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝ لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

الأخير ثم ابتدئ فقيل (يعلم ماتحمل كل أنثى) وما فى ماتحمل وماتغيض وماتزداد إماموصولة وإمّا مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ماتحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصروغيرذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ماتغيضه الأرحام أى تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وماتزداده أى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقدتشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمّه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدّة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبى حنيفة وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك وقيل إنّ الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقى فى بطن أمّه أربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لايخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض مافى الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أنّ الفعلين غيرمتعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أوأقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغيرتمام والازدياد ماولد لتمام (بمقدار) بقدر وحدّلايجاوزه ولاينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الأرض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى أى طلب الخفاء فى مختبإ بالليل فى ظلمته ومن يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد (فإن قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهارحتى يتناول معنى الاستواء المستخفى والسارب وإلافقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان أحدهما أنّ قوله وسارب عطف على من هو مستخف لاعلى مستخف والثانى أنه عطف على مستخف إلاأن من فى معنى الاثنين كقوله ۝ تكن مثل من ياذئب يصطحبان ۝ كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار ۝ والضميرفى (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه وكلاءته والأصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأبه أوهو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأنّ بعضهم يعقب بعضا أولأنهم يعقبون مايتكلم به

سواء منكم من أسر القول ومن جهربه ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه إن قلت كان من حق الكلام أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد فمقتضى السؤال الذى أورده الزمخشرى أن تكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى ومقتضى ماأجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر وتحتمل الآية وجها آخر وهو أن يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هومستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقدتكرر الموصول فى الآية ثلاثا ومنه قوله تعالى وماأدرى مايفعل بى ولابكم والأصل ولامايفعل بكم وإلا كان حرف النفى دخيلا فى غير موضعه لأنّ الجملة الثانية لوقدرت داخلة

(قوله وتمام وخداج وحسن) فى الصحاح خدجت الناقة خداجا ألقت ولدها قبل تمام الأيام فهى خادج وهو خديج وأخدجت إذا جاءت به ناقص الخلق فهى مخدج وهو مخدج اه

مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ

فيكتبونه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة على رضى الله عنه وابن عباس وزيد بن على وجعفر ابن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من أمر الله أى من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين فى التكسير (إن الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (من وال) ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أى إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين أى خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى ۞ يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن فى جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد مالا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أى يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن على رضى الله عنه سبحان من سبحت له وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ماهو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله ۞ ذكر علمه النافذ فى كل شىء واستواء الظاهر والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة

فى صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهى موقع وإنما صحب فى الأول الموصول لا الصلة ومنه ۞ فمن يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء ۞ أى ومن يمدحه وينصره والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال فى معنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له الخ قال أحمد وحقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذى علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان فى علم الله أن النقمة تحل عليه لأن الله عز وجل يعلم مالا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شىء علما ۞ قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح أن يكون مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل الخ) قال أحمد أو مفعولا لهما على أن المفعول له فى مثل هذا الفعل فاعل فى المعنى لأنه إذا أراهم فقد رأوا والأصل وهو الذى يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا أى ترقبونه وتتراءونه تارة لأجل الخوف

(قوله الحرس والجلاوزة حول السلطان) فى الصحاح الجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة (قوله كالسحاب الجون) الجون الأبيض والأسود فهو من الأضداد والجمع جون بالضم كذا فى الصحاح (قوله ومن له بيت يكف) وكف البيت يكف قطر يقطر كذا فى الصحاح (قوله معه مخاريق من نار) فى الصحاح المخراق منديل يلف ليضرب به

ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ

ووحدانيته ثم قال (وهم) يعنى الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته (يجادلون فى الله) حيث ينكرون على رسوله مايصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهى رميم ويردّون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك إن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامراً بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الأعشى فرع نبع يهش فى غصن المجـ ـد غزير الندى شديد المحال

والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أى أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه فى قولك كلمة الحق الدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثانى أن تضاف إلى الحق الذى هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق (فإن قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهمّ اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشىء) من طلباتهم (إلا كباسط كفيه) إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن

وتارة لأجل الطمع والله أعلم ۞ قوله تعالى « له دعوة الحق » (قال محمود فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الخ) قال أحمد دسّ تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال لحجر واسعاً من لطف الله واستجابته أدعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التباسها بالمصلحة وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا إيقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها إلى بدعة وضلالة والله الموفق

(قوله بغدة كغدة البعير) فى الصحاح غدة البعير طاعونه (قوله يهش فى غصن المجد) فى الصحاح هششت الورق هشاً خبطته بعصا ومنه قوله تعالى وأهش بها على غنمى . وهششت إلى فلان هشاشة خففت إليه وارتحت له
(قوله ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار) فى الصحاح والمحالة أيضا الفقارة وفيه الفقارة واحدة فقار الظهر
(قوله اتصال هذين الوصفين بما قبله) عبارة النسفى واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله

إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ

يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جماد لايحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولايقدر على نفعهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه ۝ وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين (إلا فى ضلال) إلا فى ضياع لامنفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم (ولله يسجد) أى ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لايقدرون أن يمتنعوا عليه ۝ وتنقاد له (ظلالهم) أيضاً حيث تتصرف على مشيئته فى الامتداد والتقاص والفىء والزوال ۝ وقرئ بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا فى الأصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى إقراره تقريراً له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أى إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه (أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك (لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضراً) لايستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار و (خلقوا) صفة لشركاء يعنى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا اقدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لافرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على مايقدر عليه الخالق (قل الله

ء قوله تعالى ء أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء ء (قال أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الإنكار الخ) قال أحمد وفى قوله تعالى خلقوا كخلقه فى سياق الإنكار تهكم بهم لأن غير الله لايخلق خلقا البتة لابطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولابطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفى فى الإنكار عليهم أن الشركاء التى اتخذوها لاتخلق مطلقا ولكن جاء فى قوله تعالى كخلقه تهكم يزيد الإنكار تأكيداً والزمخشرى لايطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تسترعنه لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه ولكن لايخلقون كخلق الله لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض والعبيد لايخلقون سوى أفعالهم لاغير وفى قوله عز من قائل ء الله خالق كل شىء ء إلقام لأفواه المشركين الأولين ثم لأفواه التابعة لهم فى هذه الضلالة كالقدرية فإن الله تعالى بت هذه البتة أن كل شىء يصدق عليه أنه مخلوق جوهراً كان أو عرضا فعلا لعبيده أوغيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك إلاعند كل أثيم أفاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم فللأمر ما تقاصر لسان الزمخشرى عند هذه الآية وقرن شقاشقه والله الموفق

(قوله أى إن كعوا عن الجواب) أى امتنعوا جبناً أو احتبسوا أفاده الصحاح

زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَـٰطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَـٰبِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَـٰقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ

خالق كل شيء) لاخالق غيرالله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور ۞ هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الأوانى والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذى فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث فى الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء فى منافعه وتبقى آثاره فى العيون والبئار والجبوب والثمار التى تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب (فإن قلت) لم نكرت الأودية (قلت) لأن المطر لا يأتى إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (فإن قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذى عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطراً خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف (فإن قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة فى قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز فى النفع فى قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء فى ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء فى ذكر الآجر أو قدلى ياهامان على الطين ومن لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبداً رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل أى يرمى به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفى قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبى حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفار ۞ وقرئ يوقدون بالياء أى يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين و(الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ فى ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما فى حيزه و(سوء الحساب) المناقشة فيه وعن النخعى أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء ۞ دخلت همزة الإنكار على الفاء فى قوله (أفمن يعلم) لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (إنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (إنما يتذكر أولوا الألباب) أى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم

(قوله وبالفلز الذى ينتفعون به) فى الصحاح الفلز بالكسر وتشديد الزاى ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض اه فليحرر ولعله ما يبقيه الكير اه (قوله السيول الجواحف) فى الصحاح سيل جحاف بالضم إذا جرف كل شيء وذهب به

اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۞ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ

عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولى الألباب والأول أوجه وعهد الله ماعقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولاينقضون الميثاق) ولاينقضون كل ماوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ماأمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ماتعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أى يخشون وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه) الله لاليقال ماأصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولالئلا يعاب بالجزع ولالئلا يشمت به الأعداء كقوله ۞ وتجلدى للشامتين أريهم ۞ ولا لأنه لاطائل تحت الهلع ولامردفيه للفائت كقوله

ماإن جزعت ولاهلعـ ۞ ـت ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوى منها مابه كان حسنا عندالله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلافعل (مما رزقناهم) من الحلال لأن الحرام لايكون رزقا ولايسند إلى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لأنها فى السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام مايرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و(جنات عدن) بدل من عقبى الدار ۞ وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون

۞ قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لايكون رزقا ولايسند إلى الله تعالى) قال أحمد الحق إن لارازق إلاالله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما أنه لاخالق إلاالله هل من خالق غير الله فإذا اقتضى العقل والسمع جميعاً أن لارازق إلا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدرى الزاعم أن أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لأن الغالب الحرام وهومع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لايدعه ولاتكفه القوارع السمعية والعقلية وتردعه فبأى حديث بعدالله وآياته يؤمنون ۞ قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها الخ) قال أحمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والزمخشرى يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هى التى أرادها الله فهى الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبرعنها إلا بتقييد يفهمها كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشرى تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة مالم يقع ومشيئة مالم يكن مصادمة لما نطق الله به ألسنة حملة الشريعة ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وليس

(قوله لأن الحرام لايكون رزقا) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيكون رزقا كالحلال

يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۞ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۞ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ

فنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل ۞ وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول ۞ وقرأ ابن أبي عبلة صَلُحَ بضم اللام والفتح أفصح علم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة ۞ وآباؤهم جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قتيل من آبائهم وأمهاتهم (سلام عليكم) في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين ۞ (فإن قلت) بم تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله ۞ بما قد أرى فيها أوانس بدنا ۞ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه فى مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق) أى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك ۞ (فإن قلت) كيف طابق قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل إن الله يضل من يشاء) (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعاً للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية (ويهدى إليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل إلى الحق وحقيقته دخل فى نوبة الخير و(الذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ و (طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أى تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك ۞ والقراءة فى قوله

فى مجىء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الأصل باعتبار الإرادة ففعله الأصل باعتبار الأمر. ونحن نقول إن المؤدى إلى حمد العاقبة مأمور به والمؤدى إلى سوئها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الأصل والله الموفق.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم

وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيالك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ماقبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعنى أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فى أمة قدخلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم (الذى أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا إليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربى) الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (وإليه متاب) فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم (ولوأن قرآنا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أنى قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها (أوقطعت به الأرض) حتى تتصدع وتتزايل قطعاً (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله هذا يعضد مافسرت به قوله لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل أن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام إن كنت نبياً كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع فى يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام أوابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصى بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ومابينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا (بل لله الأمر جميعا) على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شىء وهو قادر على الآيات التى اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثانى بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (أفلم ييئس الذين آمنوا أن لويشاء الله) يعنى مشيئة الإلجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى أفلم ييئس أفلم يعلم قيل هى لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشىء عالم بأنه لايكون كما استعمل الرجاء فى معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحى

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ۝ ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييئس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لايصدق فى كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الإمام وكان متقلبا فى أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله

(قوله أن لويشاء الله يعنى مشيئة الإلجاء) هذا عند المعتزلة دون أهل السنة

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

المهيمنين عليه لايغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع والقاعدة التى عليها البناء وهذه والله فرية مافيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أوتحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتى وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أوتحل أنت يامحمد قريبا من دراهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ۞ الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان فى خفض وأمن كالبهيمة يملى لها فى المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم فى إشراكهم بالله يعنى أفالله الذى هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة أوطالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر مايقع خبرا للمبتدإ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذى يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) أى جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه) على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لى من زيد أم هو قل من أن يعرف ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء لايعلمهم فى الأرض وهو العالم بما فى السموات والأرض فاذا لم يعلمهم علم أنهم ليسو بشىء يتعلق به العلم والمراد نفى أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبؤن الله بما لايعلم فى السموات ولافى الأرض (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبؤنه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للإسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبى إسحاق وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه أنه لايهتدى (فماله من هاد) فماله من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى

قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه أتنبئونه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفى أنهم ليسوا بشركاء وأن الله لايعلمهم كذلك لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله إلا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن مجىء النفى على هذا السنن المتلو بديع لاتكنه بلاغته وبراعته ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وماهم بشركاء فلم يكن بهذا الموقع التى اقتضته التلاوة ۞ عاد كلامه (قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد عليها الخ) قال أحمد هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلا لأنه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وماأسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عماتحته لولا هذا التنبيه والإيقاظ والله أعلم

أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۞ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۞

الحياة الدنيا) وهو ماينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (ومالهم من الله من واق) ومالهم من حافظ من عذابه أو مالهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أى فيما قصصناه عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجرى من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ على رضى الله عنه أمثال الجنة على الجمع أى صفاتها (أكلها دائم) كقوله لامقطوعة ولاممنوعة (وظلها) دائم لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) يعنى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفى نجران وأشياعهما (من ينكر بعضه) لأنهم كانوا لاينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ماهو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع ۞ (فإن قلت) كيف اتصل قوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلىّ بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لايشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ۞ وقرأ نافع فى رواية أبى خليد ولاأشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لاأشرك به ويجوز أن يكون فى موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (إليه أدعو) خصوصا لاأدعو إلى غيره (وإليه) لا إلى غيره مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال ۞ كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلى إلى قبلتهم بعد ماحوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ماهو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلاينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه وأن لايزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان ۞ كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مالهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۞ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۞

مايقتضيه استصلاحهم (يمحو الله مايشاء) ينسخ مايستصوب نسخه ويثبت بدله مايرى المصلحة فى إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولاسيئة لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسى وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام فى نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه ۞ وقرئ ويثبت (وإن مانرينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وماوعدناهم من إنزال العذاب عليهم أوتوفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لاعليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولاتستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الأرض) أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلايرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا فى الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التى لاتعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لاراد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشىء فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد ۞ طلب المعقب حقه المظلوم ۞
والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (فإن قلت) مامحل قوله لامعقب لحكمه (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاءنى زيد لاعمامة على رأسه ولاقلنسوة تريد حاسراً (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ماتكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لأن من علم ماتكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لايعلمون وهم فى غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أى سيخبر (كفى بالله شهيداً) لما أظهر من الأدلة على رسالتى (ومن عنده علم الكتاب) والذى عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لاوالله مايعنى إلا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم علم مافى اللوح إلا هو شهيداً بينى وبينكم وتعضده

۞ قوله تعالى «قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» (قال محمود المراد والذى عنده علم القرآن الخ) قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال محمود وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته فى كتبهم) قال أحمد فالكتاب على التأويل الأول مراد به القرآن خاصة وعلى الثانى جنس الكتب المتقدمة عليه (قال محمود وقيل هو الله عز وجل والكتاب واللوح المحفوظ وعن الحسن لاوالله مايعنى إلا الله والمعنى كفى بالذى

سورة إبراهيم مكية

إلا آيتى ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞

قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أى ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول له وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) فى القراءة التى وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل فى شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة التى لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة إبراهيم عليه السلام مكية وهى إحدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كتاب) هو كتاب يعنى السورة ۞ وقرئ ليخرج الناس ۞ والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (بإذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الإذن الذى هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أى نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى تحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا وقرئ بالرفع على هو الله ۞ الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق منه فعل إنما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل (فإن قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبوراً (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك فى ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجروراً صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعنى الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الإيثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لأن المؤثر للشىء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من الآخر ۞ وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال :

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم ۞ والهمزة فيه داخلة على صد صدوداً لتنقله من غير التعدى إلى التعدى وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لأن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها

يستحق العبادة و بالذى لا يعلم ما فى اللوح المحفوظ إلا هو شهيداً بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال أحمد وإنما قدر الزمخشرى فى المعطوف عليه اسم الله بالذى يستحق العبادة حذراً من عطف الصفة على الموصوف وعدولا إلى أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى تقديراً وإنما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب إلا هو من أنه قدم الخبر الذى هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشرى أخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على إنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (فى ضلال بعيد) أى ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فإن قلت) فما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لأنه هو الذى يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جدّ جدّه ويجوز أن يراد فى ضلال ذى بعد أو فيه بعد لأن الضالّ قد يضلّ عن الطريق مكانا قريبا أو بعيدا (إلا بلسان قومه ليبين لهم) أى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فإن قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا قل ياأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب اليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم مع ما فى ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم فى تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر فى إتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز فى كل واحد منها وكلم الرسول العربىّ كل أمة بلسانها كما كلم أمته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الإلجاء. ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبىّ بلغة قومه وليس بصحيح لأن قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدى إلى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لأن الله لا يضلّ إلا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدى إلا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل إلا أهل الخذلان

﴿القول فى سـورة إبراهيم عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (قال أى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضى لكن فى هذه الخاتمة نظر لأن فيها إشعارا بأن إعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن إعجازه لو قدر منزلا بكل لسان حتى أنه لو نزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح إلى حدّ يكاد أن يكون إلجاء إلى الإيمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لأن المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقق والله أعلم والزمخشرى يبنى فى كثير من كلامه على أن العلوم تتفاوت وتنقسم إلى جلى وأجلى وهو من الحق بمعزل وإنما ظنّ ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

(قوله والاقطار المتنازحة) أى المتباعدة جدا أفاده الصحاح (قوله والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فخلق الضلال فى القلب لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة ويخلقه كالخير عند أهل السنة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ

ولا يلطف إلا بأهل اللطف (أن أخرج) بمعنى أى أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه فى تأويل المصدر وهو الفعل والأمر وغيره سواء فى الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز اليه بأن افعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضى الله عنه نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فإهلاك القرون (لكل صبار شكور) بصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (إذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أى إنعامه عليكم ذلك الوقت (فإن قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم يعمل فيه وإذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاما ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة الله أى اذكروا وقت إنجائكم وهو من بدل الاشتمال ۞ (فإن قلت) فى سورة البقرة يذبحون وفى الأعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر ۞ (فإن قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير ۞ فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو ۞ (وإذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد تفضل وأفضل ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفى قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم أى لئن شكرتم يابنى إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما أنعمت به عليكم (إن عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى (وقال موسى إن تكفروا أنتم) يابنى إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذى لابد لكم منه وأنتم اليه محاويج والله غنى عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد

(قوله ويتبين الفرق بين الوجهين) لعله وتبين (قوله وغمطتم ما أنعمت به عليكم) فى الصحاح غمط الشىء بطره وحقره

إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا

بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لايعلمهم إلاالله) جملة من مبتدإ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولايعلمهم إلاالله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لايعلم عددهم إلاالله وعن ابن عباس رضى الله عنه بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أبالايعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردّوا أيديهم فى أفواههم) فعضوهاغيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكوا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (إنا كفرنا بما أرسلت به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألاترى إلى قوله فردّوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوى أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردّوها فى أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الأيادى أى ردّوا نعم الأنبياء التى هى أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات فى أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها فى أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله وقرئ تدعونا بإدغام النون (مريب) موقع فى الريبة أو ذوى ريبة من أرابه وأراب الرجل وهى قلق النفس وأن لاتطمئن إلى الأمر (أفى الله شك) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس فى الشك إنما هو فى المشكوك فيه وأنه لايحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أى يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرنى ودعوته ليأكل معى وقال دعوت لما نابنى مسورا ۞ فلبى فلبى يدى مسورا (فإن قلت) مامعنى التبعيض فى قوله من ذنوبكم (قلت) ماعلمته جاء هكذا إلا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم ، وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف مابينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (إن أنتم) ماأنتم (إلا بشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة

۞ قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم (قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال أحمد وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذى نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وإنما كان كذلك لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولا وفعلا بوضع اليد فى الفم هو المناسب لحسدهم فى الكفر وتصدير العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب وإعادة ذلك مبالغة فى التأكيد وليس السياق بمناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتصميت الرسل كمناسبته لإقناطهم من القبول ألاترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم إلى المجادلة دل على أنهم لم يسكتوهم أولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال وقولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة

(قوله من أرابه وأراب الرجل) لعله أو أراب

فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ

دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقدجاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتاً ولجاجا (إن نحن إلا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم فى البشرية وحدها فأما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعاً منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لأنه قد علم أنه لايختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم (إلا بإذن الله) أرادوا أن الإتيان بالآية التى اقترحتموها ليس إلينا ولا فى استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أولياء وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم ألا ترى إلى قوله (وما لنا أن لانتوكل على الله) ومعناه وأى عذر لنا فى أن لانتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا مايوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين (فإن قلت) كيف كرر الأمر بالتوكل (قلت) الأول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على مااستحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ماتقدم (لنخرجنكم ۝ أولتعودن) ليكونن أحد الأمرين لامحالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك (فإن قلت) كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ماعدت أراه عاد لايكلمنى ماعاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضى إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن ۝ والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه ۝ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال يظلمه عظيم القرية التى أنا منها ويؤذينى فيه فمات ذلك العظيم وملكنى الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالى يترددون فيها ويدخلون فى دورها ويخرجون ويأمرون وينهون

دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد ومن تهالكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستعين حتى بحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد القدرية فى تفضيل الملك على الرسول لأنه يدعى ذلك أمراً مركوزاً فى الطباع معلوماً ضرورة والله الموفق ۝ قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) (قال إن قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج عن وادى من قتل قتيلا فله سلبه والله أعلم

(قوله لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) هذا على مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل (قوله وأما عودكم حالفين على ذلك) حال من فاعل قال وعبارة النسفى وحلفوا (قوله وأورثهم أرضهم وديارهم) لعله وأورثكم

بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۞ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا

فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) إشارة إلى ماقضى به الله من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أى ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذى يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام وقيل خاف قيامى عليه وحفظى لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح. أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه على لنهلكن أى أوحى إليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه قال

عسى الكرب الذى أمسيت فيه ۞ يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حين يبعث ويوقف (فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت (فإن قلت) ماوجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو مايسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى فى جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم ۞ هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة (وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبرا للمبتدإ أى صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر ۞ وقرئ (الرياح فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما السكور لريحها وقرئ فى يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة

(قوله موقف الله الذى يقف فيه عباده) فى الصحاح يتعدى ولايتعدى (قوله قد تألبت عليه) أى تجمعت أفاده الصحاح
(قوله وأممهم هو مبتدأ محذوف الخبر) أى مثل الذين كفروا بربهم وعبارة النسفى مثل الذين مبتدأ لعله وقرئ
(قوله وإنما السكور لريحها) فى الصحاح سكرت الريح تسكر سكورا سكنت بعد الهبوب

كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا

المكارم التى كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجازة وغير ذلك من صنائعهم شبهها فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شىء) أى لايرون له أثرا من ثواب كما لايقدر من الرماد المطير فى الريح على شىء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أوعن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولاشهوة * وقرئ خالق السموات والأرض (إن يشأ يذهبكم) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشىء وجنس ضده (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لااختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خاص له الداعى الى شىء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآيات بيان لإبعادهم فى الضلال وعظيم خطئهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وإنما جىء به بلفظ الماضى لأنّ ما أخبر به عزّ وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لايتوارى عنه شىء حتى يبرز له أنهم كانو يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أنّ الله لايخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه * (فإن قلت) لم كتب (الضعفواء) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمواء بنى إسرائيل والضعفاء الأتباع والعوام * والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أوذوى تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا * (فإن قلت) أى فرق بين من فى (من عذاب الله) وبينه فى (من شىء) (قلت) الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله * (فإن قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم

* قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفى وقد تقدمت أمثاله * عاد كلامه (قال معناه وماذلك على الله بعزيز أى هين عليه لأنه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع فى إبرازه وما أبشع قوله عن الله جلّ جلاله خلص له الداعى وأمضى الصارف وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب فى حق جلاله وقد تقدّم مافيه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (قال الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال أحمد لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على أنّ الله تعالى مهما شاء كان ومالم

(قوله خادم وخدم وغائب وغيب) فى الصحاح وإنما ثبتت فيه الياء فى التحريك لأنه شبه بصيد وإن كان جمعا وصيد

أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِن مَّحِيصٍ ۞ وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لايقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب فى ضلالهم و إضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا . لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء . يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين « يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء » وإما أن يكون المعنى لوكنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أولاتصبروا سواء عليكم وروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلاينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فإن قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بماقبله (قلت) اتصاله به من حيث أن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ماهذا الجزع والتوبيخ ولافائدة فى الجزع كما لافائدة فى الصبر والأمر من ذلك أطم أولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا (مالنا من محيص) أى منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً كأنه قيل قالوا جميعاً سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه والمحيص يكون مصدراً كالمغيب والشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد (لما قضى الأمر) لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً فى الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك (إن الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على

بشأ لم يكن وأن هداية المشركين مما لم يشأه ولوشاءها لاهتدوا وإنما تنشأ هذه الدلالة من إيراد هذا الكلام عن الكفار فى دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه إنذار أمثالهم فى الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم فى الآخرة إذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد إلى أنه كلام صحيح المعنى فلما فطن الزمخشرى لذلك شرع فى تقرير تخطئتهم فى هذا القول فى الآخرة كما خطأهم فى الدنيا ليتم له اعتقاد أن الله يشاء مالايكون ويكون مالايشاء ومن ذلك هداية الكفار فإن الله تعالى يشاءها فى الدنيا لكنها لم تكن وأنى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه فى الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدى إلى هذا الندم حيث لاينفع ويجر إلى هذه الحسرة إذ لاينجع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق فى دار الحق وحيث لاينفعه إيمانه فيقول إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وإنما سيق تحذيراً وإنذارا اتفاقا والله الموفق ۞ قوله تعالى « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم » الخ (قال روى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار فى الآية الأولى على إبطال الانتحال لأنه لايلائم معتقده واستشهد على أن الكذب حينئذ غير ممتنع ولامتعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن أن قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد فى الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وإن كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأية سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقبين عنده بالجبرة نقول إن الله تعالى إنما أورد هذا الكلام غير راد له ولامخطئ فيه للشيطان كما اقتص كلام الكفار فى الآية الأولى كذلك ونحن نعتقد أن الملامة إنما تتوجه على المكلف

مصدر قولك بعير أصيد لأنه يجوز أن ينوى به المصدر (إما موركين الذنب فى ضلالهم) فى الصحاح ورك فلان ذنبه على غيره أى قرفه به اه أى اتهمه به

وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

الأعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصى وألجئكم إليها (إلا أن دعوتكم) إلا دعائى إياكم إلى الضلالة بوسوستى وتزيينى وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ماتحيتهم إلا الضرب (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) حيث اغتررتم بى وأطعتمونى إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أنّ الإنسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فإنّ الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (فإن قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىّ) لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة ۝ وقرئ بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك ياتافىّ ۝ قالت له ما أنت بالمرضى

وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحرّكها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأنّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء (فإن قلت) جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحرّكت بالكسر على الأصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات ۝ ما فى (بما أشركتمونى) مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتمونى يعنى كفرت اليوم بإشراككم إياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عزوجل تقول شركت زيداً فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركتنيه فلان أى جعلنى له شريكا ونحو ماهذه ما فى قولهم سبحان ما سخركنّ لنا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله (إنّ الظالمين) قول الله عزّوجلّ ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عزّوعلا ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لابدّ لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا فى أنفسهم ذلك المقام الذى يقول الشيطان فيه مايقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ۝ وقرئ فلا يلومونى بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ۝ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا

وأما الله تعالى فمقدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك أنا نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذى يجده من نفسه عند تجاذب طرفى الأفعال الإرادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وإن سلبنا عن قدرة الخلق تأثيرها فى الفعل فلا تناقض إذاً بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة إلى المكلف والله الموفق ۝ قوله تعالى ۝ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ۝ (قال وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد ۝ فإن قلت ما الذى صرف الزمخشرى عن حمله

(قوله يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه) هذا مذهب المعتزلة وقوله المجبرة يعنى أهل السنة ومذهبهم أنّ الله

وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ

وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس (بإذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره (فإن قلت) فيم يتعلق فى القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أى (تحيتهم فيها سلام) بإذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم ۞ قرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعنى فى الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فإن قلت) أىّ فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لأنّ فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأنّ المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروى فمنعنى مكان عمر واستحييت فقال لى عمر يا بنىّ لو كنت قلتها لكانت أحبّ إلىّ من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة وقوله فى السماء معناه فى جهة العلوّ والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها (بإذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لأن فى ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعانى (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أى صفتها كصفتها ۞ وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الأرض) فى مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث

على الالتفات من التكلم إلى الغيبة وألجأه إلى تعليقه بما بعده وقد كانت له فى ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى إلى قوله تعالى «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» ثم قال تنزيلا ممن خلق الأرض ولم يقل تنزيلا منا ۞ قلت لأمر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو أن ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بأن إدخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الإذن يشعر بإضافة الدخول إلى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندى أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

هو الخالق لأسباب السعادة وأسباب الشقاوة لكن العبد له فيها الكسب ومن هذا يتوجه عليه اللوم خلافا للمعتزلة فى قولهم إنّ العبد هو الخالق لها وهو الذى يحصل لنفسه وتحقيقه فى علم التوحيد

(قوله كشجرة الحنظل والكشوث) فى الصحاح الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق فى الأرض قال الشاعر:

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

مَالَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ
وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ * قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

أخذ الجثة كلها (مالها من قرار) أى استقرار يقال قرّ الشيء قراراً كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ماتقول فى كلمة خبيثة فقال ماأعلم لها فى الأرض مستقراً ولا فى السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيامة (القول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا أنهم إذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثابت عند سؤال القبر وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلدوا المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم فى الدنيا أنهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أى ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمة الله) أى شكر نعمة الله (كفراً) لأن شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة كذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه (وأحلوا قومهم) مما تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك * وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان * قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فإن قلت) الضلال والإضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الأنداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجيء دخلته اللام وإن لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) إيذان بأنهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمراً دونه وهو أمر الشهوة والمعنى إن

(قوله من قولهم الباطل لجلج) فى الصحاح الحق أبلج والباطل لجلج أى يردد من غير أن ينفذ
(قوله القول الثابت الذى ثبت بالحجة) لما فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد والخبيثة بكلمة الشرك فالمتجه تفسير القول الثابت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وإضلال الظالمين بإبقائهم على كلمة الشرك وأن الشرك لظلم عظيم وأما التمسك بالحجة وتقليد الشيوخ فبعيد عن السياق وفيه رد على أهل السنة المكتفين بالتقليد فى تحقق الإيمان

ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ۞ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَـٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۞ وَإِذْ قَالَ

دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة (فإن مصيركم إلى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ۞ المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ۞ (فإن قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى إنفاق سر وإنفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب ۞ والخلال المخالة (فإن قلت) كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه (لابيع فيه ولاخلال) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها وأما الإنفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لابيع فيه ولا خلال أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ لابيع فيه ولاخلال بالرفع (الله) مبتدأ و(الذى خلق) خبره و(من الثمرات) بيان الرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج و(رزقا) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه فى معنى رزق (بأمره) بقوله كن (دائبين) يدأبان فى سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما مايصلحان من الأرض والأبدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه

۞ قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الإعراب نظر لأن الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بأنه إن قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى يجل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما ذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما أن هذا النظم لم يرد إلا لموصوف بالإيمان الحق المنوه بإيمانه عند الأمر كهذه الآية وكقوله « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الثانى تكرر مجيئه للموصوفين بأنهم عباد الله المشرفون بإضافتهم إلى اسم الله وقد قالوا أن لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز إلا مدحة للمؤمنين وخصوصا إذا انضاف إليه تعالى إضافة التشريف فالحاصل من ذلك أن المأمور فى هذه الآى من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق أما على العموم إن أريد أو على الغالب والله أعلم ۞ عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

(قوله بأنه لابيع فيه ولاخلال) هذه القراءة بالبناء على الفتح

إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٭ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٭ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٭

نى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك مااحتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لاتحصوها) لاتحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع ٭ والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (هذا البلد) يعنى البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فإن قلت) أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (قلت) قد سأل فى الأول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها ولا يخافون وفى الثانى أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى) وقرئ وأجنبنى وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد وأهل نجد جنبنى وأجنبنى والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها (وبنى) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام فقال ماعبد أحد من ولد إسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى (أن نعبد الأصنام) إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (إنهن أضللن كثيرا من الناس) فأعوذ بك أن تعصمنى وبنى من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أى افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى) على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى (فإنه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصانى فإنك غفور رحيم) تغفر له ماسلف منه من عصيانى إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك (من ذريتى) بعض أولادى وهم إسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شىء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج مافيه إلا الاستقامة لا غير ٭ وقيل للبيت المحرم لأن الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ماحوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشىء المحرم الذى حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لأنه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أى ماأسكنتهم هذا الودى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وماتعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التى آثرت بها سكان حرمك (أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ماروى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها فى الآية نكرة

(قوله لمعاشكم وسباتكم) فى الصحاح السبات النوم وأصله الراحة ومنه قوله تعالى « وجعلنا نومكم سباتا » (قوله فأعوذ بك أن تعصمنى) لعله أن لاتعصمنى

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ ۞ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا

ليتناول بعض الأفئدة وقرئ آفدة بوزن عافدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولك آدر فى أدؤر والثانى أن يكون اسم فاعله من أفدت الرحلة إذا عجلت أى جماعة أو جماعات يرتحلون إليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين وأن يكون من أفد (تهوى إليهم) تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله ۞ يهوى مخارمها هوىّ الأجدل ۞ وقرئ تهوى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتهوى إليهم من هوى يهوى إذا أحب ضمن معنى تنزع فعدّى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا مافيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم أن الله عز وجلّ أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفى أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ۞ النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله تعالى (إنك تعلم مانخفى ومانعلن) تعلم السرّ كما تعلم العلن علما لاتفاوت فيه لأن غيبا من الغيوب لايحتجب عنك والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومايصلحنا ومايفسدنا منا وانت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب وإنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ماعندك واستعجالا لنيل أياديك وولها إلى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال مثلك لايذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لاتدعه حاجته أن لايتكلم فيها وقيل مانخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة ومانعلن من البكاء والدعاء وقيل مانخفى من كآبة الافتراق ومانعلن يريد ماجرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع إلى من تكلنا قال إلى الله آكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لانخشى تركتنا إلى كاف (ومايخفى على الله من شيء) من كلام الله عز وجلّ تصديقا لإبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام إبراهيم يعنى ومايخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شيء فى كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل ومايخفى عليه شيء ما ۞ على فى قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله إنى على ماترين من كبرى ۞ اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير وفى حال الكبر روى أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقد روى أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر لأنّ المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث أنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجلّ النعم وأحلاها فى نفس الظافر ولأنّ الولادة فى تلك السنّ العالية كانت آية لإبراهيم (إنّ ربى لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر الله ماأكرمه به من إجابته (فإن قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أولم يجبه (قلت)

(قوله وقرئ آفدة فوزن عافدة) ليس فى الصحاح عفد بالفاء فلعله بالقاف (قوله فى واد يباب ليس فيه نجم) أى خراب والنجم نبات لاساق له كذا فى الصحاح
(قوله وهى اجتماع البواكير والفواكه) الباكورة أول الفاكهة كما فى الصحاح

وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ * وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

هو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ماأذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن (فإن قلت) ماهذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء (قلت) إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيداً وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر أموراً ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الإسناد المجازى والمراد سماع الله (ومن ذريتى) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أن يكون فى ذريته كفار وذلك قوله لاينال عهدى الظالمين (وتقبل دعاءى) أى عبادتى وأعتزلكم وماتدعون من دون الله * فى قراءة أبىّ ولأبوى وقرأ سعيد بن جبير ولوالدىّ على الأفراد يعنى أباه وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما ولولدىّ يعنى إسمعيل إسحق وقرئ لولدى بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد فى أسد وفى بعض المصاحف ولذريتى (فإن قلت) كيف جازله أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لايعلم امتناع جوازه إلابالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك لأنه لوشرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحا لامقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة مايؤتسى فيه بإبراهيم (يوم يقوم الحساب) أى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازيا أويكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قداستجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما وجعل فى ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إنى أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم * (فإن قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولاتحسبن الله غافلا) (قلت) إن كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لايحسب الله غافلا كقوله ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله إلها آخر كما جاء فى الأمر ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثانى أنّ المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لايخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولاتحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلاسؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه * وقرئ يؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الأبصار) أى أبصارهم لاتقر فى أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين إلى الداعى وقيل الاهطاع أن تقبل ببصرك على المرئى تديم النظر إليه لاتطرف (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لايرتد إليهم طرفهم) لايرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أى لايطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لايرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم * الهواء الخلاء الذى لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لاقوة فى قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا

(قوله كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن) فى الصحاح كإذنه لمن يتغنى الخ (قوله هو من مجوزات العقل) يعنى على مذهب المعتزلة أنّ العقل قد يدرك الحكم بدون شرع ومذهب أهل السنة أن لاحكم قلت قبل الشرع حتى يدرك بدونه فافهم

هَوَآءٌ ۝ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

قلبه هواء قال زهير ۝ من الظلمان جؤجؤه هواء ۝ لأن النعام مثل فى الجبن والحمق وقال حسان ۝ فأنت مجوف نخب هواء ۝ وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا إلى أجل قريب) ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق (أولم تكونوا أقسمتم) على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديداً وأملوا بعيداً و (مالكم) جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لأن السكنى من السكون الذى هو اللبث والأصل تعديه بفى كقولك قرّ فى الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالإخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الأمثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وإن عظم مكرهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أى وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معداً لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها وقرأ على وعمر رضى الله عنهما وإن كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعنى قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (فإن قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الأول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف

۝ قوله تعالى «فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله» (قال محمود إن قلت لم قدم المفعول الثانى على الأول الخ) قال أحمد وفيها

(قوله ويجوز أن يكون سكنوا من السكون) لعله سكنتم (قوله وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به) الذى فى الصحاح المكر الاحتيال والخديعة وقد مكر به والمكر أيضاً المغرة وقد مكره فامتكر أى خضبه فاختضب اهـ وهو يفيد أن

الْأَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰحِدِ الْقَهّٰارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشٰى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِىَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هٰذَا بَلٰغٌ

الوعد أصلا كقوله إنّ الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجرّ الرسل ونصب الوعد وهذه فى الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه (يوم تبدّل الأرض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدّل هذه الأرض التى تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسوّيتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى «فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات» واختلف فى تبديل الأرض والسموات فقيل تبدّل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوّى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هى تلك الأرض وإنما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وتبدّل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدّل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدّل الأرض بالنون (فإن قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأنّ الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر فى غاية الصعوبة والشدّة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله (فى الأصفاد) إمّا أن يتعلق بمقرنين أى يقرنون فى الأصفاد وإمّا أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل :

وزيد الخيل قد لاقى صفاداً * يعضّ بساعد وبعظم ساق

القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته وإسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرآن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآنى المتناهى حرّه (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب . يوم يسحبون فى النار على وجوههم . لأن الوجه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى * أى يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزى الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة ومطيعة

قاله نظر لأنّ الفعل متى تقيد بمفعول انقطع إطلاقه فليس تقديم الوعد فى الآية دليلا على إطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل بائناً كالأجنبى من الإطلاق الأوّل ولا فرق فى المعنى الذى ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره

المكر بمعنى الاحتيال لا يتعدّى بنفسه فتدبر (قوله وقرئ نبدّل الأرض بالنون) لعله ونصب الأرض والسموات فلتحرّر القراءة

لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۞

سورة الحجر مكية

إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ۞ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ماوصفه من قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعدله (وليعلموا إنما هو إله واحد) لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

﴿سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تلك) إشارة إلى ماتضمنته السورة من الآيات ۞ والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وآى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان ۞ قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف (فإن قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضى (قلت) لأن المترقب فى إخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود (فإن قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة (فإن قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك

ولا يفيد تقديم المفعول الثانى إلا الإيذان بالعناية فى مقصود المتكلم والأمر بهذه المثابة فى الآية لأنها وردت فى سياق الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم فى التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على ألسنة الرسل فذلك أمر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيباً كافياً والله أعلم

﴿القول فى سورة الحجر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ قوله تعالى « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (قال إن قلت مامعنى تقليل ودادتهم الخ) قال أحمد لاشك أن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدى عكس مقصوده كثيراً ومنه قوله :

۞ قد أترك القرن مصفراً أنامله ۞ وإنما يتمدح بالإكثار من ذلك وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم وقد تعلمون أنى رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشرى آنفا من التنبيه بالأدنى على الأعلى ومنهم من وجهه بأن المقصود فى ذلك الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع إلى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود إلى عكسه وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا ۞ للمنتهى ومن السرور بكاء

وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها والعمدة فى ذلك على سياق الكلام لأنه إذا اقتضى مثلا تكثيراً فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بأن المراد المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم

(قوله من نذر به إذا علمه) فى الصحاح نذر القوم بالعدو بكسر الذال إذا علموا

لو كانوا مسلمين ۝ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ۝ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ۝ ما تسبق من أمة أجلها وما يستئخرون ۝ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ۝ لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصدقين ۝ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ۝

وربما ندم الإنسان على مافعل ولايشكون فى تندمه ولايقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أوكان قليلا لحق عليك أن لاتفعل هذا الفعل لأنّ العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى فى الآية لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وإنما جئ بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن حانت منهم إفاقة فى بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل (ذرهم) يعنى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصدعنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لايلقوا فى العاقبة إلاخيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لايجىء منهم إلاماهم فيه وأنه لازاجر لهم ولاواعظ إلا معاينة ماينذرون به حين لاينفعهم الوعظ ولاسبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولايشتغل بما لاطائل تحته وأن يبالغ فى تخليتهم حتى يأمرهم بما لايزيدهم إلاندما فى العاقبة وفيه إلزام للحجة ومبالغة فى الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أنّ إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الأمل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ فى الدنيا من أخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لايتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح وبين ألا ترى إلى قوله (ماتسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها وأنث الأمة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لأنه معلوم ۝ قرأ الأعمش يا أيها الذى ألقى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إنّ رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء فى كتاب الله فى مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم إنك لأنت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيراً فى كلام العجم والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعى أنّ الله نزّل عليك الذكر ۝ لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشىء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ۝ ببعض مافيكما إذ عبتما عورى

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا كما كانت تأتى الأمم المكذبة برسلها ۝ قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (إلا بالحق) إلا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولاحكمة فى أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق وقيل الحق الوحى

(قوله ويتمتعوا بدنياهم) فى الصحاح سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر
(قوله الذى ألقى عليه الذكر) لعله اليه

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۞

أو العذاب و (إذا) جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وماأخر عذابهم (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم فى قولهم ياأيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذى بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظ فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه (فإن قلت) فحين كان قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وإنا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (فى شيع الأولين) فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال ۞ يقال سلكت الخيط فى الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر فى (قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الأولين) طريقتهم التى سنها الله فى إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ۞ قرئ يعرجون بالضم والكسر و (سكرت) حيرت أو حبست من الأبصار من السكر أو السكر وقرئ

۞ قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (قال هذا رد لإنكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد يحتمل أن يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى، وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى فى آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ۞ قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه فى قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن فى قلوبهم وأدخله فى سويدائها كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم فى مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أى هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه وولج ذلك فى قلوبهم ووقر ولكنهم قوم سجيتهم العناد وشيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة وذلك بأن يفتح لهم بابا فى السماء ويعرج بهم إليهم حتى يدخلوا منه نهارا وإلى ذلك أشار بقوله فظلوا لأن الظلول إنما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف إنما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم فى التكذيب من عدم سماع ووعى ووصول إلى القلوب وفهم كما فهم

(قوله وقرئ سكرات بالتخفيف) لعل هذا السكر بالفتح كما أن ما يأتى من السكر بالضم

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۞ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۞ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَٰرِثُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ

سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان مارأوا لقالوا هو شىء نتخايله لاحقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك ۞ وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار (من استرق) فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لايصلح فيه زيادة ولانقصان أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل مايوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فإن تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل مابتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون ولايجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لأنه لايعطف على الضمير المجرور ۞ ذكر الخزائن تمثيل والمعنى ومامن شىء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لاتأتى بخير ريح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح ۞ يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ماأثبته لنفسه فى قوله وإن من شىء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الأولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستأخرين وروى أن امرأة حسناء كانت فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) أى هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (إنه

غيرهم من المصدقين لأن ذلك كله حاصل لهم وإنما بهم العناد واللدد والإصرار لاغير والله أعلم

حكيم عليم ۞ ولقد خلقنا الإنسن من صلصل من حمإ مسنون ۞ والجآن خلقنه من قبل من نار السموم ۞ وإذ قال ربك للملئكة إنى خلق بشرا من صلصل من حمإ مسنون ۞ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين ۞ فسجد الملئكة كلهم أجمعون ۞ إلا إبليس أبى أن يكون مع السجدين ۞ قال يإبليس مالك ألا تكون مع السجدين ۞ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصل من حمإ مسنون ۞ قال فاخرج منها فإنك رجيم ۞ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ۞ قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ۞ قال فإنك من المنظرين ۞ إلى يوم الوقت المعلوم ۞ قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ۞ إلا عبادك

حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل مايفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علماً بكل شىء ۞ الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار قالوا إذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن ۞ والحمأ الطين الأسود المتغير ۞ والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أى أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة فى أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتنا (من حمأ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو إبليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ من المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (وإذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل مايحيا به فيه ۞ واستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هنداً و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى ۞ حرف الجر مع أن محذوف وتقديره (مالك) فى (ألا تكون مع الساجدين) بمعنى أى غرض لك فى إبائك السجود وأى داع لك إليه ۞ اللام فى (لأسجد) لتأكيد النفى ومعناه لايصح منى وينافى حالى ويستحيل أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها ۞ والضمير فى منها راجع إلى الجنة أو السماء أو إلى جملة الملائكة ۞ وضرب يوم الدين حداً للعنة إما لأنه غاية يضربها الناس فى كلامهم كقوله مادامت السموات والأرض فى التأبيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن فى السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن يعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ۞ ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة ۞ وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لايموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف (بما أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) المعنى أقسم بإغوائك إياى لأزينن لهم ومعنى إغوائه إياه تسببه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك إلى غيه وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع

(قوله من سنة الوجه) فى الصحاح سنة الوجه صورته

منهم المخلصين ﴿قال هذا صرط على مستقيم﴾ ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطن إلا من اتبعك من الغاوين﴾ ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ ﴿لها سبعة أبوب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ ﴿إن المتقين فى جنت وعيون﴾ ﴿ادخلوها بسلم ءامنين﴾ ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخونا على سرر متقبلين﴾ ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾ ﴿نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم﴾ ﴿وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾ ﴿ونبئهم

والخضوع لأمر الله ولكن إبليس إختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن إرادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتنى لأزينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين فى أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام بصفته والثانى أقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لإغوائى أقسم لأفعلن بهم نحو مافعلت بى من التسبيب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصى وأوسوس إليهم مايكون سبب هلاكهم (فى الأرض) فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أوأرادأنى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لأولاده فى الأرض أقدر أوأراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض ولأوقعن تزيينى فيها أى لأزينها فى أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة فى الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها ونحوه: يجرح فى عراقيبها نصلى ﴿ استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولايقبلون منه ﴿ أى (هذا) طريق حق (على) أن أراعيه وهو أن لايكون لك سلطان على عبادى إلامن اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ على وهو من علو الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله عنه إن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ﴿ وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهرى جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاى كقولك خب فى خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ﴿ المتقى على الإطلاق من يتقى مايجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (ادخلوها) على إرادة القول وقرأ الحسن ادخلوها (بسلام) سالمين أومسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة ﴿ الغل الحقد الكامن فى القلب من أنغل فى جوفه وتغلغل أى إن كان لأحدهم فى الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت جالسا عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له على مرحبا بك يا ابن أخى أما والله إنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة فى مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لاأم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب و(إخوانا) نصب على الحال و(على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين ﴿ لما أتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه (نبىء عبادى) تقريرا لما ذكر وتمكينا له فى النفوس ﴿ وعن ابن عباس رضى الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبىء عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه

(قوله والله برىء من غيه) هذا على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر ولا يخلقه ومذهب أهل السنة أن كل كائن فهو بخلقه تعالى وإرادته خيراً كان أو شراً وإن كان لا يرضى الشر من العبد وتفصيله فى التوحيد

عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝

من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم (سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت ۝ وقرأ الحسن لاتوجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه وقرئ لاتأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله ۝ وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (إنا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل ۝ يعنى (أبشرتمونى) مع مس الكبر بأن يولد لى أى أن الولادة أمر عجيب مستنكر فى العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأى أعجوبة تبشرونى أو أراد أنكم تبشروننى بما هو غير متصور فى العادة فبأى شىء تبشرون يعنى لاتبشروننى فى الحقيقة بشىء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شىء ويجوز أن لايكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى بأى طريقة تبشروننى بالولد والبشارة به لاطريقة لها فى العادة ۝ وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أى بشرناك باليقين الذى لالبس فيه أو بشرناك بطريقة هى حق وهو قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر ۝ وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشروننى وتبشرون بإدغام نون الجمع فى نون العماد ۝ وقرئ من القنطين من قنط يقنط ۝ وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث فى النون أراد ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون يعنى لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له فى العادة التى أجراها الله ۝ (فإن قلت) قوله تعالى (إلا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لايخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعاً لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير فى مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فإن قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما فى الوجه الأول (فإن قلت) فقوله (إنا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما

۝ قوله تعالى «إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين» (قال محمود إن قلت هل الاستثناء الأول متصل الخ) قال أحمد وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن وذلك أن فى استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعداً من حيث أن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل المستثنى فى حكم الأول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها إلا فى سياق نفى لأنها حينئذ أعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء

(قوله وتبشرون) بكسر النون والتشديد قاله النسفى (قوله فلا يكون الإرسال مخلصا) لعله مختصاً

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

مستأنفا كأنّ إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم ۝ (فإن قلت) فقوله (إلا امرأته) ممّ استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شىء لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته كما اتحد الحكم فى قول المطلق أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة وفى قول المقر لفلان علىّ عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما فأمّا فى الآية فقد اختلف الحكمان لأنّ إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء ۝ وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فإن قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله (قدرنا إنها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فإن قلت) فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذى ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أى تنكركم نفسى وتنفر منكم فأخاف أن تطرقونى بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ماجئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوّك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وإنا لصادقون) فى الإخبار بنزوله بهم ۝ وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الإقليد فسر من السير ۝ والقطع فى آخر الليل قال :

افتحى الباب وانظرى فى النجوم ۝ كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضى شىء صالح من الليل (فإن قلت) ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك

ومن ثم لم يحسن رأيت قوما إلا زيداً وحسن ما رأيت أحد إلا زيداً والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال محمود فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله قدرنا إنها لمن الغابرين الخ) قال أحمد وهذه أيضاً من دفائنه الاعتزالية فى جحد القضاء والقدر واعتقاد أنّ الأمر أنف لأنهم لا يعتقدون أنّ الله تعالى مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد بمعنى أنه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وإرادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة ثم استدلّ على أنّ التقدير هو العلم بتعليق فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم وأخواته فانظر إلى بعد غوره ودقة فطنته فى ابتغاء السنة يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح فلقها وفى كلامه شاهد على ردّه فإنّ التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الأصلى مضافا إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً فالتقدير إذاً كما أفاد العلم الطارئ يفيد الإرادة أصلا ووضعاً والله أعلم على أنّ من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكى عن الملائكة وهو ظاهر فإنّ الذى يجعله من قول الملائكة يحتاج فى نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى التأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وإنما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشرى وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل لأنه إذا جعل قدرنا بمعنى علمنا إنها لمن الغابرين فلا غرو فى علم الملائكة ذلك بإخبار الله تعالى إياهم به وإنما يحتاج إلى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم ۝ قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال إن قلت ما معنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدّم قومه فقال « وما أعجلك عن قومك ياموسى » والله أعلم ۝

الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجراً فلم يكن له بد من الاجتهاد فى شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذى يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى إليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لأن من يتلفت لابد له فى ذلك من أدنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا إلى حيث تعديته إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم فى الأمكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون وعدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الأمر) بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال إن دبر هؤلاء. وفى قراءة ابن مسعود وقلنا إن دابر هؤلاء. ودابرهم آخرهم يعنى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (أهل المدينة) أهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون) بفضيحة ضيفى لأن من أسىء إلى ضيفه أو جاره فقد أسىء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون بإذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان أو ولا تشوروا بى من الخزاية وهى الحياء (عن العالمين) عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط (هؤلاء بناتى) إشارة إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم (إن كنتم فاعلين) شك فى قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على إرادة القول أى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (إنهم لفى سكرتهم) أى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله

عاد كلامه (قال وإنما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد شملت هذه الآية

(قوله وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم) لعل فيه تقديما والأصل على المهاجرة عن مساكنهم ويطيبوها فليحرر (قوله ويمضوا قدما) فى الصحاح مضى قدما بضم الدال لم يعرج ولم ينثن
(قوله وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا) فى الصحاح الليت بالكسر صفحة العنق والأخدع عرق فى موضع المحجمتين وهو شعبة من الوريد وهما أخدعان (قوله لأن من يتلفت لابد له فى ذلك) لعله يلتفت كعبارة النسفى
(قوله ولا تشوروا بى من الخزاية) فى الصحاح الشوار فرج المرأة والرجل ومنه قيل شور به أى كأنه أبدى عورته

مِّن سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۞ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۞ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۞ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ

عليه وسلم وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه وذلك لأن الحالف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أى معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشىء يقال توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسمه فيه ۞ والضمير فى عاليها سافلها القرى قوم لوط (وإنها) وإن هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدوهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (أصحاب الأيكة) قوم شعيب (وإنهما) يعنى قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبإمام مبين) لبطريق واضح والإمام اسم لما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح الذى يكتب فيه لأنها مما يؤتم به (أصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) يعنى بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبى صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد (إلا بالحق) إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال (وإن الساعة لآتية) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيآتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعرضا جميلا بحلم وإغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (إن ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح وفى مصحف أبى وعثمان إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما فى حكم سورة واحدة

على وجازتها آداب المسافرين لمهم دينى أو دنيوى من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا فى الكتاب من شىء ۞

(قوله يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا) أى المعاملة بحسن الخلق وفى الصحاح يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر اه

مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ

ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم أوسبع صحائف وهى الأسباع و(المثانى) من التثنية وهى التكرير لأنّ الفاتحة بما تكرر قراءتها فى الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها أعلى ماهو ثناء على الله الواحدة مثناة أومثنية صفة للآية وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إمّا للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أوالطوال وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثانى لأنها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها ۝ (فإن قلت) كيف صحّ عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو إلاعطف الشيء على نفسه (قلت) إذا عنى بالسبع الفاتحة أوالطوال فما وراءهنّ ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم ۝ أى لاتطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فإن قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولاتمدّن عينيك إلى متاع الدنيا ومنه الحديث: ليس منا من لم يتغن بالقرآن. وحديث أبى بكر: من أوتى القرآن فرأى أن أحداً أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا. وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولاتحزن عليهم) أى لاتتمن أموالهم ولاتحزن عليهم إنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون ۝ وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء (وقل) لهم (إنى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أنّ عذاب الله نازل بكم ۝ (فإن قلت) بم تعلق قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن مايقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأنّ اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من

قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم (قال إن قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحمد وهذا هو الصواب فى معنى الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء أن تغنى إنما يبنى من الغناء الممدود لامن الغنى المقصور وإنّ فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور فى الحديث الصحيح فى الخيل وأمّا التى هى ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا وإنما هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا وهو مصدر تغنى فدلّ ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعاً على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

(قوله وعضوه) فى الصحاح عضيت الشاة تعضية إذا جزأتها أعضاء وعضيت الشيء تعضية إذا فرقته

بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۞

الكتب نحو فعلهم والثانى أن يتعلق بقوله وقل إنى أنا النذير المبين أى وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ماجرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لاتغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا إلى الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فإن قلت) إذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لاتمدن إلى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بجامعه على المؤمنين ۞ عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء قال رؤبة ۞ وليس دين الله بالمعضى ۞ وقيل هى فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه ولعن النبى صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها عن الأول واو وعلى الثانى هاء (لنسئلنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الإبانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع لحذف الجار كقوله ۞ أمرتك الخير فافعل ماأمرت به ۞ ويجوز أن تكون ما مصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للمفعول ۞ عن عروة بن الزبير فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى عينى الأسود بن المطلب فعمى وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن (فسبح) فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ۞ ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت أى مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

(قوله إذا بهته) أى اتهمته

سورة النحل مكية

إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۞ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۞ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ

﴿سورة النحل مكية﴾

﴿غير ثلاث آيات فى آخرها وتسمى سورة النعم وهى مائة وثمان وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ كانوا يستعجلون ماوعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) الذى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ماتعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما تأخرت قالوا مانرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يامحمد مانرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية (فإن قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء ۞ قرئ ينزل بالخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أى تتنزل (بالروح من أمره) بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد و (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله إلا أنا) أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولى لا إله إلا أنا (فاتقون) ۞ ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ومايصلحه ومالا بدله منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق مالا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فإذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح الخصوم مبين للحجة بعد ماكان نطفة من منىّ جمادا لاحس به ولا حركة دلالة على قدرته والثانى فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للإنسان بالإفراط فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى أبىّ بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أترى الله يحيى هذا بعد ماقدرم (الأنعام) الأزواج الثمانية وأكثر ماتقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أى خلق الإنسان والأنعام ثم قال (خلقها لكم) أى ماخلقها إلا لكم ولمصالحكم ياجنس الإنسان ۞ والدفء اسم مايدفأ به كما أن الملء اسم مايملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هى نسلها ودرها وغير ذلك (فإن

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞

قلت) تقديم الظرف فى قوله (ومنها تأكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الأكل منها هو الأصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها ۞ من الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا (فإن قلت) لم قدمت الإراحة على التسريح (قلت) لأن الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها ۞ وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوم لايجزى والد ۞ قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ۞ (فإن قلت) مامعنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لولم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لأنهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة (فإن قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه (قلت) طابقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لاتبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الأنعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره فى الأنعام ۞ (فإن قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فإن قلت) فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة

﴿القول فى سورة النحل﴾

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (قال إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل الخ) قال أحمد ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها ۞ قوله تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) قال إن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لأن العادة أن المسافر لايستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الأول أعلى والله أعلم ۞ قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال إن قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ (قال أحمد يعنى لجاز أن ينتصب مجرداً من لام التعليل لأنه فعل فاعل الفعل الأول ويعينه اقتران الركوب

(قوله وتجاوب فيها الثغاء والرغاء) الثغاء صوت الشاء والمعز وماشا كلهما والرغاء صوت ذوات الخف كذا فى الصحاح

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أى وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا منها أى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال (ويخلق مالا تعلمون) يجوز أن يريد به مايخلق فينا ولنا مما لانعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كامن بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق مالا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالأخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ماخلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه ۞ المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال ومنها جائر ۞ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لايعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى ۞ (فإن قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم مايجوز إضافته اليه من السبيلين ومالا يجوز ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله برىء منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا وإلجاء (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبراً له

باللام لأنه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام وفى هذا الجواب نظر فإن لقائل أن يقول كان من الممكن مجيئهما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا غرو فى ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه أن المقصود المعتبر الأصلى فى هذه الأصناف هو الركوب وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على أنه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب والله أعلم ۞ قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة الخ) قال أحمد أين يذهب به عن تتمة الآية وذلك ۞ قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لكان الكلام وقد هدا كم أجمعين وما كأنهم إلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فإن ذهبوا إلى تأويل الهداية بالقسر والإلجاء فما كأنهم إلا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الأسلوبين فلأن سياق الكلام لإقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لأنفسهم وقد تقدم فى غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجوداً مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له وبتأتيه له وتيسره عليه يضاف إلى العبد وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل فناسب إقامة الحجة على العباد إضافة الهداية إلى الله تعالى باعتبار خلقه لها وإضافة الضلال إلى العبد باعتبار اختياره له والحاصل أنه ذكر فى كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة فى الآخر ليناسب ذلك إقامة الحجة ألا لله الحجة البالغة والله الموفق للصواب

(قوله الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه) هذا مذهب المعتزلة ولا وجوب عليه تعالى عند أهل السنة بل ذلك فضل منه تعالى لكن الكريم يبرز الوعد بالخير فى صورة الواجب (قوله ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل) يعنى أهل السنة من أنه تعالى يخلق الشر كالخير . وقوله لقيل الخ : الملازمة ممنوعة لأن الكريم يحب الخير دون الشر وإن كان كل منهما من عنده «قل كل من عند الله» (قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإلجاء) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح وهداية الكل صلاح فظاهر الآية يخالف مذهبهم ولذا قالوا إنه أراد هداية الكل لكن إرادة لاتنافى تخيير العبد لئلا يبطل تكليفه وهذه الإرادة لاتستلزم وقوع المراد وأهل السنة لم يوجبوا على الله تعالى شيئا وكل ما أراده الله لابد من وقوعه وهذه الإرادة لاتنافى اختيار العبد عندهم لما تقرر له من الكسب كما بين فى علم التوحيد

لآية لقوم يتفكرون ۝ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرت بأمره إن فى ذلك لآيت لقوم يعقلون ۝ وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألونه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ۝ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ وألقى فى الأرض روسى أن تميد بكم وأنهرا وسبلا لعلكم تهتدون ۝ وعلمت وبالنجم

۝ والشراب مايشرب (شجر) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لاتأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعنى الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية إذا راعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات فى الأرض ۝ قرئ ينبت بالياء والنون ۝ (فإن قلت) لم قيل (ومن كل الثمرات) (قلت) لأن كل الثمرات لاتكون إلافى الجنة وإنما أنبت فى الأرض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته ۝ والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب بالرفع ۝ قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أوعلى أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع مابعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وماقبله بالنصب وقال (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) لجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعنى ماخلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه (فإن قلت) مابال الفقهاء قالو إذا حلف الرجل لايأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لايفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله إن شر الدواب عندالله الذين كفروا فلو حلف حالف لايركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم ۝ المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح ۝ وابتغاء الفضل التجارة (أن تميدبكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به إذا ركب البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد

۝ عاد كلامه إلى قوله لتأكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه الخ) قال أحمد فكأن ذلك تعليم لأكله وإرشاد إلى أنه لاينبغى أن يتناول إلاطريا والأطباء يقولون إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شىء يكون والله أعلم ۝ عاد كلامه إلى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هى اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد ولله در مالك رضى الله عنه حيث جعل الزوج الحجر على زوجته فيماله بال من مالها وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل فانظر إلى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى جعل حظ المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه فى لبسها بلبسه كما يعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى فى الباب والله أعلم ۝ قوله

(قوله ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه) فى الصحاح طرو اللحم وطرى طراوة وطراءة وطراة

هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ

أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهاراً) وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك ۞ والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فإن قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا ۞ (فإن قلت) من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذى هو لأولى العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعنى أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا (فإن قلت) هو إلزام الذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيهاً بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد (إن الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول ۞ نفى عنهم خصائص الإلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت كالحىّ الذى لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأنّ آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابدّ من البعث أنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء

تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال إن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام الخ) قال أحمد هو تحوّم على أنّ العباد يخلقون أفعالهم وأنّ المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذا التأويل ويتمنى لو تمّ له ذلك ۞ وما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت هو إلزام الذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الإلزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالأنثى فجدد بها عهدا

مُسْتَكْبِرُونَ ۝ لَاجَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَآ أَنْزَلَ
رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَآقُّونَ

يعنى أنّ من الأموات مايعقب موته حياة كالنطف التى ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التى تبعث بعد موتها وأمّا الحجارة فأموات لايعقب موتها حياة وذلك أعرق فى موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أى وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأنّ شعور الجماد محال فكيف بشعور مالايعلمه حى إلا الحىّ القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أى لابدّ لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم ومايشعرون ولاعلم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (إلهكم إله واحد) يعنى أنه قد ثبت بما تقدّم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لاشريك له فيها ۝ فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأنّ قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها (لاجرم) حقاً (أنّ الله يعلم) سرّهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لايحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين ويجوز أن يعمّ كلّ مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أى شىء (أنزل ربكم) أو مرفوع بالابتداء بمعنى أىّ شىء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى (أساطير الأولين) مايدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع (فإن قلت) هو كلام متناقض لأنه لايكون منزل ربهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كقوله إنّ رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أى قالوا ذلك إضلالا للناس وصدّاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم وهو وزر الإضلال لأنّ المضلّ والضالّ شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضاً كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أى يضلون من لايعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ۝ القواعد أساطين البناء التى تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعنى أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمده بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا ۝ ومعنى إتيان الله إتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لايشعرون) من حيث لايحتسبون ولايتوقعون ۝ وقرئ فأتى الله بيتهم فخرّ عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة

(قوله لأنّ شعور الجماد محال) أى شعوره بما يشعر به الحيوان محال فكيف بشعوره بما لايعلمه حيوان وإنما يعلمه الحىّ القيوم وهو وقت البعث ولعلّ فى عبارة المصنف سقطاً تقديره شعور الجماد بما يشعر به الحيوان محال (قوله على السخرية كقوله إنّ رسولكم) لعله إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون (قوله ليمكروا بها الله ورسوله) لعل تعدية فعل المكر إلى مفعول لتضمنه معنى الخديعة (قوله فأتى بالبنيان من الأساطين) لعله البنيان بدون باء الجرّ كعبارة السمين

فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين ۞ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ۞ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۞ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ۞ جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين ۞ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۞ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۞ فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۞

(شركائى) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقبلهم الملائكة ۞ قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء فى التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم (إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم ۞ خيراً) أنزل خيراً (فإن قلت) لم نصب هذا ورفع الأول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيراً أى أنزل خيراً وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الإنزال فى شىء وروى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيراً لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومى دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيراً وقوله (للذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيراً حكاية لقوله الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافأة فى الدنيا بإحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و (جنات عدن) خبر مبتدإ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لأنه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (تأتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعنى أن تأتيهم لقبض الأرواح و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أى مثل ذلك الفعل من الشر والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۞ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ

وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ۞ ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أى لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتى منه خير (فسيروا فى الأرض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار ۞ ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه

۞ قوله تعالى «وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا» إلى قوله «ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعنى أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله الخ) قال أحمد قد تكرر منه مثل هذا الفصل فى أخت الآية المتقدمة فى سورة الأنعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع إن شاء الله والذى زاده هنا يثبت معتقده على ما زعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العبادة إلى قسمين مأمور به ومنهى عنه والأمر والنهى عند المصنف راجعان إلى المشيئة بناء على زعم القدرية فى إنكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الإرادة فالحاصل حينئذ من هذه التتمة أن الله شاء عبادة الخالق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم أن يشركوا به وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم فجرت التتمة مترجمة عن معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاها هذا هو الذى زاده المصنف ههنا وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما والعجب أن الله تعالى أوضح فى الآيتين جميعا أن الذى أنكره من القائلين لو شاء الله ما أشركنا إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التى لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله فى آخر آية الأنعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فتبين فيهما أنه هو الذى شاء منهم الإشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا البيان صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذى قدمناه فى إفحامهم الحجة على الله بمشيئته مع أن حجتهم فى ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

(قوله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه) يعنى أهل السنة وليس كما قال بل قاله المشركون استهزاء وأهل السنة اعتقادا كما أفاده النسفى وكل ما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن شرا كان أو خيرا وكل أمر بقضائه تعالى وقدره شرا كان أو خيرا وهو الخالق لأفعال العباد وإن كانت بكسبهم واختيارهم خلافا للمعتزلة فى جميع ذلك كما أطال به فيما سيأتى هنا انتصارا للمعتزلة (قوله وركوه على ربهم) أى اتهموه به

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ ۞ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِى ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

(لايهدى من يضل) أى لايلطف بمن يخذل لأنه عبث والله تعالى متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التى لاتجوز عليه وقرئ لايهدى أى لاتقدر أنت ولاأحد على هدايته وقد خذله الله وقوله (ومالهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لايهدى بمعنى لايهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبىّ فإنّ الله لاهادى لمن يضل ولمن أضلّ وهى معاضدة لمن قرأ لايهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدي بإدغام تاء يهتدى وهى معاضدة للأولى وقرئ يضل بالفتح ۞ وقرأ النخعى إن تحرص بفتح الراء وهى لغة (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدوّنا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) إثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم ۞ ووعد الله مصدر مؤكد لما دلّ عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أنّ الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لايجب على الله شىء لاثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دلّ عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا فى قولهم لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شىء وفى قولهم لايبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أى بعثناه ليبين لهم مااختلفوا فيه وإنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى إذا أردنا وجود شىء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لايتوقف وهذا مثل لأنّ مرادا لايمتنع عليه وأنّ وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولاقول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفاً على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال له ربح البيع ياصهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه فكيف (فى الله) فى حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أى لنبوأنهم تبوئة حسنة وفى قراءة على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه أثواءة حسنة وقيل لننزلنهم فى الدنيا منزلة حسنة وهى

(قوله وقرئ لايهدى) أى بالبناء للمجهول كما أفاده النسفى (قوله وفى قراءة أبىّ فإنّ الله لاهادى لمن يضل ولمن أضل) ظاهره أنّ هذه قراءة أخرى لأبىّ فليحرر (قوله توريك ذنوبهم على مشيئة الله) أى نسبة ذنوبهم إلى مشيئته تعالى واتهامها بها (قوله أو أنه وعد واجب على الله الخ) الكلام فى الكفار وعرض فيه المصنف بأهل السنة تعصبا للمعتزلة فى قولهم بوجوب الصلاح عليه تعالى فافهم (قوله لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه فكيف) أى فكيف لايطيعه وقد خلقها لمن عصى

يعلمون ۞ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۞ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ۞ بالبينت والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ۞ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۞ أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ۞ أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم ۞ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم دخرون ۞ ولله يسجد ما في السموت وما في الأرض من

الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعد ربك فى الدنيا وما ذكر لك فى الآخرة أكثر وقيل لنبوأنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله ۞ قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقيل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم) على ألسنة الملائكة (فاسئلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً ۞ (فإن قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ماضربت إلا زيداً بالسوط لأن أصله ضربت زيداً بالسوط وإما برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات وإما بأرسلنا مضمراً كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بيوحى أى يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط فى معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطنى حقى وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل إليهم) يعنى مانزل الله إليهم فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى تقلبهم) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا ۞ كما تخوف عود النبعة السفن

أى يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم (فإن ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم ۞ قرئ أو لم يروا ويتفيؤا بالياء والتاء ۞ وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤا ظلاله) ۞ واليمين بمعنى الأيمان و (سجدا) حال من الظلال

(قوله وما مكروا به رسول الله ﷺ) ضمن المكر معنى الخدع فعدى إلى المفعول (قوله تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن) تمك السنام فهو تامك طال وارتفع وقرد الصوف فهو قرد كحذر تلبد وتمعط وتقطع والسفن ما يفحت به الشيء كذا فى الصحاح

دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَارْهَبُونِ ۝ وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ

(وهم داخرون) حال من الضمير فى ظلاله لأنه فى معنى الجمع وهو ماخلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أو لم يروا إلى ماخلق الله من الأجرام التى لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أى عن جانبى كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبى الشيء أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والإجرام فى أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لاتمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما فى السموات ومافى الأرض جميعا على أن فى السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسى فى الأرض وأن يكون بيانا لما فى الأرض وحده ويراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وأن يكون بيانا لما فى الأرض وحده ويراد بما فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (فإن قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فإن قلت) فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير فى لايستكبرون أى لايستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفى الاستكبار وتأكيداً له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء ۝ (فإن قلت) إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلاحاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين (قلت) الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية

قوله تعالى ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة الآية (قال إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا مايتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولا ولم ير ذلك متناقضا فإن السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد أريد جميعا من الآية والزمخشرى ينكر ذلك فى مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرية وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لأنه يأبى ذلك ولايتم له هذا المقصد فى الآية والله أعلم لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا الذى يكون ذكره سببا لفعله سببية معتادة فى عزائم السجود لا القدر الأعم المشترك والله أعلم ۝ قوله تعالى وهم لايستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالا من الضمير الخ) قال أحمد هذا هو الوجه الثانى ليس الأول وأما الحال فيعطى انتقالا ويوهم تقييد العدم استكبارهم مع أن الواقع أن عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق ۝ قوله تعالى وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد (قال إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع

تتقون ٭ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ٭ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ٭ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ٭ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ٭ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٭ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ٭ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى

والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لاالوحدانية (فإياى فارهبون) نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجىء ماقبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا أو وله الجزاء ثابتا دائما سرمدا لايزول يعنى والثواب العقاب (ومابكم من نعمة) أى شىء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فإليه تجأرون) فما تتضرعون إلااليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يصف راهبا يراوح من صلوات المليـ ٭ ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم ٭ وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة ٭ (فإن قلت) فما معنى قوله (إذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز أن يكون الخطاب فى قوله ومابكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لاللتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافروهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الأمر الوارد فى معنى الخذلان والتخلية واللام لام الأمر (لما لايعلمون) أى لآلهتهم ومعنى لايعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عندالله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لايضر ولاينفع فهم إذا جاهلون بها وقيل الضمير فى لايعلمون للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولاتشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم (لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الإفك فى زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها ٭ كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم (ولهم مايشتهون) يعنى البنين ويجوز فى مايشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أى وجعلوا لأنفسهم مايشتهون من الذكور و(ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجىء ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم)

إغناء الثنية عن ذلك الخ) قال أحمد وهذا الفصل من حسناته التى لايدافع عنها والله الموفق قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار قال أحمد وجاز أن يراد الظلول نهارا لقصد

(قوله راهبا يراوح من صلوات المليك) فى الصحاح المراوحة فى العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة
(قوله ويجوز أن يجىء ظل الخ مغتما مربد الوجه) أى يرد ويستعمل فى الآية بمعناه الأصلى وهو اتصاف الشىء بصفة نهارا فقط لأن أكثر الوضع الخ ومربد الوجه متغيره من الغضب كما يفيده الصحاح

التراب ألا ساء مايحكمون * للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون * تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم * وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم

مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك مابشربه (على هون) على هوان وذل (أم يدسه فى التراب) أم يئده * وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان (ألا ساء مايحكمون) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث وأودهن خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) أى على الأرض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لايضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى أن الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لوأهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء (ويجعلون لله مايكرهون) لأنفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى . وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى هاتوا مادفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال هاتوا مادفع إلى فيؤتى بالكسر والخرق ومالا يؤبه له أماتستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد إن لهم الحسنى وقول قريش لنا البنون وإن لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة (مفرطون) قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء إذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات ومايلزمهم (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التى كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهم فى الدنيا

المبالغة فى وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لوعرجوا نهارا فى الوقت الذى يتغابى على البصر فيه شىء إلى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى ويجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى (قال المراد بما يكرهونه البنات وشركاء فى رياستهم واستخفاف برسلهم الخ قال أحمد ونقيض هؤلاء من إذا أعجبه شىء من ماله جعله لله بل إذا أحب أمة له أعتقها وإذا اشتهى طعاما قدم إليه تصدق به على حبه وإنما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها ويجعلون لله مايشتهون اللهم إن لم تنل رتبة أوليائك فإننا محبتهم فمن أحب قوما حشر معهم

(قوله أم يئده وقرئ أيمسكها). أى يدفنه فى القبر حيا

يؤمنون ۝ وَاللهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ۝ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ

لجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار أى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركى قريش أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لأنهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذى أنزل الكتاب ۝ ودخل اللام على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل وإنما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل ۝ والذى اختلفوا فيه البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار (لقوم يسمعون) سماع إنصاف وتدبر لأن من يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع ۝ ذكر سيبويه الإنعام فى باب ما لا ينصرف فى الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال فى الأنعام وجهان أحدهما أن يكون تكثير نعم كأجبال فى جبل وأن يكون اسما مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم فإذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله

فى كل عام نعم تحوونه ۝ يلقحه قــوم وتنتجونه

وإذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه فى معنى الجمع ۝ وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) أى يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل . وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين (فإن قلت) أى فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما فى بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانيـة لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذى منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أى كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً ۝ (فإن قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والأعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكراً) بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفى كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فإن قلت) فإلام يرجع الضمير فى منه إذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) إلى المضاف المحذوف الذى هو العصير

(قوله كقولهم ثوب أكياس) غير موجود فى الصحاح فلينظر فى غيره (قوله أن يكون تكثير نعم) لعله تكسير بالسين

أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ

كارجع فى قوله تعالى أوهم قائلون إلى الأهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسكراً نحو رشد رشداً ورشداً قال: وجاؤنا بهم سكر علينا ۞ فأجلى اليوم والسكران صاحى
وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى والثانى أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو على الجبائى قدس الله روحه غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج فى المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد ۞ جعلت أعراض الكرام سكرا ۞ أى تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وإنه إذا ابترك فى أعراض الناس فكأنه تخمر بها ۞ والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن. الإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنقيتها فى صنعتها ولطفها فى تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولى العقول عقولهم ۞ وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى (أن اتخذى) هى أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ۞ قرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التى تتعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس (فإن قلت) ما معنى من فى قوله أن اتخذى (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها (من كل الثمرات) إحاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد أكلها أى ابنى البيوت ثم كلى من كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) أى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو فاسلكى ما أكلت فى سبل ربك أى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مآكلك أو إذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنى أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر

۞ قوله تعالى «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون» (قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها الخ) قال أحمد ويتزين هذا المعنى الذى نبه عليه الزمخشرى فى تبعيض من المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وإن حجر عليها فى البيوت وأمرت باتخاذها فى بعض المواضع دون بعض لأن مصلحة الأكل حاصلة على الإطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها فى كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الأمر بين الحجر عليها فى اتخاذ البيوت والإطلاق لها فى تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل أى شىء شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق فسبحان اللطيف الخبير

(قوله فأجلى اليوم والسكران صاحى) يتعدى ولا يتعدى كما فى الصحاح (قوله فلما شيخ وأخذت منه السن العالية) فى الصحاح شاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك وشيخ تشييخا أى شاخ (قوله فقال تناولته الدعارة) فى الصحاح الدعارة الفسق والخبث (قوله وقيل السكر الطعم) فى الصحاح الطعم بالضم الطعام (قوله أى تنقلت بأعراضهم) فى الصحاح النقل بالضم ما ينتقل به على الشراب (قوله وإنه إذا ابترك فى أعراض) فى الصحاح ابترك أى أسرع فى العدو وجد (قوله وإلا فنقيتها فى صنعتها) أى تأنقها أفاده الصحاح (قوله بالثمرات التى تجرسها النحل) فى الصحاح الجرس الصوت الخفى وجرست النحل العرفط إذا أكلته وفيه أيضا العرفط شجر من العضاه وفيه العضاه كل شجر يعظم وله شوك

ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ

إلى البلد البعيد فى طلب الجمة أو أراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى أكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما بتعظيم الشفاء الذى فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء إليه فقال إن أخى يشتكى بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدى إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (إلى أرذل العمر) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة وعن على رضى الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة فى النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى أن الموالى والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم فى رزقى سواء فلا تحسبن الموالى أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فإنما ذلك رزقى أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من (أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم ۝ والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن وأسلمت ۝ بأكفهن أزمة الأجمال واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكراً ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الأمرين (من الطيبات) يريد بعضها لأن كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها

(قوله فقيل هم الأختان على البنات) فى الصحاح الحفدة الأعوان والخدم وفيه أيضا الختن بالتحريك كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ وهم الأختان كذا عند العرب وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته اه فلعل أيضا ضمن الأختان

يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ۞ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموت والأرض شيئا ولا يستطيعون ۞ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ۞ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقنه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم

وشفاعتها وماهو إلا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ۞ ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لاشبهة فيها لذى عقل وتمييزهم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذى لا يتصوره العقول وقيل الباطل مايسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ماأحل لهم ۞ الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى مايرزق فإن أردت المصدر نصبت به (شيئا) كقوله أو إطعام يتيما على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للايملك شيئا من الملك ۞ ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير فى (ولا يستطيعون) لما لأنه فى معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذى لا حس به (فإن قلت) مامعنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد (قلت) ليس فى لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لأنهم موات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الأمثال) تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (إن الله يعلم) كنه ماتفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لأن العقاب على مقدار الإثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذى جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ۞ ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فإن قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شيء) وكل

قوله تعالى فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الأول يكون قوله لله متعلقا بالأمثال كأنه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثانى يكون متعلقا بالفعل الذى هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا لله الأمثال فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ماخفى عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم ۞ عاد كلامه (قال فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه وفى هذه الآية له معتصم لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو أن هذا المملوك ليس بمن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الأصل المعهود فى المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا ومعهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شيء كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول إنه احتراز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فإنه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة إلا فى حال الكتابة لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ كالإلغاز الذى لا يعهد مثله فى بيان القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة ومثل هذا أنكره الإمام أبو المعالى على من حمل قوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها على المكاتبة لبعد القصد إليها على شذوذها وأما الاحتراز به عن المأذون له فيبنى على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وإن لم يكن المأذون له مالكا عند هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فإنها

لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ السَّمَآءِ

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (قلت) أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله وأما لايقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لايصح له (فإن قلت) من فى قوله (ومن رزقناه) ماهى (قلت) الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع أن تكون موصولة (فإن قلت) لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوى الأحرار والعبيد ۞ الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كلّ على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لاينفع ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن) هو سليم الحواس نفاعا ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التى هى أموات لاتضر ولا تنفع ۞ وقرئ أينما يوجهه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعداً وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والأرض) أى يختص به علم ماغاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم (إلا كلمح البصر أو هو أقرب) أى هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم فى الشيء الذى تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم فى استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون فى أقرب وقت وأوحاه (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده ۞ قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة فى أمات كما زيدت فى أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها فى الواحدة قال ۞ أمهتى خندف والياس أبى (لاتعلمون شيئاً) فى موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذى خلقكم

توجب أن يكون المراد بقوله لايقدر على شيء لايملك شيئاً من الرزق كما تقول فى الحر المفلس فلان لايقدر على شيء أى لايملك شيئاً يقدر على التصرف فيه فتلخص من هذا البحث أن فى الآية مجالا لنصرة مذهب مالك وإن كان لقائل أن يقول هذه الصفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كأنه قيل وإنما ضربنا المثل بالمملوك لأن صفته اللازمة له وسمته المعروفة به أنه لايقدر على شيء أى لايصح منه ملك وكثيراً مايجيء الحال والصفة لايقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص ولكن إيضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فقوله لابرهان له به لايقصد به تمييز له سوى الله من إله لأن كل مدعو إلها غير الله تعالى لابرهان به وإنما أريد أن عدم البرهان من لوازم دعاء إله غير الله تعالى فهذا أقصى مايمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا أن نقول فى دفعه أن الأصل فى الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد وأما الوارد من ذلك لازما فنادر على خلاف الأصل والله الموفق

معنى الأعوان أو الخلفاء فعداه بعلى : وفى الخازن عن ابن مسعود : الحفدة أختان الرجل على بناته (قوله وأوحاه) أى

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝

فى البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى إلى مايسعدكم ۝ والأفئدة فى فؤاد كالأغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذا لم يرد فى السماع غيرها كما جاء شسوع فى جمع شسع لاغير فجرت ذلك المجرى ۝ قرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المتواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الأرض فى سمت العلوّ والسكاك أبعد منه واللوح مثله (مايمسكهنّ) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (إلا الله) بقدرته (من بيوتكم) التى تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها ۝ والسكن فعل بمعنى مفعول وهو مايسكن إليه وينقطع من بيت أو ألف (بيوتا) هى القباب والأبنية من الأدم والأنطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) أى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هى خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر جميعا على أنّ اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيئا ينتفع به (إلى حين) إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا ۝ وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكنانا) جمع كن وهو مايستكن به من البيوت المنحوتة فى الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لأنّ الوقاية من الحر أهمّ عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل مايقى من الحر يقى من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) أى تنظرون

قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم (قال المراد يخف عليكم حملها ونقلها الخ) قال أحمد والتفسير الأول أولى لأنّ ظهور المنة فى خفتها إنما يتحقق فى حال السفر وأما المستوطن فغير مثقل وما أحسن قول الزمخشرى فى يوم إقامتكم أنّ المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم ۝ قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هى القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها الخ) قال أحمد يعنى عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الأصل فى هذا الخطاب ۝ عاد كلامه (قال وقيل إن مايقى الحر يقى البرد فدل ذكره) قال أحمد والأول أظهر ألاترى إلى تقديم المنة بالظلال التى تقى من الضحا فى قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على أنّ الأهمّ عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل إنّ مايقى الحر يقى البرد مشهود عليه بالعرف فإنّ الذى يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو لبس الإنسان فى كل

وأسرعه أفاده الصحاح (قوله والأسباب المواتية لذلك) فى الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامة تقول واتيته (قوله فى سمت العلوّ والسكاك أبعد منه) فى الصحاح السكاك والسكاكة الهواء الذى يلاقى أعنان السماء وفيه أيضاً أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها والعنان بالفتح السحاب (قوله يريد الدروع والجواشن والسربال) فى الصحاح الجوشن الصدر والجوشن الدرع

يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكفرون * ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون * وإذا رءا الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون * وإذا رءا الذين أشركوا شركآءهم قالوا ربنا هؤلاء شركآؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكذبون * وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدنهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك

فى نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أى تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التى عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فإن قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون أى لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل (فإن قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذنون لهم فى إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة * وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية * إن أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى (شركاؤنا) آلهتنا التى دعوناها شركاء وإن أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى و (ندعوا) بمعنى نعبد * (فإن قلت) لم قالوا (إنكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قولهم إنكم لكاذبون كما يقول الشيطان إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل (وألقوا) يعنى الذين ظلموا وإلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم * وحملوا غيرهم على الكفر * يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل فى زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم

واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر يعد من الثقلاء

(قوله معناها انهم يمنون بعد شهادة الأنبياء) فى الصحاح منوته ومنيته إذا ابتليته (قوله فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا) حمة العقرب بالتخفيف والهاء عوض عن اللام وهى سمها وأما حمة الحر فبالتشديد وهى معظمه أفاده الصحاح

شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ◦ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ◦ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

عن سبيل الله (شهيداً عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وجئنابك) يامحمد (شهيداً على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء فى كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه فى غير القرآن (فإن قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شىء) (قلت) المعنى أنه بين كل شىء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وماينطق عن الهوى وحثاً على الإجماع فى قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم فى قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شىء ◦ العدل هو الواجب لأن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل مافرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم (والإحسان) الندب وإنما علق أمره بهما جميعاً لأن الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لازدت فيها ولانقصت أفلح إن صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغى أن يترك مايجبر كسر التفريط من النوافل ◦ والفواحش ماجاوز حدود الله (والمنكر) ماتنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمرى إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا

◦ قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية (قال العدل الواجب والإحسان الندب) قال أحمد وفى جمعهما تحت الأمر مايدل لمن قال إن صيغة الأمر أعنى هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لاصيغة أفعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم ◦ عاد كلامه (قال وإنما كان الواجب عدلا لأن الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه وليجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف مالا يطاق لأنه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل وأن تكليف مالا يطاق جائز عليه وعدل منه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين أن كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد لاشريك له فى ملكه وكيف يكون شريكه عبداً مسخراً فى قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض وإذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لايطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتى والتيسر فى الأفعال الاختيارية التى هى محال التكاليف والله الموفق ◦ عاد كلامه (قال وإنما قرنهما فى الأمر لأن الفرض لايخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصرّ على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لأجله إنما هو الصدق فى سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم ◦ عاد كلامه (قال والفواحش ماجاوز حدود الله والمنكر ماتنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضا لفتة إلى الاعتزال ولو قال والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق ولكنه لايدع بدعة المعتزلة فى التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق ◦ عاد كلامه (قال والبغى طلب التطاول بالظلم) قال أحمد وأصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا ◦ عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهى عن البغى فيها وبين الحديث الوارد فى أن المناصب

مَاتَفْعَلُونَ ۞ وَلَاتَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَاتَتَّخِذُوا

وتحزبا إجابة لدعوة نبيه وعادى من عاداه وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون ۞ عهدالله هي البيعة لرسول الله ﷺ على الاسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (ولاتنقضوا) أيمان البيعة (بعد توكيدها) أي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهداً ورقيباً لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (ولا تكونوا) في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ماينكث فتله قيل هي ريطه بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون) حال و (دخلا) أحد مفعولي اتخذ يعني ولاتنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أي مفسدة ودغلا (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أربى من أمة) هي أزيد عدداً وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (إنما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه في معنى المصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبينن لكم) إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضل (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدي من يشاء) وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى مايستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لايستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه ۞ ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم مايركب

لعلي باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي تقتلك الفئة الباغية والله أعلم فقتل مع علي يوم صفين ۞ قوله تعالى «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة» (قال محمود معناه على طريقة الإلجاء والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعتزالي قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على أن مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق كلهم ماوقعت وأنه إنما شاء منهم الافتراق والاختلاف فإيمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولو شاء شمولهم بالإيمان لوقع فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فإذا قيل له فعلام تحمل المشيئة في الآية قال على مشيئة إيمانهم قسراً لا اختياراً وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا ۞ عاد كلامه (قال محمود ومما يدل على أن الله لم يبن الأمر على الإجبار وإنما بناه على الاختيار قوله تعالى «ولتسئلن عما كنتم تعملون» ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم مايسألون عنه) قال أحمد أما أهل السنة يسميهم المصنف مجبرة فهم من الإجبار بمعزل لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون

(قوله أي مفسدة ودغلا) في الصحاح الدغل بالتحريك الفساد مثل الدخل (قوله وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالإضلال خلق الضلال في القلب لأنه يجوز على الله خلق الشر عندهم دون المعتزلة كما بين في محله (قوله ولو كان هو المضطر إلى الضلال) على معنى اسم الفاعل أي الذي يضطر العباد ويلجئهم وقوله لما أثبت الخ مسلم ولكنه لم يضطرهم ولم يلجئهم ولو كان هو الخالق لأعمالهم في الحقيقة لما لهم فيها من الكسب

أيمانكم دخلا بينكم فتزلّ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ۞ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ۞ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ۞ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ۞ فإذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطن الرجيم ۞ إنه ليس له سلطن على الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون ۞ إنما سلطنه على الذين يتولونه والذين

منه (فتزلّ قدم بعد ثبوتها) فتزلّ أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها (وتذوقوا السوء) فى الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة ۞ كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمناً قليلا) عرضاً من الدنيا يسيراً وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا (إنما عند الله) من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم ۞ ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد ۞ وقرئ لنجزينّ بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاقّ الإسلام (فإن قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزلّ قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة ۞ (فإن قلت) (من) متناول فى نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر أو أنثى) على التبيين ليعمّ الموعد النوعين جميعاً (حياة طيبة) يعنى فى الدنيا وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسراً فلا إشكال فى أمره وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضى الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعنى فى الجنة وقيل هى حلاوة الطاعة والتوفيق فى قلبه ۞ لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) إيذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التى يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسمّ الله (فإن قلت) لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوىّ وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى يا ابن أمّ عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له

قدرته تعالى هى الموجدة والمؤثرة وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزاً بين الاختيارى والقسرى وتقوم به حجة الله على عبده والله الموفق ۞ قوله تعالى «فتزلّ قدم بعد ثبوتها» (قال محمود إن قلت لم وحدت القدم ونكرت الخ) قال أحمد ومن جنس إفادة التنكير ههنا للتقليل إفادته له فى قوله تعالى «وتعيها أذن واعية» وفى قوله عزّ وجلّ «اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد» فنكر الإذن والنفس تقليلا للواعى من الناس لما يقضى بسداده وللناظر من الخلق فى أمر معاده والله الموفق

كما قرره أهل السنة فى علم التوحيد فلينظر (قوله ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته أى يفنى كما فى الصحاح

هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ۞ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ

سلطان) أى تسلط وولاية على أولياء الله يعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (إنما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به مشركون) الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته ۞ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة ۞ والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت مايشاء وينسخ مايشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمداً يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فإن قلت) هل فى ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس (قلت) فيه أن قرآناً ينسخ بمثله وليس فيه نفى نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن فى إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها ۞ فى ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وإن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة فى خروجه عن الحكمة و(روح القدس) جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) فى موضع الحال أى نزله ملتبساً بالحكمة يعنى أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ۞ أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمى وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلمنى وقيل هو سلمان الفارسى ۞ واللسان اللغة ۞ ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالا لطعنهم ۞ وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفى قراءة الحسن اللسان الذى يلحدون اليه بتعريف اللسان (فإن قلت) الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ما محلها (قلت) لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لأنهم من أهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من أهل اللطف والثواب (إنما يفترى الكذب) رد لقولهم إنما أنت مفتر يعنى إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب

الْكَـٰذِبُونَ ۞ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَـٰنِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ ۞ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞

عقابا عليه (وأولئك) إشارة إلى قريش (هم الكاذبون) أى هم الذين لايؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين لايؤمنون أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لايبالون به فى كل شىء لاتحجبهم عنه مروءة ولادين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم إنما أنت مفتر (من كفر) بدل من الذين لايؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ۞ واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدإ الذى هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة قالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين فى الإسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يارسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا (فإن قلت) أى الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لأن فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للإسلام وقد روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة الذين لاأحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (ثم إن ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لاعليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لاعدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لاعليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد مافتنوا) بالعذاب والإكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أى بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) منصوب برحيم أو بإضمار اذكر ۞ (فإن قلت) مامعنى النفس المضافة إلى النفس (قلت) يقال لعين الشىء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الأولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞

فكأنه قيل يوم يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقوله هؤلاء أضلونا . ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها (مطمئنة) لايزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا ۞ والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع او جمع نعم كبؤس وأبؤس وفى الحديث نادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا ۞ (فإن قلت) الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه (قلت) أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه مايدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لابد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لايقع إلا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ۞ غلقت لضحكته رقاب المال

استعارة الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاصفة الرداء نظر إلى المستعار له والثانى أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله :

ينازعنى ردائى عبد عمرو ۞ رويدك ياأخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ۞ ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم

۞ قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال إن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة إيقاع الإذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد نظر إليهما جميعاً فى قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا للحقيقة الأصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فإنه تجرد عن الاستعارة إذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر إلى المستعار فى بابه كترشيح المجاز فى بابه ومنه ۞ إذا الشيطان قصع فى قفاها ۞ تنفقناه بالحبل التوام ۞ فجعل الشيطان فى قفاها قاصعاً ثم نافقاً ثم جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره والشوط فى هذا الفن البديع فطين والله الموفق ۞ قوله عز وجل إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا إلى قوله

(قوله بمايدرك من الطعم المر والبشع) عبارة غيره طعم المر والبشع ولعله المر البشع بدون واو (قوله ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف) فى الصحاح الغمر الماء الكثير وفيه الاعتجار لف العمامة على الرأس وفيه الضافى السابغ

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا

لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافى الرداء إذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة ۞ وقرئ والخوف عطفاً على اللباس أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع ۞ لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فى قوله (فكلوا) صدّهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التى كانوا عليها بأن أمرهم بأ كل مارزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال (إن كنتم إياه تعبدون) يعنى تطيعون أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ماشرع الله على لسان أنبيائه ۞ وانتصاب (الكذب) بلاتقولوا على ولاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى وحى من الله أو إلى قياس مستند إليه ۞ واللام مثلها فى قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل مامصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لاتحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فإن قلت) مامعنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته كقولهم: وجهها يصف الجمال. وعينها تصف السحر، وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى «بدم كذب» والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة الألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أوهو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جنى ۞ واللام فى (لتفتروا) من التعليل الذى لايتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيماهم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ماقصصنا عليك) يعنى فى سورة الأنعام (بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أوغير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله

ثم أوحينا إليك (قال محمود فى قوله أمة وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم الخ) قال أحمد ويقوى هذا الثانى قوله تعالى «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً» أى كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا آثاره

لأنعمه اجتبىٰه وهدىٰه إلى صراط مستقيم ۝ وءاتينٰه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصٰلحين ۝ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبرٰهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك

وليس لله بمستنكر ۝ أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار . والثانى أن يكون أمة بمعنى مأموم أى يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله «قال إنى جاعلك للناس إماما» وروى الشعبى عن فروة بن نوفل الأشجعى عن ابن مسعود أنه قال : إن معاذاً كان أمة قانتاً لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم . فقال : الأمة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان معاذ حياً لاستخلفته ولو كان سالم حياً لاستخلفته فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أى كان إماما فى الدين لأن الأئمة معلمو الخير ۝ والقانت القائم بما أمره الله ۝ والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ۝ ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش فى زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم (شاكراً لأنعمه) روى أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكراً لله على أنه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه إلى صراط مستقيم) إلى ملة الإسلام (حسنة) عن قتادة هى تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل الأموال والأولاد وقيل قول المصلى مما كما صليت على إبراهيم (لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا إليك) فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله إبراهيم من الكرامة وأجل ما أولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بأنعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته (فإن قلت) ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت

المباركات حتى أنت على جلالة قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال محمود فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ) قال أحمد وإنما تفيد ذلك ثم لأنها فى أصل وضعها لتراخى المعطوف عليه فى الزمان ثم استعملت فى تراخيه عنه فى علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف عليه فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدراً وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبى الأمى الذى هو سيد البشر متبع لملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحى متلو أمره بذلك فى القرآن العظيم ففى ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبى صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه والله الموفق للصواب

(قوله كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك) فى الصحاح الرحلة بالضم الوجه الذى تريده وبالكسر الارتحال

لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۞

لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ۞ ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله إنا أنزلنا السبت (إلى سبيل ربك) إلى الإسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف (إن ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه فى حديد بارد ۞ سمى الفعل الأول باسم الثانى للمزاوجة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ۞ وقرئ وإن عقبتم فعقبوا أى وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحداً غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور ۞ إما أن يرجع الضمير فى (لهو) إلى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التى تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع إلى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى «فمن عفا وأصلح فأجره على الله . وأن تعفوا أقرب للتقوى » ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك إلا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون (ولا تك فى ضيق) وقرئ ولا تكن فى ضيق أى ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (إن الله مع الذين اتقوا) أى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصى (و) ولى (الذين هم محسنون) فى أعمالهم وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال إنما الوصية من المال ولا مال لى وأوصيكم بخواتيم سورة النحل . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه فى دار الدنيا وإن مات فى يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذى مات وأحسن الوصية

سورة الإسراء مكية

إلا الآيات ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠ فمدنية

وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي

﴿سورة الإسراء مكية وهى مائة وعشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها إليه أعداء الله و(أسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فإن قلت) الإسراء لايكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل كقوله «ومن الليل فتهجد به نافلة» يعنى الأمر بالقيام فى بعض الليل واختلف فى المكان الذى أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب ۞ والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى أنه كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت

﴿القول فى سورة الإسراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (قال فإن قلت الإسراء لايكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحمد وقد قرن الإسراء بالليل فى موضع لايليق الجواب عنه بهذا كقوله بأهلك بقطع من الليل «فأسر» وكقوله تعالى «فأسر بعبادى ليلا» فالظاهر والله أعلم أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيده تصوير السير بصورته فى ذهن السامع وكأن الإسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلا أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتا فى نفس المخاطب وتنبيها على أنه مقصود بالذكر ونظيره فى إفراد أحد مادل عليه اللفظ المتقدم مضموماً لغيره قوله تعالى وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فالاسم الحامل للتثنية دل عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فأريد التنبيه لأن أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أريد الإيقاظ لأن الوحدانية هى المقصودة فى قوله إنما هو إله واحد ولو اقتصر على قوله إنما هو إله لأوهم أن المهم إثبات الإلهية له والغرض من الكلام ليس إلا الإثبات للوحدانية والله أعلم

(قوله القبائح التى يضيفها إليه أعداء الله) يريد بهم أهل السنة القائلين بأنه تعالى هو الخالق لجميع الحوادث من أفعال العباد وغيرها خيراً كانت أو شراً خلافا للمعتزلة فى قولهم إن العبد هو الخالق لفعل نفسه حتى يكون مقدوراً له فيصح تكليفه به ولكن استند أهل السنة لمثل قوله تعالى الله خالق كل شىء والله خلقكم وماتعملون وهذا لاينافى اختيار العباد فى أفعالهم لأنهم أثبتوا لهم الكسب فيها كما تقرر فى علم التوحيد

بٰرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايٰتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ وَجَعَلْنٰهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ۞ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۞ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرٰٓءِيلَ فِي الْكِتٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَآ

أمّ هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبونى فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء فقال أبو جهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أنصدقه على ذلك قال إنى لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر إلى ماثمّ فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وانه لقى الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف فى أنه كان فى اليقظة أم فى المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية إنما عرج بروحه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك ۞ والمسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحى وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة ۞ وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (إنه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (ألا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا أى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه أنه قد فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة فى إنجاء آبائهم من الغرق (إنه) إن نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان إذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى وإذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى وإذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى وإذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولو شاء حبسه وروى أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجا آثره به (فإن قلت) قوله إنه كان عبداً شكوراً ماوجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لأن نوحا عليه السلام كان عبداً شكوراً وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا إلى بنى إسرائيل) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الأرض لامحالة ويعلون أى يتعظمون ويبغون (فى الكتاب) فى التوراة و(لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى

أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر مايقال عباد الله وعبيد الناس: سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت. قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فإن قلت) كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين مافعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم ۝ وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار (فإن قلت) مامعنى (وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعنى وكان وعد العقاب وعدا لابد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل هى قتل داود جالوت (أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ۝ أى الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لايتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن على رضى الله عنه ماأحسنت إلى أحد ولاأسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفى قراءة على لنسوأن وليسوأن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة ۝ واللام فى (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب إذا جاء (ماعلوا) مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شىء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وإن عدتم) مرة ثالثة (عدنا) إلى عقوبتكم

۝ قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال إن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال إنما يتوجه على قدرى يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية مايتوهمه بعقله مصلحة وأما السنى إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لايسئل عمايفعل والله الموفق

(قوله سنجاريب وجنوده) كان ملك بابل وبختنصر هو ابن ابنه وكان من كتابه كذا فى الخازن (قوله فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك) مبنى على أنه تعالى لايفعل الشر ولايريده وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ولو شرا فلاسؤال (قوله (فإذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم) أى عبادناوهم فى هذه المرة الفرس والروم بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خروش حتى دخل الشام بجنوده فقتل وسبى حتى كاد يفنى بنى إسرائيل وبقى منهم بقايا حتى كثروا وكانت لهم الرياسة فى بيت المقدس إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث

ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ۞

وقد عادوا فأعاد الله إليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب فهم منهم فى عذاب إلى يوم القيامة (حصيراً) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه ۞ وقرئ ويبشر بالتخفيف ۞ (فإن قلت) كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ إما مؤمن تقى وإما مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فإن قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على أن لهم أجراً كبيراً على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون ۞ أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير (وكان الإنسان عجولا) يتسرع إلى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله لايتأنى فيه تأنى المتبصر وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنى سألت الله أن يجعل لعنتى ودعائى على من لايستحق من أهلى رحمة لأنى بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعنى أن العذاب آتيه لامحالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا ۞ فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة والثانى أن يراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لايستبان فيه شىء كما لايستبان مافى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أى تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شىء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين و) جنس (الحساب) وماتحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت الأمور (وكل شىء) مما تفتقرون إليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه)

فسلط الله عليهم ططوس بن أسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها وبقى بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره اه من الخازن (قوله كما يبسط الحصير المرمول) أى المنسوج أفاده الصحاح

(قوله وإنما حدث أصحاب المنزلة) يعنى الفسقة وإثبات الواسطة مذهب المعتزلة دون أهل السنة فإن الفسق لايزيل الإيمان عندهم (قوله فشكا ألم القد) فى الصحاح القدّ بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۞ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۞ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ

بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا العلل وما تركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه فى سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعنى ألزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت فى الرقاب وهذا ربقة فى رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها فى عنقك . وقرئ فى عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر أى يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال ۞ وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على إرادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم ما لم يكن فى الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه ۞ وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لأن الشاهد يكفى المدعى ما أهمه (فإن قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لأنه بمنزلة الشهيد والقاضى والأمير لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك ۞ أى كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وما صح منا صحة مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن (نبعث) إليهم (رسولا) فنلزمهم الحجة (فإن قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التى بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التى لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر فى أدلة العقل (وإذا أردنا) وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل أمرناهم (ففسقوا) أى أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقى أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصى واتباع

قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه وما صح منا صحة مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسول الخ) قال أحمد وهذا السؤال أيضا إنما يتوجه على قدرى يزعم أن العقل يرشد إلى وجوب النظر وإلى كثير من أحكام الله تعالى وإن لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب إذ العقل كاف عندهم فى إيجاب المعرفة بل فى جميع الأحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأما السنى فلا يتوجه عليه هذا السؤال فإن العقل عنده شرط فى وجوب عموم الأحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الأنبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة كما أنبأت عنه هذه الآية التى يروم الزمخشرى تحريفها فتعتاص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه لأنه الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة فى حصول المعرفة لا فى وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق ۞ قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (قال حقيقة أمرهم أن يقول لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقى أن يكون مجازا الخ) قال أحمد نص

(قوله إلا قليل أمرناهم ففسقوا) فى النسفى أمرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها

فدمرناها تدميرا ۞ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ۞ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ۞ ومن أراد الآخرة

الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فإن قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام وقراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يتمثل أمرى لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوى لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان منى أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطى ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول (فإن قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقصد والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعى إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء فى أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن إليك ولو شاء لأساء إليك تريد لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وروى أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم إنه سيأمر أى سيكثر وسيكبر ۞ وقرئ آمرنا من أمر وأمره غيره وأمّرنا بمعنى أمرنا أو من أمر أمارة وأمره الله أى جعلناهم أمراء وسلطناهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعنى عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على أن الذنوب هى أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها ۞ من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثانى تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون

حسن إلا قوله أنهم خلوا النعم ليشكروا فإنه فرعه على قاعدة وجوب إرادة الله تعالى للطاعة والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر والأمر غير الإرادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق ۞ قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد إلى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (قال أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب فأدخل من المبعضة على حرث الدنيا ونحل الطالب حرث الآخرة مراده وزاد عليه

(ففعل كثبرته فثبر وفى الحديث خير المال سكة مأبورة) فى الصحاح ثبرته أى حبسته، وفيه السكة الطريقة من النخل، وفيه أبر نخله أى لقحه وأصلحه

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۞ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞

ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظاً من الدنيا أو لم يؤت فإن أوتي فيها وإلا فربما كان الفقر خيراً له وأعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع إلى من وهو في معنى الكثرة ۞ وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق إذاً بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد مايشاء من الدنيا وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهدة للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه (مدحوراً) مطروداً من رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة ۞ اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ۞ وشكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لانقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك) وفضله (محظورا) أي ممنوعا لايمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين في التفضل ۞ وفي الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر ۞ وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أنها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل (فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (وقضى ربك) وأمر أمراً مقطوعا به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولاتعبدوا نهي أو بأن لاتعبدوا (وبالوالدين إحسانا) وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا ۞ وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان لأن المصدر لايتقدم عليه صلته (إما) هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لاتقول إن تكرمن زيداً يكرمك ولكن إماتكرمنه و (أحدهما) فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين و (كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فإن قلت) لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لابدلا فمالك زعمت أنه بدل (قلت) لأنه معطوف على مالايصح أن يكون توكيداً للاثنين فانتظم في حكمه فوجب

(قوله لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك) في الصحاح دهماء الناس جماعتهم

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ

أن يكون مثله (فإن قلت) ماضرّك لو جعلته توكيداً مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أنّ التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول (أف) صوت يدل على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ ۝ (فإن قلت) مامعنى عندك (قلت) هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشدّ احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه فى حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لايقول لهما إذا أضجره مايستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال لايكاد يدخل صبر الإنسان معها فى الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لايعجبك والنهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه ياأماه كما قال إبراهيم لأبيه يا أبت مع كفره ولايدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها نحلنى أبو بكر كذا ۝ وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فإن قلت) مامعنى قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل أو الذلّ كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثانى أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يداً وللقوة زماما مبالغة فى التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس ولا تكتف برحمتك عليهما التى لابقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك (فإن قلت) الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين (قلت) وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزاً ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه ولاشىء أنفع له من الاستغفار ولو كان شىء أفضل منه لأمركم به فى الأبوين ولقد كرّر الله سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل البارّ مايشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق مايشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أنّ البارّ لايموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوى وفقيراً وأنا غنى فكنت لا أمنعه شيئا من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى ويبخل علىّ بماله فبكى رسول الله ﷺ وقال مامن حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال مافعلت قال حججت بها على عاتقى قال ماجزيتها ولو طلقة

(قوله وسوء الأدب وعادة الدعار) من الدعارة وهى الفسق والخبث والفساد كذا فى الصحاح (قوله كما جعل لبيد الشمال يداً) فى قوله . وغداة ريح قد كشفت وقرة ۝ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (قوله قال ماجزيتها ولو طلقة)

إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ۝ وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ۝ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ۝ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ۝ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد

وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمه ويقول

إنى لها مطية لا تذعر ۝ إذا الركاب نفرت لا تنفر ماحملت وأرضعتنى أكثر ۝ الله ربى ذو الجلال الأكبر

تظننى جازيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد ريحها من سيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبى يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزراً إليهما ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أوداهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه (بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (إن تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هنة تؤدى إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها فإن الله غفور (للأوابين) للتوابين وعن سعيد بن جبير هى فى البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاماً لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسراً أن ينفق عليهم عند أبى حنيفة والشافعى لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أولم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعنى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذى القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدًّا فى باطل كان تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار (إخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان أوهم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أوهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفوراً) فما ينبغى أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن إخوان الشيطان ۝ وإن أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسوراً) فلا تتركهم غير مجابين إذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم

فى الصحاح الطلق وجع الولادة اه فالطلقة المرة منه (قوله تظننى جزيتها يا ابن عمر) لعله ثم قال تظننى (قوله لا يذهب بأبيه إلى البيعة) فى الصحاح البيعة بالكسر للنصارى (قوله ولا تنظر شزرا إليهما) هو نظر الغضبان بمؤخر العين كذا فى الصحاح

مَلُومًا مَحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ

-إذاسئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء قوله ابتغاء رحمة من ربك إمّا أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أى وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردّهم ردّا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأنّ فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وإمّا تعرضنّ عنهم وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطى أعرض بوجهه . يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر . هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لأنّ المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شىء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال إنّ أمى تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمّه فقالت له قل له إن أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول :

أتجعل نهبى ونهب العبيـ ۞ ـد بين عيينة والأقرع ۞ وما كان حصن ولا حابس
يفوقان جدى فى مجمع ۞ وما كنت دون امرئ منهما ۞ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الإبل فنزلت ۞ ثم سلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الإضاقة بأنّ ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأنّ مشيئته فى بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذى الخزائن فى يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عزّ وعلا بسط لعباده أو قبض فإنه يراعى أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهنّ خشية الفاقة وهى الإملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم ۞ وقرئ خشية بكسر الخاء ۞ وقرئ خطأ وهو الإثم يقال خطئ خطأ كأثم إثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن أبى رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله (إلا بالحق) إلا بإحدى ثلاث

(قوله مثل سعد الرجل ونحس) فى الصحاح سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد بالضم فهو مسعود (قوله قولا ذا ميسور وهو اليسر) فى الصحاح المعسور ضد الميسور وهما مصدران وقال سيبويه هما صفتان (قوله مائة من الإبل وعيينة بن حصن) لعل هنا سقطا تقديره مائة (قوله فى بسط الارزاق وقدرها) أى تضييقها أفاده الصحاح (قوله هو وأدهم بناتهم) وأد البنت دفنها فى القبر وهى حية كما فى الصحاح (قوله وهو الصهر الذى شرعه الله) أى التزوج أفاده الصحاح

فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۞ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۞ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ

إلا بأن تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزنى بعد احصان (ظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذى بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فإن لم يكن له ولى فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه أوحجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل فى كليب غرة ۞ حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء وقيل الإسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر فى معنى الأمر وفيه مبالغة ليست فى الأمر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الأول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولى أو قاتل المظلوم وفى قراءة أبىّ فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا (إنه كان منصورا) الضمير إمّا للولى يعنى حسبه أنّ الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأنّ الله قد نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ماوراء حقه وإمّا للمظلوم لأنّ الله ناصره وحيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب وإمّا للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف (بالتى هى أحسن) بالخصلة أو الطريقة التى هى أحسن وهى حفظه عليه وتثميره (إنّ العهد كان مسؤلا) أى مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت ويجوز أن يراد أنّ صاحب العهد كان مسؤلا ۞ قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤل إليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعنى ولا تكن فى اتباعك مالا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال والمراد النهى عن أن يقول الرجل مالا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهراً لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور

۞ قوله تعالى وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤلا (قال أى يطلب من المعاهد أن يفى به ولا ينكثه الخ) قال أحمد كلام حسن إلا لفظة التخييل فقد تقدم إنكارها عليه وينبغى أن يعوض بالتمثيل والظاهر التأويل الأول ويكون المجرور الذى هو عنه حذف تخفيفاً وقد ذكر فى بقية الآى كل أولئك كان عنه مسؤلا والله أعلم ويعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدى الله وسؤالها فيمن وصلها وقطعها وقد ورد ذلك فى الحديث الصحيح والله الموفق

(قوله بؤ بشسع نعل كليب) فى الصحاح يقال بؤ به أى كن ممن يقتل به وفيه البواء السواء وفيه الشسع واحد شسوع النعل التى تشد إلى زمامها وفيه الغرة العبد أو الأمة (قوله وبأنّ الله قد نصره) لعله أو أن (قوله بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون) أى القبان كذا فى النسفى (قوله وقيل القفو شبيه بالعضيهة) فى الصحاح العضيهة البهيتة وهى الإفك والبهتان (قوله حبسه الله فى ردغة الخبال) فى الصحاح الردغة بالتحريك الماء والطين والوحل الشديد وكذلك الردغة بالتسكين وفيه الخبال والعناء والفساد وأما الذى فى الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه وقفه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى يجئ بالمخرج منه فيقال هو صديد أهل النار

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۞ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۞ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۞ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا

وعن الحسن لاتقف أخاك المسلم إذا مربك فتقول هذا بفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفى مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وأنشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن ۞ بهن الحياء لايشعن التقافيا

أى التقاذف وقال الكميت

ولا أرمى البرىّ بغير ذنب ۞ ولا أقفو الحواصن إن قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأنّ ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك) إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله ۞ والعيش بعد أولئك الأيام ۞ و(عنه) فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم. يقال للإنسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه ۞ وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واواً بعد الضمة فى الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال أى ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد (لن تخرق الأرض) لن تجعل فيها خرقا بدرسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال ۞ قرئ سيئة وسيئه على إضافة سيء إلى ضمير كل وسيأ فى بعض المصاحف وسيآت وفى قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فإن قلت) كيف قيل سيئه مع قوله مكروها (قلت) السيئة فى حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيأ الا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث (فإن قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لابجميع الخصال المعدودة (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من قوله لاتجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية ۞ وسماه حكمة لأنه كلام محكم لامدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح أولها لاتجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ۞ ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذفيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم (أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لايؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات (إنكم لتقولون قولا عظيما) بإضافتكم

۞ قوله عز وجل ولاتمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه لن تجعل فيها خرقا الخ) قال أحمد وفى هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية فى الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا بينا أحدهم قد عرف مسئلتين أو أجلس بين يديه طالبين أو شدا طرفا من رياسة الدنيا إذا هو يتبختر فى مشيه ويترجع ولايرى أنه يطاول الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيده أن يقرأ

(قوله وإن بذ فيها الحكماء) فى الصحاح بذه غلبه وفاقه

وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۞ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۞ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۞ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

إليه الأولاد وهى خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يجوز يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشدداً ومخففاً أى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم (فما يزيدهم إلا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا ۞ قرئ كما تقولون بالتاء والياء و (إذا) دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة (علواً) فى معنى تعالياً والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ۞ ومعنى وصف العلوّ بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به ۞ والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عز وجلّ مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها ۞ (فإن قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق ۞ (فإن قلت) من فيهنّ يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه (قلت) التسبيح

القرآن أو يقرأ عليه وقلبه عن تدبره على مراحل والله ولىّ التوفيق ۞ قوله تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول فما يصنع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم وإشراكهم وإنما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر ان المخاطب المؤمنون وأما عدم فقهنا للتسبيح الصادر من الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فإن الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام والافعال والعاكف على الغيبة التى هى فاكهتنا فى زماننا هذا لو استشعر حال إفاضته فيها ان كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذى يلقلقه فى سخط الله تعالى عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وإرهاب جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد ان لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله أعلم ان الآية إنما وردت خطابا على الغالب فى أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين والله الموفق فالحمد لله الذى كان حليما غفورا ۞ عاد كلامه (قال إن قلت من فيهنّ يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال أحمد وقد تقدم نقلى عنه أنه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة فى النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون أراد ثم المجاز والله الموفق

(قوله وهم أعلى خلق الله وأشرفهم) هذا على مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل من الملاك

بِالْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَقُل لِّعِبَادِي

المجازى حاصل فى الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (إنه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه ۝ يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة (وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك فى أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا أوحده ۝ والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزؤ أى هازئين و (إذ يستمعون) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (وإذهم نجوى) وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى (إذ يقول) بدل من إذ هم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أى هو بشر مثلكم (ضربوا لك الأمثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع ۝ لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شىء من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم فى زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل السموات والأرض (فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ۝ والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع ستركبه وأنت حامد شاكر

يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۞ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

يعنى أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى أنك تلين لين المسمح الراغب الحامد . عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا الدنيا وتحسبونها يوما أوبعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى أحسن وفسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله (إن الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى ربا موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله ۞ وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون ۞ هو ردّ على أهل مكة فى إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبى طالب نبياً وأن تكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك فى بعض أكابرهم وصناديدهم يعنى وربك أعلم بمن فى السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأنّ ذلك مكتوب فى زبور داود وقال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته (فإن قلت) هلا عرف الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا ۞ هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أوفقر أوعذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه و(أولئك) مبتدأ و(الذين يدعون) صفته و(يبتغون) خبره يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة إلى الله تعالى و(أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أوضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إن عذاب ربك كان) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى

(قوله حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه) فى الصحاح أسمحت قرونته أى ذلت نفسه وتابعته على الأمر
(قوله وآتينا داود بعض الزبور) لعله الزبر

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۞ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۞ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ
بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ

مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ ۞ استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة ۞ وأن الأولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وعادة الله فى الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ۞ ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لأن آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إلا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته فى إخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبى صلى الله عليه وسلم فى العريش مع أبى بكر رضى الله عنه كان يدعو ويقول اللهم إنى أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها ثم

۞ قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة أنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعمدة فى ذلك أن النار لا تؤثر إحراقا فى شىء ولكن الله تعالى أجرى العادة أنه خالق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الأجسام فإذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فالله تعالى

إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۞ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۞ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ

أقرب من ذلك أنه خاق فى كل شجرة ناراً فلاتحرقها فمن أنكروا أن يخلق فى النار شجرة لاتحرقها والمعنى أنّ الآيات إنما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قدخوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر ۞ فما كان ما (أريناك) منه فى منامك بعد الوحى إليك (إلافتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أى نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلا طغيانا كبيراً) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال مايقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الإسراء وبه تعلق من يقول كان الإسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائى ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل هى رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى فى المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة ۞ (فإن قلت) أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأنّ الشجرة لاذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن والإبعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هى الكشوث التى تتلوى بالشجر يجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل أبوجهل ۞ وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (طينا) حال إما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا (أرأيتك) الكاف للخطاب و(هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرمته) (علىّ) أى فضلته لم كرمته علىّ وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) واللام موطئة للقسم المحذوف (لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ماعليها أكلا وهو من الحنك ومنه ماذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أى آكلهما (فإن قلت) من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أوخرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أونظر إليه فتوسم فى مخايله أنه خلق شهوانى وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته فى آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجىء إنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ماجره سوء اختياره فى قوله (فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامرى فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس (فإن قلت) أما كان من حق الضمير فى الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فإنّ جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما فى فإنّ جهنم جزاؤكم

أن لايفعل الحرق فى الشجرة التى فى أصل الجحيم ۞ عاد كلامه (قال وأما الرؤيا فقيل الإسراء وتعلق من جعله مناما بهذه الآية وقيل إنما سماها رؤيا على زعم المكذبين الخ) قال أحمد ويبعد ذلك قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وقوله فإنهم

(قوله فلاتحرقها فما أنكروا أن يخلق فى النار شجرة) عبارة النسفى فجاز أن يخلق (قوله فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق) الخلط الضار يمزج بالطعام أو الشراب كالسم والممحوق المذاب حتى يذهب عينه أفاده الصحاح وفيه الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق فى الأرض قال الشاعر هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ۞ ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۞ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۞

من معنى تجازون أو بإضمار تجازون او على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة ۞ استفزه استخفه والفز الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهى الصياح ۞ والخيل الخيالة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبى ۞ والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ۞ وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك (فإن قلت) مامعنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال ۞ وأما المشاركة فى الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق فى الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل (إن عبادى) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أى لاتقدر أن تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ماشئتم (يزجى) يجرى ويسير ۞ والضر خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لاتذكرون سواه ولاتدعونه فى ذلك الوقت ولاتعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله

لا كلون منها والله أعلم قوله تعالى «وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا» الآية (قال محمود المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجرى المصنف على السنة ومتبعيها فإنه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق عليها بين أهل السنة والجماعة التى وعد بها الصادق المصدوق وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحلة اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا فى زمرة السنة والجماعة

(قوله من الجلبة وهى الصياح) فى الصحاح جلب على فرسه وأجلب عليه صاح به من خلفه واستحثه للسبق اه (قوله مثل حدث وحدث وندس وندس) فى الصحاح رجل حدث وحدث بضم الدال وكسرها أى حسن الحديث وفيه رجل ندس وندس أى فهم (قوله وماش من أهل العيث) فى الصحاح العيث الإفساد (قوله بعد أن يصيروا حمما) فى الصحاح الحمم الرماد والفحم الواحدة حممة ثم ماأفاده من توقف المغفرة على التوبة وعدم الشفاعة فى الكبائر وعدم خروج أهلها من النار بعد احتراقهم هو مذهب المعتزلة وأهل السنة على خلاف ذلك كما تقرر فى علم التوحيد

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۞

وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض ﴿ (فإن قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) بيخسف مفعولا به كالأرض فى قوله فخسفنا به وبداره الأرض ﴿ وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه (فإن قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجوانب والجهات كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب براً كان أو بحراً سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصاً بذلك بل إن كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر فى البر على نحو ما يقدر عليه فى البحر فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق فى البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أى تتكسر وقيل التى لا تمر بشىء إلا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء أى الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون ﴿ التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة قال الشماخ ﴿ كما لاذ الغريم من التبيع ﴿ يقال فلان على فلان تبيع بحقه أى مصيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم. قيل فى تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما فى الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شىء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ما سوى الملائكة وحسب بنى آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا فى كل شىء وكابروا حتى

﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴿ إلى قوله ممن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بلغ إلى حد من السفه يوجب الحد ولستا نساجله إلا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذى تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى أنه ورد حمل القليل على العدم والزمخشرى يختار ذلك فى قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير وقد لمح الشاعر بذلك فى قوله ﴿ قليل بها الأصوات إلا بغامها ﴿ أى لا أصوات بها ولنا أن نبقيه على ما هو عليه ونقول إن المخلوق قسمان بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولا شك أن غيرهم أكثر منهم وإن لم يكونوا أكثر منهم كثيراً فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أى على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الأغيار كثير بلا مراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا فظاهر الآية إذاً مع الأشعرية الذين سماهم مجبرة وتمشدق فى سبهم وشقشق العبارات فى ثلبهم وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والله ولى التوفيق والتسديد

(قوله ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده) كأنه تكرار وأسقطه الخازن فى عبارته
(قوله والعجب من المجبرة كيف عكسوا) يعنى أهل السنة وقوله تفضيل الإنسان يعنون المؤمن ويدل لمذهبهم : إن الذين آمنوا

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۞ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ

جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هى تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرّهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخباراً منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه فى الآخرة فقال وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبى هريرة أنه قال لمؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيراً بمعنى جميع فى هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة فى عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم . قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واواً فى لغة من يقول افعوا . والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما فى وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما فى يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة (بإمامهم) بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفى قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة فى الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعرى أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته (فمن أوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لأن من أوتى فى معنى الجمع (فإن قلت) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن إذا اطلعوا على ما فى كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لاجرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شىء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ۞ معناه ومن كان فى الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه

۞ قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بإمامهم معناه بمن ائتموا به من نبى أو كتاب أو دين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فإن جمع الأم المعروف أمهات أما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه فيستدعى أن خلق عيسى من غير أب غميزة فى منصبه وذلك عكس الحقيقة فإن خلقه من غير أب كان له آية له وشرفا فى حقه والله أعلم

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . وأما الذين كفروا فهم شر البرية ودعوى العكس من فرط التعصب للمعتزلة (قوله قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا) صدره كما فى الخازن لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة وقوله خلقت بيدى فى الخازن ونفخت فيه من روحى (قوله قال لمؤمن أكرم على الله من الملائكة) فى الخازن المؤمن (قوله فتلك السخيمة لا تخل عن قلوبهم) فى الصحاح السخيمة الضغينة والموجدة فى النفس

عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۞ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

لاينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثانى مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شىء فكانت ألفه واقعة فى الطرف معرضة للإمالة ۞ روى أن ثقيفا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لاندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولانكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لايعشرون ولايحشرون فقالوا ولايجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولايجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يامعشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروى أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وإن كادوا ليفتنونك) إن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا) لتقول علينا مالم نقل يعنى ماأداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وماقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله مالم ينزله عليه (وإذا لاتخذوك) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين (إذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فإن قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

۞ عاد كلامه (قال وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل الخ) قال أحمد أى لأنه من عمى القلب لاعمى البصر فجاز أن ينبنى منه أفعل ۞ عاد كلامه (قال ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى وفخم الثانية الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون هذه الآية قسمية الأولى أى فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذى يبصره ويقرؤه ومن كان فى الدنيا أعمى غير مبصر فى نفسه ولاناظر فى معاده فهو فى الآخرة كذلك غير مبصر فى كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان فى الدنيا على اختلاف التأويلين والله أعلم ۞ قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحمد أما تقليل الكيدودة فالذى ينبغى أن يحمل عليه كونه الواقع فى علم الله تعالى لأن الله عز وجل يعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن الركون الذى كاد يحصل منه عليه السلام وإن كان ماحصل أمر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع فى علمه تقديرا فلا يليق أن يحمل على المبالغة والتشبيه فإن ذلك لايكون فى الاخبار ألا ترى أنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان

(قوله الواقعة فى وسط الكلام) لعله الكلمة كعبارة النسفى (قوله لانعشر ونحشر ولانجبى) فى الصحاح التجبية أن يقوم الإنسان قيام الراكع وقال أبو عبيدة تكون فى حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه والآخر ينكب على وجهه باركا وهو السجود وفيه وج بلد الطائف وفيه أيضا عضدت الشجر أى قطعته

مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۞ أَقِمِ

يوصف به نحو قوله فآتهم ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب فى دين الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين (وإن كادوا) وإن كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) من أرض مكة (وإذا لا يلبثون) لا يبقون بعد إخراجك (إلا) زمانا (قليلا) فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت فرجع ۞ وقرئ لا يلبثون وفى قراءة أبى لا يلبثوا على إعمال إذا (فإن قلت) ماوجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبى ففيها الجملة برأسها التى هى إذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك ۞ وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما ۞ بسط الشواطب بينهن حصيرا

أى بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة ۞ دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أتانى

تقليله خلفا فى الخبر ولا ينكر أن الذنب يعظم بحسب فاعله على ماورد حسنات الأبرار سيآت المقربين وأما نقل الزمخشرى عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح إلى الله عز وجل فلقد استعظموا عظيما حق على كل مسلم أن يستفظعه ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفا ذاتيا للقبيح فلزمهم على ذلك كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى وهم غالطون فى ذلك فمعنى كون الفعل قبيحا أن الله تعالى نهى عنه عبده وإن كان لله تعالى أن يفعله وهو حسن بالنسبة إليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسى الملك وينهاه عن ذلك ولا يستقبح ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام مالزمهم من الإشراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وإيمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرآه حسنا والله الموفق

(قوله ومن ثم استعظم مشايخ العدل) يعنى المعتزلة ويريد بالمجبرة أهل السنة حيث قالوا أن الخير والشر كلاهما من عند الله بخلقه وإرادته ولو كان من فعل العبد ظاهرا (قوله وقرئ خلافك قال عفت) كانت القراءة التى سبق تفسيرها خلفك

ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ

جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر ۞ والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجوداً وقنوتا وهى حجة على ابن علية والأصم فى زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة أو من حقه أن يكون مشهوداً بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثاً على طول القراءة فى صلاة الفجر لكونها مكثوراً عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضاً فى النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجداً لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محموداً أو ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ۞ قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلنى فأدخل مدخل صدق أى أدخلنى القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجنى منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إنى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا

الْقُرْءَانِ مَاهُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَئَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ۝ كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت إلى الله عز وجل فقال أى رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولى دونك فأوحى الله إلى البيت إنى سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون إليك دفيف النسور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكث بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحى إليه تمثيل وتخييل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه إذا خرجت ۝ والحق الإسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت فى كل وقت (وننزل) وقرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبعيض أى كل شىء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ۝ ولا يزداد به الكافرون (إلا خسارا) أى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وإذا أنعمنا على الإنسان) الصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغنى عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد الإعراض لأن الإعراض عن الشىء أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين (وإذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۝ وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل) أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أسد مذهبا وطريقة ۝ الأكثر على أنه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن ابن أبى بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و(من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشىء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة

(قوله يدفون إليك دفيف النسور) فى الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين وفيه العج رفع الصوت وقد عج يعج عجيجا

إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

مضافا إلى ماتحته فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهى قليلة وقيل هوخطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقدتلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً فقيل لهم إن علم التوراة قليل فى جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط ۞ واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثر أو بقيت كما كنت لاتدرى ماالكتاب (ثم لاتجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً (إلارحمة من ربك) إلاأن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم أن لايغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهامنة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود إن أول ماتفقدون من دينكم الأمانة وآخر ماتفقدون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما ومافيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع مافى القلوب (لايأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله ۞ يقول لاغائب مالى ولاحرم ۞ لأن الشرط وقع ماضيا أى لوتظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذى لامجال فيه للقدرة ولامدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لايوصف بالقدرة على المحال إلاأن يكابروا فيقولوا هوقادر على المحال فإن رأس ما لهم

۞ قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً (قال العجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز الخ) قال أحمد ومما يدلك على حيد المصنف عن سنن المنصف أنه تدلس على الضعفة فى مثل هذه المسئلة التى طبقت طبق الأرض ظهوراً وشيوعا ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك أن عقيدة أهل السنة أن مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول لكنهم يتحرزون من إطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين أحدهما أنه إطلاق موهم والثانى أن السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم وكم من معتقد لايطلق القول به خشية إيهام غيره مما لايجوز اعتقاده فلاربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(قوله النوابت) فى الصحاح النوابت من الأحداث الأغمار وفيه رجل غمر لم يجرب (قوله القرآن قديم) يريد بهم أهل السنة حيث يقولون أن القرآن قديم لكن لابمعنى اللفظ الذى يسمعه معجز بعضنا من بعض فإن هذا حادث بل بمعنى كلام الله الذى هو صفة له قائمة بذاته تعالى فهذا هو القديم كعلمه تعالى وإرادته (قوله فإن رأس ماله المكابرة) ليس كما قال غفر الله له بل رأس ماله التمسك بالكتاب والسنة وتحرى الحقائق

لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۞ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۞ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ

المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه ۞ والكفور الجحود (فإن قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولم يجز ضربت إلا زيدا (قلت) لأن أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ۞ لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر فى أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الأرض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ۞ قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدى بريا ۞ فإنى وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (فى السماء) فى معارج السماء فحذف المضاف ۞ يقال رقى فى السلم وفى الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبى أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التى هى القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل (قل سبحان ربى) وقرئ قال سبحان ربى أى قال الرسول وسبحان ربى تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت إلا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلىّ إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علىّ ۞ أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له و(الهدى) الوحى أى وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت فى صدورهم وهى إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى (أبعث الله) للانكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك بأنه (لو كان فى الأرض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا

۞ قوله تعالى قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال معناه لو كانوا يمشون مشى الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل إن مجرد وجود الملائكة فى الأرض يناسب إرسال الملك إليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۞ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا ۞ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ۞ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا
أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ
عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۞ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ

من أهلها ويعلموا مايجب عليه (مطمئنين) ساكنين فى الأرض قادرين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فماهم بهذه المثابة إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم (فإن قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا (قلت) وجه حسن والمعنى له أجوب (شهيدا بينى وبينكم) على أنى بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (إنه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أوحال (ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتدى) لأنه لايلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجدلهم أولياء) أنصارا (على وجوههم) كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إنّ الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا فى الدنيا لايستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لايبصرون مايقر أعينهم ولايسمعون مايلذ مسامعهم ولايتعلقون بما يقبل منهم ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ويجوز أن يحشروا مؤفى الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم فى موضع آخر أنهم يقرؤن ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها وبدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لايزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل فى الانتقام من الجاحد وقد دلّ على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) إلى قوله (أئنا لمبعوثون خلقاً جديدا) ۞ (فإن قلت) علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله (أولم يروا) لأنّ المعنى قد علموا بدليل العقل أنّ من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهن كما قال أأنتم أشد خلقاً أم السماء (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحوداً ۞ لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بدّ من فعل بعدها فى (لو أنتم تملكون) وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تلك إضماراً على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط مايتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الإعراب فأما مايقتضيه علم البيان فهو أنّ أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأنّ الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم ۞ لو ذات سوار لطمتنى ۞ وقول المتلمس ۞ ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى ۞ وذلك لأنّ الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدإ والخبر ۞ ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التى لايبلغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا

(قوله ولا يسمعون مايلذ مسامعهم) الذى فى الصحاح لذذت الشىء بالكسر وجدته لذيذا

خزآئن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسن قتوراً ۝ ولقد ءاتينا موسى تسع ءايت بينت فسئل بنى إسرءيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يموسى مسحوراً ۝ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموت والأرض بصآئر وإنى لأظنك يفرعون مثبوراً ۝ فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقنه ومن معه جميعاً ۝ وقلنا من بعده لبنى إسرءيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم

خزائن الأرزاق لبخلوا بها (قتوراً) ضيقاً بخيلا (فإن قلت) هل يقدر لأمسكتم مفعول (قلت) لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ۝ عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج ياغلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى أن قل لبنى إسرائيل لاتشركوا بالله شيئاً ولاتسرقوا ولا تزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يايهود خاصة لا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى إسرائيل) فقلنا له سل بنى إسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدلّ عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى إسرائيل على لفظ الماضى بغير همز وهى لغة قريش وقيل فسل يارسول الله المؤمنين من بنى إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم ولكن ليطمئنّ قلبى (فإن قلت) بم تعلق (إذ جاءهم) (قلت) أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال فى القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم (مسحوراً) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يافرعون (ماأنزل هؤلاء) الآيات إلا الله عزوجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وقرئ علمت بالضم على معنى إنى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الأمر ۝ وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض ۝ ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال إن ظننتنى مسحوراً فأنا أظنك (مثبوراً) هالكا وظنى أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهى إنكارك ماعرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمرى إنى لأظنك مسحوراً قول كذاب وقال الفراء مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ماثبرك عن هذا أى مامنعك وصرفك وقرأ أبيّ بن كعب وإن أخالك يافرعون لمثبوراً على إن المخففة واللام الفارقة (فأراد) فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه (اسكنوا الأرض) التى أراد فرعون أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) يعنى قيام الساعة (جئنا بكم لفيفاً) جمعا مختلطين إياكم وإياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات

(قوله سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس) لعله العقدة التى كانت بلسانه فحلها كما عده الخازن وأما الطمس فهو إجابة دعائه فى قوله «ربنا اطمس على أموالهم» ويشير إلى ذلك ذكر مافى الجواب (قوله وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس) فى الصحاح الفوم الثوم ويقال له الحنطة (قوله سل بنى إسرائيل أى سلهم من فرعون) يعنى اطلبهم منه

لَفِيفًا ۞ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ۞ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۞ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ

من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما أرسلناك) إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس إليك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبيّ فرّقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشدّداً وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدّقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك ۞ فإن خيراً منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربيّ الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم خرّوا سجداً وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله (إن كان وعد ربنا لمفعولا ۞ ويزيدهم خشوعا) أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فإن قلت) إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم (فإن قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن (فإن قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خرّ على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه . قال ۞ فخرّ صريعا لليدين وللفم ۞ (قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص (فإن قلت) لم كرّر يخرون للأذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوته زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيداً والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا . والتنوين في (أيا) عوض من المضاف إليه و(ما) صلة للإبهام المؤكد لما في أيّ أي أيّ هذين الاسمين سميتم وذكرتم (فله الأسماء الحسنى) والضمير في فله ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونهما أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم (بصلوتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت

(قوله لقد آمن به من هو خير منكم) لعله فقد

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۞

سورة الكهف مكية

إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۞ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

لاغير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر المخافتة (سبيلا) وسطاً وروى أن أبا بكر رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة فى صلاته ويقول أناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر رضى الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة (ولىّ من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته ۞ (فإن قلت) كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لأن من هذا وصفه هو الذى يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضله العميم وإحسانه الجسيم

﴿سورة الكهف مكية وهى مائة وإحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۞ لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شىء منه من الحكمة والإصابة فيه ۞ (فإن قلت) بم انتصب (قيما) (قلت) الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل فى حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فإن قلت) مافائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد ومالا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما ۞ أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذابا

۞ قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل (قال إن قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشرى ههنا ماأغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بأن هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها فإنك لو قلت ابتداء الحمد لله الذى الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله أعلم

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۞ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۞ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۞ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۞ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۞ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۞ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فإن قلت) لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الإنذار فى قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره ۞ والأجر الحسن الجنة (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء. وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فإن قلت) اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم (قلت) معناه مالهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء للعلم بالشىء إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به ۞ قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة و (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشورا من إظهاره فكيف بمثل هذا المنكر ۞ وقرئ كبرت بسكون الباء مع إشمام الضمة (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى كبرت (قلت) إلى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها ۞ شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ۞ وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة أى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضى فيمن قرأ إن لم يؤمنوا بمعنى لأن لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والأسف المبالغة فى الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الأرض) يعنى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل إليها بقوله (وإنا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة فى إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان

﴿القول فى ســـورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم قال فيه إن قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له فى قوله تعالى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أن ذلك وارد على سبيل التهكم وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره ۞ ولا ترى الضب بها ينجحر ۞ وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل وأن نفى إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده وتارة

(قوله وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان) لعله استملته بإهمال السين وسكون الميم (قوله بل يكظمون عليه تشورا من إظهاره) أى تباعدا من إظهاره كأنه عورة وفى الصحاح الشوار الفرج ومنه قيل شور به كأنه أبدى عورته

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لاحصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة ۞ والكهف الغار الواسع في الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها إلا الرقيم مجاورا ۞ وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لاتنبههم فيها الأصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد ۞ أيّ يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه ۞ وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لابإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم و (أحصى) فعل ماض أي أيهم ضبط (أمدا) لأوقات لبثهم (فإن قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لايخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لايعمل وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله ۞ وأضرب منا بالسيوف القوانسا ۞ على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره (فإن قلت)

يكون لأنه لم يقع وإن كان ممكنا والله أعلم ۞ قوله عز وجل لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (قال أعرب أحصى فعلا ماضيا أي لنعلم أيهم ضبط أمدا الخ) قال أحمد وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بأن بناءه منه لايغير نظم الكلمة وإنما هو تعويض همزة بهمزة ۞ عاد كلامه (قال وأيضا فلو كان للتفضيل لم يخل إنتصاب أمدا إما بأفعل الخ) قال أحمد ولقائل أن ينصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا في قوله تعالى وأحصى كل شيء عددا ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث وذلك في قوله تعالى إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما فأمثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

(قوله تزيين الأرض بما خلق فوقها) لعله بما (قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا) في الصحاح القونس أعلى البيضة من الحديد والقونس عظم ناتئ بين أذني الفرس

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۞ هٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذٰلِكَ مِنْ ءَايٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا

كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم (قلت) الله عزّ وجل لم يزل عالما بذلك وإنما أراد ماتعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام (إذ قاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والأرض ۞ شططا) قولا ذا شطط وهو الإفراط فى الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشط فى السوم وفى غيره (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان (واتخذوا) خبر وهو إخبار فى معنى إنكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم لحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لابد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (ومايعبدون) نصب عطف على الضمير يعنى وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (إلا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلا على ماروى أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو مايرتفق به أى ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن يخبرهم به نبى فى عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) أى تمايل أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء فى الزاى أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوارّ بوزن تحمرّ وتحمارّ وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لاتقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف ۞ شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم فى فجوة منه) وهم فى متسع من الكهف والمعنى أنهم فى ظل نهارهم كله لاتصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معترض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل فى متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولايحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ماصنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولاتصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبداً ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك

(قوله يقرضن أقواز مشرف شمالا) جمع قوز وهو الكثيب أى التل من الرمل أفاده الصحاح

(قوله فهم فى مقناة أبدا) فى الصحاح قال أبو عمرو المقناة والمقنوة الذى لاتطلع عليه الشمس وقال غير مقناة ومقنوة بغير همز نقيض المضحاة

وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ

الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والأيقاظ جمع يقظ كأنكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء ۞ وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم ۞ وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان فى معنى المضى وإضافته إذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية ۞ والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد بأرض فضاء لايسد وصيدها ۞ علىّ ومعروفى بها غير منكر ۞ وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء و(رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذكارا بقدرته على الإنامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم فى يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك (فإن قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم ۞ والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف فى الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده ۞ وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما فى أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكانت

(قوله وإن الله أعلم بمدة لبثهم) لعله بمعنى أن (قوله أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب) فى وقعة الكلاب وهو بالضم اسم ماء كانت عنده الوقعة أفاده الصحاح (قوله عن بعض صعاليك العلماء) أى فقرائهم

أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۞ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده مالهذا السفر إلا شيآن شدالهميان والتوكل على الرحمن (أيها) أى أهلها لحذف الأهل كما فى قوله واسئل القرية (أزكى طعاماً) أحلّ وأطيب وأكثر وأرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لايغبن أوفى أمر التخفى حتى لايعرف (ولايشعرنّ بكم أحدا) يعنى ولايفعلن مايؤدّى من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعاراً منه بهم لانه سبب فيه ۞ الضمير فى (إنهم) راجع إلى الأهل المقدر فى أيها (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهى الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (فى ملتهم) بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود فى معنى الصيرورة أكثر شيء فى كلامهم يقولون ماعدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل (ولن تفلحوا إذاً أبدا) إن دخلتم فى دينهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ۞ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أنّ وعدالله حق) وهو البعث لانّ حالهم فى نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و (إذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أنّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذنّ) على باب الكهف (مسجداً) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذيتنازعون بينهم أمرهم أى يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون فى قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدّون الطريق إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روى أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومرّوا بكلب فتبعهم نطردوه فأنطقه الله فقال ماتريدون منى أنا أحبّ أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مرّوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقداختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسدبه فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقصّ عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرّ الجنّ والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً ۞ ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم

(قوله وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره) أى الإتقان

(قوله وقيل مرّوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم) لعل هنا سقطا تقديره وتبعهم الكلب كما فى الخازن

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۞ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ

ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أوهو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الضمير لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى اليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ۞ قال ابن عباس رضى الله عنه أنا من أولئك القليل وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فإن قلت) لم جاء بسين الاستقبال فى الأول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين فى حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفى وإتيانا به . قوله ويقذفون بالغيب أى يأتون به أو ووضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير ۞ وما هو عنها بالحديث المرجم ۞ أى المظنون . وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء فى تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدإ محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فإن قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين (قلت) هى الواو التى تدخل الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أى لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا

۞ قوله تعالى « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل » (قال إن قلت لم دخلت الواو فى الجملة الأخيرة الخ) قال أحمد وهو الصواب لا كمن يقول إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم ويعدون من هذه الواو فى قوله فى الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فإنه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب أن فى اللغة واواً تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد فى أبواب الجنة حتى ينتهى إلى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الأولى التى هى الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما فى جميع مصادرهما ومواردهما كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو فى قوله ثيبات وأبكاراً لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فإن هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات أبكاراً لم يستقل الكلام فقد

سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ

لأهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ماأوحى الله اليك فحسب ولاتزيد من غير تجهيل لهم ولاتعنيف بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتى هى أحسن (ولاتستفت) ولاتسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ماعنده لأن ذلك خلاف ماوصيت به من المداراة والمجاملة ولاسؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشىء) ولاتقولن لأجل شىء تعزم عليه (إنى فاعل ذلك) الشىء (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (إلا أن يشاء الله) متعلق بالنهى لابقوله إنى فاعل لأنه لو قال إنى فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لامدخل فيه للنهى وتعلقه بالنهى على وجهين أحدهما ولاتقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثانى ولاتقولنه إلا بأن يشاء الله أى إلا بمشيئة الله وهو فى موضع الحال يعنى إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولاتقولنه أبدا ونحوه قوله ومايكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم فى ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضى الله عنه ولو بعد سنة مالم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه مادام فى مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له فى الأحكام مالم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضى الله عنه فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبوحنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالإيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه

وضح أن الواو فى جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير مازعمه هؤلاء والله الموفق ۞ قوله تعالى ولاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله (قال كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال أحمد ولابد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر بادئ الرأى ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وإنما الغرض النهى عن هذا القول إلا مقرونا بقول المشيئة وليت شعرى مامعنى قول الزمخشرى فى تفسير الآية كأن المعنى إلا أن تعترض المشيئة دونه معتقدا أن مشيئة الله تعالى لاتعترض على فعل أحد فكم شاء من الأفعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول القائل لأفعل كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح لأن الله تعالى لايشاؤه على زعمهم الفاسد فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا ۞ عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك إذا نسيت أى كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم تحنث إلى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد أما ظاهر الآية فمقتضاه الأمر بتدارك

(قوله وهو أن يكون إن شاء الله فى معنى كلمة التأبيد) لعله أن يشاء (قوله هو على ثنياه) فى الصحاح الثنيا بالضم الاسم من الاستثناء

عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۞ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۞ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۞ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ

ورضى عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً فى البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و (هذا) إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعلّ الله يؤتينى من البينات والحجج على أنى نبى صادق ماهو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ماهو أعظم من ذلك وأدلّ والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشىء آخر بدل هذا المنسى أقرب منه (رشدا) وأدنى خيراً ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم ردّ عليهم وقال فى حرف عبدالله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفى قراءة أبى ثلثمائة سنة ۞ تسعاً تسع سنين لأن ماقبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعاً بالفتح ۞ ثم ذكر اختصاصه بما غاب فى السموات والأرض وخفى فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به ۞ وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره فى الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (مالهم) الضمير لأهل السموات والأرض (من ولى) من متول لأمورهم (ولايشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهى ۞ كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ماأوحى إليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أى لايقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك ۞ قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت (واصبر نفسك) راحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ۞ ترسو إذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم فى أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل فى كلامهم ۞

المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأماحلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم (قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل بقوله تعالى أول القصة أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وإنكار عده من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ماهو

مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۞ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءنى القوم عدا زيد وإنما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به (فإن قلت) أى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لاتعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أى ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولاتعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله ۞ فعد عما ترى إذ لاارتجاع له ۞ لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدرى بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زى الأغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) ۞ وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذاله وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ماشئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجئ بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين ۞ شبه مايحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم

أرشد وأدخل فى الآية والله أعلم ۞ قوله تعالى ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشمر للهرب من الحق وعو أن المراد خلقنا له وجدير به أن يشمر فى اتباع هواه فإن حمل أغفل على بابه صرفه إلى الخذلان وإلا أخرجه بالكلية عن بابه إلى باب أفعل للمصادفة ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته بالمصادفة إلى تفهيم وجدان الشىء بغتة عن جهل سابق وعدم علم ۞ عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل إبله إذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما قدمناه لأنه وإن أبى خلق الله للغفلة فى القلب فلا يأبى عدم كتب الإيمان وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الزمخشرى الحيد عن القاعدة المتقدمة والتأويل إنما يصار إليه إذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق ۞ عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم فى غير ماموضع أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له وإلى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافى بين الإضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه فلا محيص له عنها بوجه

(قوله إلى زى الأغنياء وحسن شارتهم) فى الصحاح الشوار والشارة اللباس والهيئة (قوله غافلا عن الذكر بالخذلان) يتحاشى بذلك عن خلق الغفلة فى قلبه لأن الله لايخلق الشر عند المعتزلة وأهل السنة على خلاف ذلك كما أشار إليه بقوله توهم المجبرة ثم إن اتباعه هواه لاينافى خلق الله الغفلة فى قلبه لجواز أن يكون ذلك ناشئا عن الغفلة (قوله كقولك أجبنته وأفحمته) فى الصحاح أفحمته وجدته مفحما لايقول الشعر (قوله ولم نجعلهم) لعله نجعله (قوله متقدما للحق والصواب) أى سابق له ومجاوز له وفى الصحاح أمر فرط أى مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى «وكان أمره فرطا» (قوله والمعنى جاء الحق وزاحت العلل) فى الصحاح زاح الشىء بعد وذهب وأزحت علته فزاحت (قوله وقيل حائط من نار يطيف بهم الذى يفيده الصحاح طاف يطوف حول الشىء دار حوله وطاف يطيف بالشىء جاءه وألم به فتدبر

شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۞ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا

(يغاثوا بماء كالمهل) كقوله: فأعتبوا بالصيلم . وفيه تهكم والمهل ماأذيب من جواهر الأرض وقيل دردى الزيت (يشوى الوجوه) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله

إنى أرقت فبت الليل مرتفقا ۞ كأن عينىّ فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبر إن وإنا لانضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لانضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم (فإن قلت) إذا جعلت إنا لانضيع خبراً فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ (قلت) من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم ۞ من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ۞ وتنكير أساور لإبهام أمرها فى الحسن ۞ وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين ۞ وخص الاتكاء لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم (واضرب لهم مثلا رجلين) أى ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قائل منهم إنى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضاً بألف فقال المؤمن اللهم إن أخى اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشترى منك أرضاً فى الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بألف فقال اللهم إنى أشترى منك داراً فى الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إنى جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إنى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبدالله بن عبدالأشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبدالأشد (جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا أطافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها مايقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب

(قوله كأن عينىّ فيها الصاب مذبوح) فى الصحاح الصاب عصارة شجر مر وفيه ذبحت الدن بزلته وفيه بزلت الشراب وشبه بازلة سال دمها (قوله وهذا مما يؤثره الدهاقين) واحده دهقان

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

لجعله أفضل مايسقى به وهو السيح بالنهر الجارى فيهاوالأكل الثمروقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز ۝ وقرئ وفجرنا على التخفيف ۝ وقرأ عبدالله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) أى أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أى كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الداثرة من الذهب والفضة وغيرهماوكان وافرا ليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء (وأعز نفرا) يعنى أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث ۝ يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما أحار كلمة ۝ يعنى قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه مافيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما لك من المال دونه ۝ (فإن قلت) فلم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل جنته ماله جنة غيرها يعنى أنه لانصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لاغير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم ۝ إخباره عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظر فى عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت إلى ربى) إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيراً من جنته فى الدنيا تطمعاً وتمنياً على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله إن لى عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا ۝ وقرئ خيراً منهما رداً على الجنتين (منقلبا) مرجعاً وعاقبة وانتصابه على التمييز أى منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أى خلق أصلك لأن خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقاً له (سواك) عدلك وكملك إنسانا ذكراً بالغاً مبلغ الرجال ۝ جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافراً (لكنا هو الله ربى) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب ۝ وتقليننى لكن إياك لا أقلى

أى لكن أنا لاأقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا فى الوصل والوقف جميعاً وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة وغيره لايثبتها إلا فى الوقف وعن أبى عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبى بن كعب لكن أنا على الأصل وفى قراءة عبدالله لكن أنا لاإله إلا هو ربى (فإن قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله

(قوله أى أنواع من المال من ثمر ماله) الذى فى الصحاح أن الثمر جمع ثمار ككتب وكتاب وأن الثمر أيضاً المال المثمر ويخفف ويثقل وأثمر الرجل إذا كثر ماله وثمر الله ماله أى كثره وعبارة الخازن وكان له ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما وفى النسفى له ثمر وأحيط بثمر بفتح الميم والثاء وبضم الثاء وسكون الميم وبضمهما (قوله الأموال الدثرة من الذهب والفضة) الكثيرة أفاده الصحاح

اللهُ لاقُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۞ وَاضْرِبْ لَهُم

لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمراً حاضر ماشاء الله يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدإ محذوف تقديره الأمر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أى شىء شاء الله كان ونظيرها فى حذف الجواب لو فى قوله ولو أنّ قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى مارزقك الله منها الأمر ماشاء الله اعترافا بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله وأنّ أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت (لاقوة إلا بالله) إقراراً بأنّ ماقويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده إذ لايقوى أحد فى بدنه ولا فى ملك يده إلا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردّد هذه الآية حتى يخرج ۞ من قرأ أقلّ بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقلّ خبره والجملة مفعولا ثانياً لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالأولاد فى قوله وأعزّ نفرا والمعنى إن ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب مابى ومابك من الفقر والغنى فيرزقنى لإيمانى جنة (خيراً من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك ۞ والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أى مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصواعق (صعيداً زلقا) أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا و (غورا) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلياً عليهم ۞ وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأنّ النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولأنه فى معنى الندم عدّى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى أنّ كرومها المعروشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها (ياليتنى) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لايهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الإيمان ۞ وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فإن قلت) مامعنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله أى هو وحده القادر على نصر لايقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصراً) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لايملكها غيره ولايستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لايغلب ولايمتنع منه أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أنّ قوله ياليتنى لم أشرك بربى أحداً كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدّق قوله عسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) أى لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة

مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۞ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبٰقِيٰتُ الصّٰلِحٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۞ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ الْكِتٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصٰهَا وَوَجَدُوا

أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم ۞ وقرئ الحق بالرفع والجر صفة الولاية والله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبدالله الحق لا الباطل وهى قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم ۞ وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه ۞ والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة ۞ وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شيء) من الإنشاء والإفناء (مقتدراً ۞ الباقيات الصالحات) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثوابا) أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة ۞ قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أى تسير فى الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا . وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم إلى الموقف . وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل . وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحداً (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز أن ينصب بإضمار اذكروا والمعنى لقد بعثنا كم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى (فإن قلت) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعداً) وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الأعمال (ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى

۞ قوله تعالى « هنالك الولاية لله الحق » (قال قرئ بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الإنكار عليه فى مثل هذا القول فإنه يوهم أن القراءات موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء فتتفاوت فى الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلا بفلق فيه صلى الله عليه وسلم منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وإنما هو ناقل كغيره ولكن الزمخشرى لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أثنى عليه

(قوله حتى روى ورف رفيفا) فى الصحاح رف لونه رفا ورفيفاً برق وتلألأ وشجر رفيف إذا تندت أوراقه (قوله بحال النبات يكون أخضراً وارفا) فى الصحاح ورف النبت أى اهتز من نضارته فهو وارف أى ناضر رفاف شديد الخضرة

مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ

هلكوها خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهى عبارة عن الإحاطة يعنى لا يترك شيئاً من المعاصى إلا أحصاه أى أحصاها كلها كما تقول ماأعطانى قليلا ولا كثيراً لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهى المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (إلا أحصاها) إلا ضبطها وحصرها (ووجدوا ماعملوا حاضرا) فى الصحف عتيداً أو جزاء ماعملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله فى تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) والفاء للتسبيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً فى فسقه لأنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما أبعد البون بين ماتعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيساً على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال ۞ فواسقا عن قصدها جوائرا أو صار فاسقا كافراً بسبب أمر ربه الذى هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ماوجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ماأشهدتهم) وقرئ ماأشهدناهم يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الإلهية فنفى مشاركتهم فى الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لاعتضد بهم فى خلقها (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) بمعنى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك أن تعتز بهم وقرأ على رضى الله عنه وما كنت متخذ المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وأراد الجن ۞ والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدراً كالمورد والموعد يعنى وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب

۞ قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه (قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد والحق معه فى هذا الفصل غير أن قوله تعمده الله تعالى لفظة لا تروق ولا تليق فإن التعمد إنما يوصف به عرفا من يفعل فى بعض الأحيان خطأ وفى بعضها تعمداً فاجتنابها فى حق الله تعالى واجب والله الموفق

(قوله كما يزعم من ظلم الله) لعله بالتشديد أى نسب إليه الظلم (قوله ومسخ شيطانا ثم وركه) أى اتهمه به (قوله لاعتضد بهم فى خلقها) أى لاستعين بهم

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۞ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۞ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَٰتِى وَمَآ أُنْذِرُوا هُزُوًا ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوٓا إِذًا أَبَدًا ۞ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ۞ وَتِلْكَ الْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ

الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعاً وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيراً وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمداً بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفا) معدلا قال ۞ أزهير هل عن شيبة من مصرف ۞ (أكثر شيء جدلا) أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين ۞ أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الإيمان والاستغفار (إلا) انتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) وهي الإهلاك (أو) انتظار أن (يأتيهم العذاب) يعني عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها (وما أنذروا) يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه من العذاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم ۞ وقرئ هزأ بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء ۞ وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكراً في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي) عاقبة (ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبدا) مدة التكليف كلها ۞ وإذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ ۞ يقال وأل إذا نجا ووأل اليه إذا لجأ اليه (وتلك القرى) يريد قرى الأولين من ثمود

(قوله قبلا عيانا وقرئ قبلا أنواعا) هذه القراءة بكسر ففتح والثانية بضمتين كما يفيده الصحاح

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

وقوم لوط وغيرهم أشارلهم اليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لايتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أومكسورة أى لهلاكهم أووقت هلاكهم والموعد وقت أومصدر (لفتاه) لعبده وفى الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى وقيل هو يوشع ابن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم ۞ (فإن قلت) (لاأبرح) إن كان بمعنى لاأزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لاعلى السفر وإن كان بمعنى لاأزال فلابد من الخبر (قلت) هو بمعنى لاأزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لايبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لاأبرح ماأنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولاأفارقه حتى أبلغ كما تقول لاأبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهوملتقى بحرى فارس والروم ممايلى المشرق وقيل طنجة وقيل أفريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين فى العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهى فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (أوأمضى حقبا) أوأسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروى أنه لما ظهر موسى على مصر مع بنى إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال إنه أصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قدعلمنا هذافأى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى اليه بل أعلم منك عبدلى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر فى أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقى إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أوترده عن ردى فقال إن كان فى عبادك من هو أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذافقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ماينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ماأخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أى نسيا تفقد أمره ومايكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسى يوشع أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه بشىء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروى أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى أوللخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت

(قوله وحصل منه فى مثل السرب معجزة) فى الصحاح السرب بيت فى الأرض تقول منه انسرب الوحشى فى سربه وانسرب الثعلب فى جحره

لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۞

وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة (فإن قلت) كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التى تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الألف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرنى (فإن قلت) ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت و (إذ أوينا) و (فإنى نسيت الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت و (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره إلا الشيطان وفى قراءة عبد الله أن أذكركه و (عجبا) ثانى مفعولى اتخذ مثل سربا يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية التعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) إشارة إلى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام ۞ وقرئ بغير ياء فى الوصل وإثباتها أحسن وهى قراءة أبى عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا فى إدراجهما (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب (رشداً) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى (فإن قلت) أما دلت حاجته

۞ قوله تعالى «قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت» (قال إن قلت كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد فى الحديث أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا إلا منذ جاوز الموضع الذى حده الله تعالى له فلعل الحكمة فى إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر فى طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه وتلك سنة الله الجارية فى حق من صحت له نية فى عبادة من العبادات أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به ما دام على تلك الحالة وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله أعلم وإن كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذ قص عليهم القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

(قوله فأعان الألف على قلة الاهتمام) لعل المراد ألف يوشع لرؤيته العجائب عند موسى (قوله فرجعا فى أدراجهما قصصا) الدرج الطريق والجمع الأدراج ومنه قولهم رجعت أدراجى أى رجعت فى الطريق الذى جئت منه كذا فى الصحاح

قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝

إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين (قلت) لاغضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله ۝ نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبياً لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار و (خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا أعصى) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابراً وغير عاص أو لا في محل عطفاً على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لابد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم ۝ قرئ فلا تسئلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها) وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع (جئت شيئاً إمرا) أتيت شيئاً عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال داهية دهياء إداً أمرا (بما نسيت) بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو إخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة ۝ يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني (عسرا) من أمري وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر على متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين

۝ قوله تعالى قال إنك لن تستطيع معي صبرا (قال نفي الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال حين أحد ومما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق أنه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(قوله أن يشمئز ويمتعض ويجزع) في الصحاح المضض وجع المصيبة (قوله فحميت وأنكرت في نفسك) في الصحاح حميت عليه بالكسر غضبت

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۞ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ

(فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين (فإن قلت) لم قيل حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاماً فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فإن قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام ۞ وقرئ زاكية وزكية وهى الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعنى لم تقتل نفساً فيقتص منها وعن ابن عباس أن نجدة الحرورى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الأمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئاً أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه ۞ (فإن قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى) فلا تقاربنى وإن طلبت صحبتك فلا تتابعنى على ذلك وقرئ فلا تصحبنى فلا تكن صاحبى وقرئ فلا تصحبنى أى فلا تصحبنى إياك ولا تجعلنى صاحبك (من لدنى عذرا) قد أعذرت وقرئ لدنى بتخفيف النون ولدنى بسكون الدال وكسر النون كقولهم فى عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب (أهل قرية) هى أنطاكية وقيل الأبلة وهى أبعد أرض الله من السماء (أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد أن ينقض) استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعى

فى مهمه قلقت به هاماتها ۞ قلق الفؤس إذا أردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر أبى براء ۞ ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال حسان

إن دهراً يلف شملى بجمل ۞ لزمان يهم بالإحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال

إذا قالت الأنساع للبطن الحق ۞ تقول سنى للنواة طنى ۞ لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا إلى بعبرة وتحمحم ۞ فإن يك ظنى صادقا وهو صادقى ۞ ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الأبلق ۞ ولبعضهم يأبى على أجفانه إغفاؤه ۞ هم إذا انقاد الهموم تمردا

أبت الروادف والثدى لقمصها ۞ مس البطون وأن تمس ظهوراً

قالتا أتينا طائعين ولقد بلغنى أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من

(قوله تمرد مارد وعز الأبلق) مارد والأبلق حصنان الأول حصن دومة الجندل والثانى للسموأل بن عادياء بأرض تيماء قصدتهما الزباء ملكة الجزيرة فلما لم تقدر عليهما قالت ذلك فضرب مثلا كذا فى الصحاح

لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۞
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ

آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل فى الإعجاز وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو يفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار فى السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ فى شىء ۞ (فإن قلت) (هذا) إشارة إلى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرأ به ابن أبى عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر (وراءهم) أمامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى ۞ (فإن قلت) قوله فأردت ان أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها لمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظنى مقيم ۞ وقيل فى قراءة أبىّ وعبد الله كل سفينة صالحة ۞ وقرأ الجحدرى وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفراً) فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شراً وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد

۞ قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (قال إن قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكأنه جعل السبب فى اعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك فى غصب السفن وهذا هو حد الترتيب فى التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج إلى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآى والمخالفة بينها فى الأسلوب عجبا ألا تراه فى الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده فى الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه فى قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما وخشينا أن يرهقهما ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد ثم عيب فتأدب بأن نسب الإعابة إلى نفسه وأما إسناد الثانى إلى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أودبرنا كذا وإنما يعنون أمر الملك ودبر ويدل على ذلك قوله فى الثالثة أراد ربك أن يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

(قوله وهو جلندى فإن قلت) فى الخازن وكان اسمه الجلندى الأزدى وكان كافراً وقيل كان اسمه حرد بن برد

زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ

مؤمنان وطاغ كافر أويعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرندا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشى الخضر منه ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها فى حياته وفى قراءة أبىّ فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك ۞ وقرئ يبدلهما بالتشديد ۞ والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب ۞ والرحم الرحمة والعطف وروى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف فى الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان أبوهما صالحا) اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الأب الذى حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علىّ رضى الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبى وجدّى خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه فى معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) عن اجتهادى ورأيى وإنما فعلته بأمر الله ۞ ذو القرنين هو الإسكندر الذى ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبداً صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفراً أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علىّ رضى الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكوا : ماذو القرنين أملك أم نبىّ فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبداً صالحا ضرب على قرنه الأيمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبى صلى الله عليه وسلم سمى ذا القرنين لأنه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره ۞ والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب فى (عليكم) لأحد الفريقين (من كل شىء) أى من أسباب كل شىء أراده من أغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة ۞ فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع ۞ قرئ حمئة من حمئت البئر إذا صار فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبى ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدرى أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله أعلم

عندها قوما قلنا يـذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ۞ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ۞ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ۞ ثم أتبع سببا ۞ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ۞ كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ۞ ثم أتبع سببا ۞ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون

قال فإنها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها ۞ فى عين ذى خلب وثأط حرمد

أى فى عين ماء ذى طين وحمإ أسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا ۞ كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم ۞ فقال أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (وأما من آمن وعمل) ما يقتضيه الإيمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين ۞ وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر ۞ والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله ۞ كأن مجر الرامسات ذيولها ۞ يريد كأن آثار مجر الرامسات (على قوم) قيل هم الزنج ۞ والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها ۞ فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد

(قوله كأن مجر الرامسات ذيولها) فى الصحاح الروامس الرياح التى تثير التراب وتدفن الآثار (قوله إذ سمعنا كهيئة الصلصلة) فى الصحاح الصلة واحدة الصلال وهى القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشىء بعد الشىء وصلصلة اللجام صوته إذا ضوعف

قَوْلًا ۝ قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا

بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدّث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجرّ على الإضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى الأرض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر ۝ قرئ خرجا وخراجا أى جعلا يخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال ۝ وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم (ما مكنى فيه ربى خير) ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى إليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتانى الله خير مما آتاكم قرئ بالإدغام وبفكه (فأعينونى بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع ۝ قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ ۝ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله ﷺ أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ۝ والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة ۝ والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر . و (قطرا) منصوب بأفرغ وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ۝ وقرئ قال ائتونى أى جيئونى (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بادغام التاء فى الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهروه) أى يعلوه أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته (هذا) إشارة إلى السد أى هذا السد نعمة من الله (رحمة) على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته (فإذا جاء وعد ربى) يعنى فإذا دنا مجىء يوم القيامة وشارف أن يأتى ۝ جعل السد (دكا) أى مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أرضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) آخر حكاية قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا

(قوله ومأجوج من الجيل والديلم) كذا عبارة النسفى أيضا ولعله من جيل الديلم وفى الصحاح جيل من الناس أى صنف الترك جيل والروم جيل وفيه الديلم جيل من الناس (قوله قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء) لعله للأساس (قوله من زبر الحديد بينهما الحطب) لعله بينها

بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۞ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۞ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۞ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِى أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۞ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۞ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۞ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ

(بعضهم) بعض الخلق (يموج فى بعض) أى يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمى (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعنى وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادى من دونى أولياء) هم الملائكة يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم ۞ وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة على رضى الله عنه أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن الاسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهى قراءة محكمة جيدة ۞ النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان عن على رضى الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن على رضى الله عنه أن ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبى سعيد الخدرى يأتى ناس بأعمال يوم القيامة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيآت من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم فى أى محل هو (قلت) الأوجه أن يكون فى محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم ۞ الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادنى حبها عودا يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود ۞ المداد اسم ما تمد به الدواة من

(قوله ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم) نغفا أى دودا أفاده الصحاح (قوله كأنهم أصميت أسماعهم) فى الصحاح فى مادة صمم أصمه الله فصم وفى مادة صم بالألف أصميت الصيد إذا رميته فقتلته فقوله أصميت لعله بمعنى أهلكت بالمرة بحيث لا يمكن أن تسمع (قوله عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول) كذا فى النسفى أيضا لكن المتجه أنه بيان لقوله ذلك الذى هو إشارة لما مر فى قوله «إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا»

مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

سورة مريم مكية

إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيات وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم * كهيعص * ذكر رحمت ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال

الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولوجئنا) بمثل البحر مداداً لنفد أيضاً والكلمات غير نافدة و (مددا) تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو مايمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي مايستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيّ بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو أفمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلى الله عليه وسلم إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال إن الله لا يقبل ماشورك فيه وروى أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نوراً يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

﴿سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الأمر * راعى سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه وأخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل

(قوله كهيعص قرأ بفتح الهاء) عبارة النسفي قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما وقوله وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أي هذا الخ يحتاج إلى تحرير فإن الرفع قراءة الجمهور وقوله ذكر على الأمر أي ورحمة ربك بالنصب (قوله في إبان الكبرة والشيخوخة) في الصحاح الكبر في السن والاسم الكبرة بالفتح وفيه أيضاً شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك جاء على أصله وشيخوخة اه وليس فيه شيوخة وفيه أيضاً إبان الشيء بالكسر والتشديد وقته وأوانه

رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون ۞ قرئ وهن بالحركات الثلاث وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد مافيه وأصلبه فإذا وهن كان ماوراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ماتركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ۞ إدغام السين فى الشين عن أبى عمرو . شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وإنارته وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ۞ توسل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت إلى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته ۞ كان مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بنى إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لايحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً من صلبه صالحا يقتدى به فى إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه (من ورائى) بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لايتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الأمر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفت الموالى من ورائى وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى أى قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوو اعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه ولياً مرضيا بكونه مضافا إلى الله تعالى وصادرا من عنده وإلا فهب لى ولياً يرثنى كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأنى وامرأتى لانصلح للولادة (يرثنى ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردأ يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدرى أو يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالإرث إرث الشرع والعلم لأن الأنبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الأسامى السنع جديرة بالأثرة وإياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم سنع الأسامى مسبلى أزر ۞ حمر تمس الأرض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وإنما قيل للمثل سمى لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى فى أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت

(قوله على أن الاسامى السنع جديرة) جمع أسنع كحمر فى جمع أحمر من السناعة وهى الجمال أفاده الصحاح أى الأسماء الحسنى

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ

ابن المزرع قالوا لم يكن له مثل فى أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصوراً أى كانت على صفة العقر حين أناشاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعاً أرزقه (فإن قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون وإلا فمعتقد زكريا أولا وآخراً كان على منهاج واحد فى أن الله غنى عن الأسباب ۝ أى بلغت عتياً وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن فى السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه مايسمى عتياً وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبى ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أى الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول أى الأمر كما قلت وهو على ذلك يهون على ووجه آخر وهو أن يشار بذلك إلى ماتقدم من وعد الله لا إلى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القراءتين أى قال هو على هين قال وهو على هين وإن شئت لم تنوه لأن الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيئاً) لأن المعدوم ليس بشىء أو شيئاً يعتد به كقولهم عجبت من لاشىء وقوله ۝ إذا رأى غير شىء ظنه رجلا ۝ وقرأ الأعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك ۝ أى اجعل لى علامة أعلم بها وقوع مابشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق مابك خرس ولا بكم ۝ دل ذكر الليالى هنا والأيام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن ۝ أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له إلا رمزاً وعن ابن عباس كتب لهم على الأرض

﴿القول فى سورة مريم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى فهب لى من لدنك ولياً إلى قوله وقد بلغت من الكبر عتياً (قال إن قلت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لأنه التزم أن زكريا استبعد ماوعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز للنبى النطق بما لا يسوغ لمثل هذه الفائدة التى عينها الزمخشرى ويمكن حصولها بدونه فالظاهر فى الجواب والله أعلم أن طلبة زكريا إنما كانت ولدا من حيث الجملة وبحسب ذلك أجيب وليس فى الإجابة مايدل على أنه يولد له وهو هرم ولا أنه من زوجته وهى عاقر فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة واحتمل أن تعادلهما قوتهما وشبابهما كما فعل الله ذلك لغيرهما أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر فاستبعد الولد منهما وهما بحالها فاستخبر أيكون وهما كذلك فقيل كذلك أى يكون الولد وأنتما كذلك فقد انصرف الإبعاد إلى عين الموعود فزال الاشكال والله أعلم ۝ قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (قال إنما قيل ذلك لأن المعدوم ليس بشىء أو شيئا يعتد به الخ) قال أحمد فسر أولا على ظاهر النفى الصرف وهو الحق لأن المعدوم ليس شيئا قطعا خلافا للمعتزلة فى قولهم إن المعدوم الممكن شىء ومن ثم كافح الزمخشرى عن البقاء على التفسير الأول إلى الثانى بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة لجعل المنفى الشيئية المعتد بها وإن كانت الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق بقاء الظاهر فى نصابه

(قوله كالعود القاحل) أى اليابس كذا فى الصحاح (قوله وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما) لعله بفتحها (قوله فيهما وقرأ أبى ومجاهد عسيا) فى الصحاح عسى الشيخ يعسو عسياً ولى وكبر مثل عتا

أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۞ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۞ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ

(سبحوا) صلوا أوعلى الظاهر وأن هى المفسرة ۞ أى خذ التوراة بجدّ واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحى يقال حكم حكما كحلم وهوالفهم للتوراة والفقه فى الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهوصبى فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لأنّ الله أحكم عقله فى صباه وأوحى إليه (حنانا) رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة أنشد سيبويه وقالت حنان ما أتى بك ههنا ۞ أذو نسب أم أنت بالحى عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحنّ فى معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل فى العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة ۞ والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أى يتعطف على الناس ويتصدّق عليهم ۞ سلم الله عليه فى هذه الأحوال قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن (إذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لأنّ الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أنّ المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ۞ والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرق بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشىء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحوّلت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبيناهى فى مغتسلها أتاها الملك فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر سوىّ الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة مستوى الخلق وإنما مثل لها فى صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ۞ ودلّ على عفافها وورعها أنها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها وقيل كانت فى منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست فى المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل إنّ النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا ۞ الروح جبريل لأنّ الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك أنت روحى وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذى هو عدّة المقربين فى قوله فأمّا إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح أى مقربنا وذا روحنا ۞ أرادت إن كان يرجى منك أن تتقى الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإنى عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ۞ أى إنما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لأكون سبباً فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع وفى بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرنى أن أهب لك أو هى حكاية لقول الله تعالى ۞ جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهنّ أو لمستم النساء والزنا ليس كذلك إنما يقال فيه فجربها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغى الفاجرة التى تبغى الرجال وهى فعول عند المبرّد بغوى

(قوله بالنفخ فى الدرع) فى الصحاح درع المرأة قميصها

وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ۝ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

فأدغمت الواو فى الياء وقال ابن جنى فى كتاب التمام هى فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله آية) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه (مقضيا) مقدراً مسطوراً فى اللوح لابد لك من جريه عليك أو كان أمراً حقيقاً بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سبباً فى قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبى العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته فى ساعة وصوّر فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود إلا يستهلّ غيره (فانتبذت به) أى اعتزلت وهو فى بطنها كقوله ۝ تدوس بنا الجماجم والتريبا ۝ أى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أى تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور فى موضع الحال (قصيا) بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدّثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا فى الإعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان ۝ قرأ ابن كثير فى رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد فى بطنها ۝ طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أى جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شىء صبراً على البرد وثمارها إنما هى من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها قرئ (مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات ۝ النسى ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أى الشىء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى فى العادة وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوّر من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدّة التكليف عليها إذا بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة وبضدّ ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح

(قوله ما من مولود إلا يستهلّ غيره) فى الصحاح استهل الصبى أى صاح عند الولادة (قوله وهو تمخض الولد فى بطنها) فى الصحاح تمخض اللبن واستخض أى تحرّك فى الممخضة وكذلك الولد إذا تحرّك فى بطن الحامل (قوله نحو العصا والقدح والشظاظ) فى الصحاح الشظاظ العود الذى يدخل فى عروة الجوالق وفيه الجوالق رعاء (قوله من فرط الحيا والتشور من الناس) خوف إظهار العورة أفاده الصحاح (قوله إذا بهتوها وهى عارفة الخ) اتهموها بما ليس فيها وقرفت اتهمت

تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا

ويستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر (من تحتها) هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها لاتحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها ۞ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد

فتوسطا عرض السرى فصدعا ۞ مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبداً سريا (فإن قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب (قلت) لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها (تساقط) فيه تسع قراآت تساقط بإدغام التاء وتتساقط بإظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو على معنى افعلى الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلى قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ۞ عن طلحة بن سليمان (جنيا) بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقرى عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك ۞ وقرئ (وقري) بالكسر لغة نجد (فإما ترئن) بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال (صوما) صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق (إنسيا) أي أكلم الملائكة دون الإنس ۞ الفرى البديع وهو من فرى الجلد (يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه في طبقة

(قوله متجاورا قلامها) في الصحاح القلام بالتشديد القاقلي وهو من الحمص (قوله وقيل هو من السرو والمراد) في الصحاح السرو سخاء في مروءة (قوله يقول لبأت بالحج وحلأت السويق) والكثير لبيت بالحج وحليت السويق أي جعلته حلوا

كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا

الإخوة بينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده وإنما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أى ياواحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به أى كنت عندنا مثله فى الصلاح أو شتموها به ولم ترد إخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به و باسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا ۞ وقرأ عمر بن لجا التيمى (ماكان أباك امرؤسوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فإنى عبدالله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت اليه) أى هو الذى يجيبكم إذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا ۞ أنطقه الله أولا بأنه عبدالله رداً لقول النصارى (والكتاب) هو الإنجيل ۞ واختلفوا فى نبوته فقيل أعطيها فى طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا فى ظاهر الآية وقيل معناه إن ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لامحالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير ۞ وقرئ (وبرا) عن أبى نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل فى معنى أوصانى وهو كلفنى لأن أوصانى بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام على) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه إلى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه إلى والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ۞ قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك فى الأنعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبدالله حقا والحق لا الباطل وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندا ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون أى أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون والمرية

(قوله حتى تعلت من نفاسها) فى الصحاح تعلى أى علا فى مهلة وتعلت المرأة من نفاسها أى سلمت وتعلى الرجل من علته

صرٰط مستقيم ۞ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۞ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لـكن الظٰلمون اليوم فى ضلٰل مبين ۞ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ۞ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ۞ واذكر فى الكتٰب إبرٰهيم إنه كان صديقا نبيا ۞ إذ قال لأبيه يـٰأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ۞ يـٰأبت إنى قد جآءنى من

الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه تمترون على الخطاب وعن أبى بن كعب قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون ۞ كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على إنتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور فى العقول وليس بمقدور عليه إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئا من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد ۞ والقول ههنا مجاز ومعناه أن إرادته للشىء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل ۞ وقرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولأنه ربى وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والأستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء وفى حرف أبى إن الله بالكسر بغير واو وبأن الله أى بسبب ذلك فاعبدوه (الأحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبى وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به فى عيسى وأمه ۞ لا يوصف الله تعالى بالتعجب وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ۞ أوقع الظاهر أعنى الظالمين موقع الضمير إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين إغفال النظر والاستماع (قضى الأمر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أى عن قضاء الأمر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران وإذ بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم فى غفلة) متعلق بقوله فى ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بأنذرهم أى وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ۞ يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم وأنه يفنى أجسادهم ويفنى الأرض ويذهب بها ۞ الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة فى هذا التصديق للكتب والرسل أى كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه كقوله تعالى بل جاء بل بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا فى الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعنى إبراهيم و(إذ قال) نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل

(قوله أو يتمارون يتلاحون) لعله يتمارون والتلاحى بمعنى التنازع كما فى الصحاح وعبارة النسفى أو يختلفون من المراء فقالت اليهود الخ (قوله وبأن الله أى بسبب ذلك) لعله أى بأن الله ويمكن أنه عطف على أن الله ويكون فى حرف أبى القراءتان

عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عزّ وجلّ هوذاكره ومورده فى تنزيله ٭ التاء فى (ياأبت) عوض من ياء الإضافة ولايقال ياأبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوّض منه وقيل ياأبتا لكون الألف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة ٭ أنظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التى ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً فى ذلك بنصيحة ربه عزّ وعلا حدّث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خليلى حسن خلقك ولومع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشى وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى . وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأنّ المعبود لوكان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب نافعاً ضاراً إلا أنه بعض الخلق لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغىّ المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون» وذلك أنّ العبادة هى غاية التعظيم فلاتحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب الذى منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع ياعابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغنى عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أوتسنح لك حاجة فيكفيكها ٭ ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إنّ معى طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوىّ فلا تستنكف وهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضلّ وتتيه ٭ ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأنّ الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوّك الذى لايريد بك إلا كلّ هلاك وخزى ونكال وعدوّ أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذى ورّطك فى هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أنّ إبراهيم عليه السلام لإمعانه فى الإخلاص ولارتقاء همته فى الربانية لم يذكر من جنايتى الشيطان إلا التى تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأنّ النظر فى عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ٭ ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبمايجرّه ماهو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرّح بأنّ العقاب لاحق له وأنّ العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمسّ ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أنّ رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التى هى معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله ياأبت توسلا إليه واستعطافا ٭ ما فى مالايسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول فى لايسمع ولا يبصر منسى غيرمنوىّ كقولك ليس به استماع ولا إبصار (شيئاً) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فى موضع المصدر أى شيئاً من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثانى أن يكون مفعولا به من قولهم أغنى عنى وجهك (إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك) فيه تجدد العلم عنده ٭ لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة

(قوله فى أحسن اتساق وساقه أرشق) فى الصحاح الاتساق الانتظام وفيه أيضاً رجل رشيق أى حسن القد لطيفه
(قوله وبما يجره ماهو فيه من التبعة) لعله ومايجره فيكون عطفاً على سوء العاقبة (قوله وسماه الله تعالى المشهود له) لعله مشهود له بأنّ رضوانه أكبر من الثواب فليحرر

الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ

العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنى وقدم الخبر على المبتدإ فى قوله (أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم) لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ماينبغى أن يرغب عنها أحد وفى هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلسانى يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمى باللعن أو لأقتلنك من رجم الزانى أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمى بالرجام (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملى بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به (فإن قلت) علام عطف واهجرنى (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار (فإن قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهى الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لأبى إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول إن الذى منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذى يدل على صحته قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أى ماقال واغفر لأبى إلا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفى البليغ فى البر والإلطاف حفى به وتحفى به (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام. المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذى حكاه الله فى سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم فى قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس ماخسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هى النبوة عن الحسن وعن الكلبى المال

---

* قوله تعالى «سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا» (قال إن قلت لم استغفر لأبيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لمظة من الاعتزال مستطيرة من شرر شر قاعدة التحسين والتقبيح والحق أن العقل لا مدخل له فى أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ثم لم يوف الزمخشرى بها فإنه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ولا يتصور وهذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الإلهيات نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل خلافه فلا

(قوله وأصل الرجم الرمى بالرجام) أى الحجارة الضخام كذا فى الصحاح

عليا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ

والولد وتكون عامة فى كل خير دينى ودنيوى أوتوه . لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية قال ﴿ إنى أتتنى لسان لا أسر بها ﴿ يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفا ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه ﴿ المخلص بالكسر الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله و بالفتح الذى أخلصه الله . الرسول الذى معه كتاب من الأنبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع . الأيمن من اليمين أى من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبى العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما فى قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضى الله عنه . ذكر إسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان ذلك موجوداً فى غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضى الله عنه أنه وعد صاحبا له أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد فى نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدنى إن شاء الله من الصابرين كان يبدأ بأهله فى الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الدينى أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين فى عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألوا نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى شىء من ذلك ﴿ قيل سمى إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان أفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك إبليس أعجمى وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بأسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى إدريس فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس ﴿ المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه إنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما إلى السماء السادسة وعن الحسن رضى الله عنه إلى الجنة لا شىء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى أنه لما أنشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى آخره

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ﴿ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أين يا أبا ليلى قال إلى الجنة (أولئك) إشارة إلى المذكورين فى السورة من لدن زكريا إلى إدريس عليه السلام ﴿ ومن فى (من النبيين) للبيان مثلها فى قوله تعالى فى آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه

وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبرهيم وإسرءيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم ءايت الرحمن خروا سجدا وبكيا ۝ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوت فسوف يلقون غيا ۝ إلا من تاب وءامن وعمل صلحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ۝ جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا ۝ لا يسمعون فيها لغوا إلا سلما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۝ تلك الجنة التي

لأنه جد أبي نوح وإبراهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ذريةسام بن نوح وإسمعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية إسرائيل وكذلك عيسى لأنّ مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى والثانية ۝ إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان (إذا تتلى) كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لأنّ التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل ۝ البكى جمع باك كالسجود والقعود فى جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وأبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى رضى الله عنه قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى هذه القراءة ياصالح فأين البكاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا قرأتم سجدة سبحان فلاتعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلنى من عبدك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ۝ خلفه إذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بالفتح وفى عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن إبراهيم ومجاهد رضى الله عنهما أضاعوها بالتأخير وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن يعنى الكفار وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضى الله عنه هو فى هذه الأمة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك رضى الله عنهم الصلوات بالجمع ۝ كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال المرقش

فمن يلق خيراً تحمد الناس أمره ۝ ومن يغو لايعدم على الغى لائما

وعن الزجاج جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أى مجازاة أثام أو غياً عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه أوديتها وقرأ الأخفش يلقون ۝ قرئ يدخلون ويدخلون أى لاينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولايمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لايضرهم إذا تابوا من ذلك من قولك ماظلمك أن تفعل كذا بمعنى مامنعك أو لايظلمون البتة أى شيئا من الظلم ۝ لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعانى الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم الأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأنّ النكرة لاتبدل من المعرفة إلا موصولة ولما ساغ وصفها بالتى وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء ۝ أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أوهم غائبون عنها لايشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به ۝ قيل فى (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أى كان وعده مفعولا منجزا ۝ اللغو فضول

(قوله لمعانى الفينة والسحر والأمس) فى الصحاح لقيته الفينة بعد الفينة أى الحين بعد الحين وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت لقيته فينة كما قالوا لقيته الندرى وفى ندرى

نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ

الكلام وما لاطائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا ۝ أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغواً إلا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ۝ من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجدوهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين (نورث) وقرئ نورث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا (وما نتنزل) حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله سبحانه هذه الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله . فلست لإنسي ولكن لملأك ۝ تنزل من جو السماء يصوب ۝ لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا (وما خلفنا) من الجهات والأماكن (وما بين ذلك) وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطاق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين

۝ قوله تعالى «لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاما» (قال يجوز أن يكون من قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب

وأن يكون استثناء منقطعا) قال أحمد والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيبا على سبيل التجوز بتاً لنفي العيب بالكلية كأنه يقول إن كان فلول السيوف من القراع عيبا فإنهم ذوو عيب معناه وإن لم يكن عيبا فليس فيهم عيب البتة لأنه لا شيء سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل ۝ عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون متصلا على أن يكون السلام هو الدعاء بالسلامة الخ) قال أحمد وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة لا كالأول الناشئ عن المجاز وفي هذا الباب بعد لأنه يقتضي البت بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول وحاش لله فلا غول فيها ولا لغو

(قوله من الناس من يأكل الوجبة) أي يأكل كل يوم وليلة مرة وقد وجب نفسه توجيبا إذا عوّدها ذلك كذا في الصحاح

رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ

السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لاتخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنابه ويأذن لنا فيه * وقيل معنى (وما كان ربك نسيا) وما كان تاركا لك كقوله تعالى ماودعك ربك وما قلى أى ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به وأمّا احتباس الوحى فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هى حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أى وما ننزل الجنة إلا بأن منّ الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف فى أعمال الخير والموفق لها والمجازى عليها ثم قال الله تعالى تقريراً لقولهم وما كان ربك نسياً لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماء والأرض ومابينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الأعرج رضى الله عنه ومايتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحى وعن ابن مسعود رضى الله عنه إلا بقول ربك * يجب أن يكون الخلاف فى النسى مثله فى البغى (رب السموات والأرض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف أى هو رب السموات والأرض (فاعبده) كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة (فإن قلت) هلا عدى (اصطبر) بعلى التى هى صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لأنّ العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك أى اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أنّ العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولاتهن ولايضيق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط وعن احتباس الوحى عليك مدّة وشماتة المشركين بك * أى لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة والعزّى إله وأمّا الذى عوّض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لأنّ التسمية على الباطل فى كونها غير معتدّ بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيهاً أى إذا صحّ أن لامعبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فإن قلت) لم جازت إرادة الأناسى كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صحّ إسناده إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب إلى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى * (فإن قلت) بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فإن قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة فى ياألله للتعويض واضمحلّ عنها معنى التعريف ومافى إذا ما للتوكيد أيضاً فكأنهم قالوا أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من

* قوله تعالى «ويقول الإنسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا» (قال محمود إن قلت كيف اجتمعت اللام وهى للحال مع حرف الاستقبال الخ) قال أحمد والاعتقاد تناقض الحرفين منع الكوفيين اجتماعهما وإنما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف لتلائم اللام لأنه لوعكس هذا للغت سوف إذ لامعنى لها سوى الاستقبال وأمّا اللام

وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ

حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا فى ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضى الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه واسيعطيك وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسىء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التى تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذا على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر فى مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا فى بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما رضى الله عنهم فقد خففوا وفى حرف أبى يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه فى إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض فى قوله تعالى « فورب السماء والأرض إنه لحق » والواو فى (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهى بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة (فإن قلت) هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسى على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين

إذا جردت من الحال بقى لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم (قوله تعالى « أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » (قال محمود ذكر الله الإنسان النشأة الأولى ليعترف بالأخرى الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلا ثم واقعة نقلا والمعتزلة وإن وافقت على ذلك إلا أنها تزعم أن المعدوم له ذات ثابتة فى العدم يقضى عليها بأنها شىء فليس عندهم عدم صرف ونفى محض قبل الوجود ولا بعده فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولأنكروا إعادة المعدوم كما أنكره القدماء وعقيدة أهل السنة هى المطابقة للآية لأن النشأة الأولى لم يتقدمها وجود ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئا قبل ذلك وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان المنشأ قبلها شيئا فى زمان وجوده ثم عدم وبطلت شيئيته فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن وأما المعتزلة فإن قالوا إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجدها فقد قالوا الحق لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين لأن المعدوم فيهما كان شيئا قبل النشأة فإن قالوا لا تنعدم الأجسام وإنما تتفرق ثم تجمع كما صرح به الزمخشرى لأنه تفطن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بأن المعدوم شىء يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالتزم أن الأجسام لا تنعدم ليتم له الفرق بين النشأة الثانية وإنما هى على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود وبين النشأة الأولى التى هى إيجاد معدوم فتنبه لبعد غوره ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله ولى التوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين أن الجاحد متهافت لأنه اعترف بالأولى وهى أصعب بالنسبة إلى قياس العقل وأنكر الثانية وهى أسهل وأهون لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء ۞ عاد كلامه (قال والإنسان يحتمل أن يراد به العموم الخ) قال أحمد

(قوله فقد خففوا وفى حرف يتذكر) فيه سقط وأصله وفى حرف أبى يتذكر كما تفيده عبارة النسفى

أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ

فقدحشروامع الشياطين كماحشروا مع الكفرة (فإن قلت) هلا عزل السعداء عن الأشقياء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم فى المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التى نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسروراً إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم (فإن قلت) مامعنى إحضارهم جثيا (قلت) أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة فى مواقف المقاولات والناقلات من تجاثى أهلها على الركب لما فى ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة أو لما يداهمهم من شدة الأمر التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبواً وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدراً كما كانوا فى الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب والمراد بالشيعة وهى فعلة كفرقة وفتية الطائفة التى شاعت أى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف فى إعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته حتى لو جىء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ ابن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فإن قلت) بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وإن منكم) التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس

التبست عليه إرادة العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم ومعنى إرادة العموم أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان ومعاذ الله وقد صرح الزمخشرى بأن النطق بكلمة الشك بعض الجنس ففى العبارة خلل كما ترى والعبارة الصحيحة أن يقال يحتمل أن يكون التعريف جنسيا فيكون عهديا فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم (قوله تعالى وإن منكم إلا واردها (قال يحتمل أن يكون استئناف خطاب للناس ويحتمل أن يكون التفاتا قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على ارادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة والثانى بلفظ الحضور وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثانى ليس التفاتا وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين والله أعلم

(قوله إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم) العتل الجذب العنيف أفاده الصحاح (قوله وفتية الطائفة التى شاعت) فى الصحاح شاعه شياعا تبعه

الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۞ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ

رضى الله عنه يردونها كأنها إهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعنه رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولافاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إنّ للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأنّ الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشىء الشىء ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هومس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين ۞ الحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أى كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لايكون غيره ۞ قرئ (ننجى) وننجى وينجى وينجى على مالم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجى (الذين اتقوا) إنّ المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لأنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدرى وابن أبى ليلى ثم ثَمَّ ننجى بفتح الثاء أى هناك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أنّ المراد بالورود الجثو حوالها وأنّ المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين (بينات) مرتلات الألفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد إما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لأنّ آيات الله لاتكون إلا واضحة وحججا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ۞ قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لايعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أى الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من) تبيين لإبهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم و(هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية ۞ الأثاث متاع البيت وقيل هو ماجد من الفرش والخرثى مالبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسى

تقادم العهد من أم الوليد بنا ۞ دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريئا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا على قلب الهمزة ياء والإدغام أو من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف

(قوله كأنها إهالة وروى دواية) فى الصحاح الإهالة الودك وفيه أيضا الدواية الجليدة التى اللبن والمرق

(قوله ومجتمع القوم وحيث ينتدون) فى الصحاح ندوت أى حضرت الندى وانتديت مثله

ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ

الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزىّ وهو الجمع لأن الزىّ محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء ۝ أى مدّ له الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لامحالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا فى معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس فى مدّة حياته ۝ فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أى قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى إذا رأوا مايوعدون) أى لايبرحون يقولون هذا القول ويتواعون به لايتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (إما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسراً وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم وإما يوم القيامة وهو ماينالهم من الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ماقدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جنداً لاخير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الألطاف لاتنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة مادعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم إلى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى مايعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فإن قلت) حتى هذه ماهى (قلت) هى التى تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله إذا رأوا مايوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان (ويزيد) معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردّا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مردّ ۝ وهل يردّ بكاى زنداً ۝ فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله

شجعاء جرّتها الزميل تلوكه ۝ أصلا إذا راح المطى غراثا

وقوله ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فإن قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركا فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حرّه من الشتاء فى برده ۝ لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير ۝ لاقيت مطلع الجبال وعوراً ۝ ويقولون مر مطلعاً لذلك الأمر أى عالياً له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة

(وطلع الثنية) فى الصحاح طلعت الجبل بالكسر علوته

من العذاب مدا ۞ ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ۞ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ۞ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ۞ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ۞ فلا تعجل عليهم

شأن يقول أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى غيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لايتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك ۞ قرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولداً بالكسر وقيل فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك . عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاصى بن وائل قال خباب بن الأرت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث قال فإنى إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك وقيل صاغ له خباب حلياً فاقتضاه الأجر فقال أنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهباً وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإنى أوتى مالا وولداً حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ أى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه (فإن قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله ۞ إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ۞ أى تبين وعلم بالانتساب أنى لست بابن لئيمة والثانى أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك يعنى أنه لايخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد (ونمد له من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذى يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة علىّ بن أبى طالب ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله فى الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك فى قوله لأوتين لأنه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه إما نرثه منه فى العاقبة (ويأتينا فردا) غداً بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضاً له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء فى إتيانه فرداً حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك أى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيداً مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأى والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول إن صحت هذه الرواية فهى كلا التى هى للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما فى قواريرا والضمير فى سيكفرون للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من

(قوله وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك) فى الصحاح أشعب اسم رجل كان طماعا وفى المثل أطمع من أشعب اهـ ومنه أخذت الأشعبية بمعنى خصلة أشعب وهى الطمع

إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۞ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ۞ لَا يَمْلِكُونَ

دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو المشركين أى ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) فى مقابلة لهم عزاً والمراد ضدّ العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزاً أو يكونون عليهم عونا والضدّ العون يقال من أضدادكم أى أعوانكم وكأن العون سمى ضداً لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه (فإن قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيده قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشىء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أى أعداءهم ضداً أى كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها ۞ الأز والهزّ والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدّة الازعاج أى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوسواس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم فى الغى وإفراطهم فى العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشكّ عنه وانهما كهم لذلك فى اتباع الشياطين وما تسوّل لهم ۞ عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه أى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلا كهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها فى سرعة تقضيها الساعة التى تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد ۞ نصب (يوم) بمضمر أى يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون ۞ ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علىّ رضى الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ۞ وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء ۞ والورد العطاش لأنّ من يرد الماء لا يرده إلا لعطاش وحقيقة الورد المسير إلى الماء قال

ردى ردى ورد قطاة صما كدرية أعجبها بردا لما

فسمى به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون ۞ الواو فى (لا يملكون) إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث

۞ قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن تكون الواو فى لا يملكون ضميرا الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه تعسف من حيث أنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناه وأفصح بأنها متناولة جمعا ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ ففيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه إجمال بعد إيضاح وذلك تعكيس فى طريق البلاغة وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال والواو على إعرابه وإن لم تكن عائدة على من إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له فتنبه لهذا العقد فإنه أروج من النقد ۞ وفى عنق الحسناء

(قوله والمعنى خلينا بينهم وبينهم) هذا هو الموافق لمذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر أما على مذهب أهل السنة من أنه تعالى يفعل الشر كالخير فالمناسب سلطانهم عليهم

الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۞ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۞

والفاعل من اتخذ لأنه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أوعلى الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أى إلاشفاعة من اتخذ والمراد لايملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالإيمان والعمل وعن ابن مسعود أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك بأنى أشهد أن لاإله إلاأنت وحدك لاشريك لك وأنّ محمدا عبدك ورسولك وأنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وأنى لاأثق إلابرحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفنيه يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أويكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أى لايشفع إلاالمأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع فى التنزيل «وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» «ولاتنفع الشفاعة عنده إلالمن أذن له» «يومئذ لاتنفع الشفاعة إلامن أذن له الرحمن ورضى له قولا» ۞ قرئ (إدّا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإدّ والأدّ العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وأدنى الأمر وآدنى أثقلنى وعظم علىّ إدّا (يكاد) قراءة الكسائى ونافع بالياء ۞ وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن أى تهد هدّا أومهدودة أومفعول له أى لأنها تهد (فإن قلت) مامعنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أنّ الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وأنى لا أعجل بالعقوبة كما قال إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا والثانى أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى الدين وهدمها لأركانه وقواعده وأنّ مثال ذلك الأثر فى المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التى هى قوام العالم ماتنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ماقالوا ۞ فى (أن دعوا) ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله :

يستحسن العقد ۞ وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (قال معناه كدت أهد السموات وأفطر الأرض الخ) قال أحمد ويظهر لى وراءها معنى آخر والله أعلم وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عزّ وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبح بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شىء إلايسبح بحمده ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرّة من ذراتها أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه . وفى كل شىء له آية ۞ تدل على أنه واحد . فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه فاستعير لإبطال مافيها من روح الدلالة التى خلقت لأجلها إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق فسبحان من قسم عباده فجعل العباد تستلذ فتسبح بتسبيح داود يكاد ينهد لما له من هو عن باب التوفيق مطرود مردود

(قوله وقرئ ينفطرن) يفيد أن القراءة المشهورة يتفطرن بالتاء (قوله وتصويرها لأثرها فى الدين) لعله وتصويرا لأثرها كما فى عبارة الخازن

إن كل من فى السموت والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا ۝ لقد أحصهم وعدهم عدا ۝ وكلهم ءاتيه يوم القيمة فردا ۝ إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت سيجعل لهم الرحمن ودا ۝ فإنما يسرنه بلسانك لتبشر

على حالة لو أن فى القوم حاتما ۝ على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل أى هذا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذى هو الثانى طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى إلى غير مواليه وقول الشاعر ۝ إنا بنى نهشل لا ندعى لأب ۝ أى لا ننتسب إليه ۝ أنبغى مطاوع بغى إذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لأنه محال غير داخل تحت الصحه أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً (من) موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله ۝ رب من أنضجت غيظا صدره ۝ وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن) على أصله قبل الإضافة ۝ الإحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا) الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثانى إشراك الذين زعموهم لله أولاداً فى عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتى الرحمن أى يأوى إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً راجياً كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شىء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم ۝ قرأ جناح بن حبيش (ودا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التى توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا لمكانهم ۝ والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك إذا دجا الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهداً واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة فى أهل الأرض وعن قتادة ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ۝ هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فإنما أنزلناه (بلسانك) أى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر ۝ واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون فى كل لديد أى فى كل شق من

(قوله واجعل فى صدور المؤمنين) لعله واجعل لى فى صدور الخ

بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۞

سورة طه مكية

إلا آيتي ١٣ و ١٣١ فمدنيتان

طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ۞

المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله (وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار ۞ وقرئ (تحس) من حسه إذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات ۞ وقرأ حنظلة (تسمع) مضارع أسمعت ۞ والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيي ومريم وعيسى وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون وإسمعيل وإدريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

﴿سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما وعن الحسن رضي الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال لاهناك المرتع ثم بنى عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطرى الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال إن طاها في لغة عك في معنى يارجل ولعل عك تصرفوا في ياهذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في ياطا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لايخفى في البيت المستشهد به

إن السفاهة طاها في خلائقكم ۞ لاقدس الله أخلاق الملاعين

والأقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون (ماأنزلنا) إن جعلت طه تعديد الأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدا و (القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ مانزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أي ماعليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لامحالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة ومافيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروى أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة ومابعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فإن

﴿سورة طه﴾

(قوله إن طاها في لغة عك في معنى يارجل) في الصحاح عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن (قوله بالليل حتى اسمغدت) بالغين المعجمة أي تورمت أفاده الصحاح

الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى ۞ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرٰى ۞ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ

قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى قومه وأما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيداً لأنه أحد المفاعيل الخمسة التى هى أصول وقوانين لغيرها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى إلا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلناه عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لمن يخشى) لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية ۞ فى نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ۞ ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذا أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له (فإن قلت) ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ۞ وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها ۞ قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق ۞ (فإن قلت) الجملة التى هى (على العرش استوى) ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) إذا جررت فهى خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ ۞ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الأرضين عن محمد بن كعب وعن السدى

﴿القول فى سورة طه﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى (قال ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه الثانى بعد فإن فيه إثبات كون الشقاء سببا فى نزوله عكس الأول وإن لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه صلى الله عليه وسلم من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مضمون هذه الآية متباينا عن قوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج فلعلك باخع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الأول

(قوله بالنعمة والتمحل للثنية) لعله للتثنية

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ

هو الصخرة التى تحت الأرض السابعة ۞ أى يعلم ما أسررته إلى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك (وأخفى) منه وهو ماستسره فيا وعن بعضهم إن أخفى فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم مايعلمه هو كقوله تعالى يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما وليس بذاك (فإن قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وإن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وإما تعليما للعباد أنّ الجهر ليس لاسماع الله وإنما هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الأحسن وصفت بها الأسماء لأنّ حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن سائر الأسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التى هى النهاية فى الحسن ۞ قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عندالله الفوز والمقام المحمود ۞ يجوز أن ينتصب (إذ) ظرفا للحديث لأنه حدث أو لمضمر أى حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضلّ الطريق وتفرقت ماشيته ولاماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا فى مكانكم ۞ الإيناس الإبصار البين الذى لاشبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشىء والإنس لظهورهم كما قيل الجنّ لاستتارهم وقيل هو إبصار مايؤنس به ۞ لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعا متيقناً حققه لهم بكلمة أن ليوطن أنفسهم ۞ ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلى) ولم يقطع فيقول إنى (آتيكم) لئلا يعد ماليس بمستيقن الوفاء به ۞ القبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أى قوما يهدوننى الطريق أو ينفعوننى بهداهم فى أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لأنّ أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع أحوالهم لايشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار أنّ أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد أنه لصوق بقرب من زيد أو لأنّ المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى

۞ وبات على النار الندى والمحلق ۞ قرأ أبو عمرو وابن كثير (أنى) بالفتح أى نودى بأنى (أنا ربك) وكسر الباقون أى نودى فقيل ياموسى أو لأنّ النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى إنى أنا ربك لتوكيد الدلالة

قوله عزّ وجل فإنه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم من قال لن أخفى فعل ماض الخ) قال أحمد لايخفى أن جعله فعلا قاصر لفظا ومعنى أما لفظا فإنه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الإسمية إن كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضى على المضارع إن كان المعطوف عليه الصغرى وكلاهما دون الأحسن وأما معنى فإن المقصود الحض على ترك الجهر بإسقاط فائدته من حيث أنّ الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما إذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وإن اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما لأنّ بين السياقين اختلافا والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله وقدح فصلد زنده) فى الصحاح صلد الزند إذا صوت ولم يخرج نارا

لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ *

وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل إنى أنا ربك وأن إبليس وسوس إليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى وروى أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن إسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أى نودى نداءين أو قدس الوادى كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك (لما يوحى) للذى يوحى أو للوحى تعلق اللام باستمع أو باخترتك (لذكرى) لتذكرنى فإن ذكرى أن أعبد ويصلى لى أو لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد أو لأنى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكرى خاصة لاتشوبه بذكر غيرى أو لإخلاص ذكرى وطلب وجهى لاترائى بها ولاتقصد بها غرضاً آخر أو لتكون لى ذاكراً غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة كقوله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكرها ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط إرادتى إخفاءها ولولا مافى الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسى ولادليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لادليل عليه مطرح والذى غرهم منه أن فى مصحف أبى أكاد أخفيها من نفسى وفى بعض

* قوله تعالى « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » (قال محمود معناه قاربت أن لا أقول هى آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع فى رد هذا التأويل بالهوينا فإنه بين الفساد وذلك أن خفاءها عن الله تعالى محال عقلا فكيف يوصف المحال المقلى بقرب الوقوع وأحسن مافى محامل الآية ماذكره الأستاذ أبو على حيث قال المراد أكاد أزيل خفاءها أى أظهرها إذ الخفاء الغطاء وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته إذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته إذا أزلت شكايته وعتبه وحينئذ يلتئم القراءتان أعنى فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله كأنها نار بيضاء تتقد) عبارة الخازن أطافت بها نار الخ وعبارة النسفى بدل قوله رأى شجرة الخ وجد نارا بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها وكانت شجرة العناب أو العوسج (قوله وقيل مرتين نحو ثنى) فى الصحاح وقال بعضهم فى قوله تعالى بالوادى المقدس طوى طوى مرتين أى قدس وفيه أيضاً الثنى مقصور الأمر يعاد مرتين اه فلعل أصل عبارة أيضاً وقيل طوى مرتين يعنى قدس وطهر مرتين وظاهر العبارة أن طوى مثل ثنى بمعنى مرتين أى نودى موسى مرتين أو قدس الوادى مرتين فهو منصوب بنودى أو بالمقدس

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ۞ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ

المصاحف أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وعن أبى الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أى قرب إظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فإن تدفنوا الدّاء لانخفه ۞ وإن تبعثوا الحرب لانقعد

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسعيها ۞ أى لايصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فإن قلت) العبارة لنهى من لايؤمن عن صدّ موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما أن صدّ الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى أنّ صدّ الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لاأرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لايتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع فى صدك عما أنت عليه يعنى أن من لايؤمن بالآخرة هم الجمّ الغفير إذ لاشىء أطمّ على الكفرة ولاهم أشدّ له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولاعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لاالبرهان وتدبره وفى هذا حثّ عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك ياموسى) كقوله تعالى وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم مايخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ماهى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها إلى ماترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد وقرأ ابن أبى إسحق عصى على لغة هذيل ومثله يابشرى أرادوا كسر ماقبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاى) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن أبى إسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة ۞ هش الورق خبطه أى أخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أى أنحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ماهى إلا عصا لاتنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عزّ وجلّ أن يعدّد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها

(قوله صليب المعجم) فى الصحاح عجمت العود إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره ورجل صلب المعجم إذا كان عزيز النفس (قوله من قلبها حية نضناضة) أى تحرك لسانها فى فمها أفاده الصحاح (قوله وعند الطفرة هش الورق) أى الوثبة

تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى

وإذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلواً وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ۞ السعي المشي بسرعة وخفة حركة (فإن قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثانى أنها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعاً ۞ لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شىء خاف ونفر وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف مالقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لاتخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها ۞ السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الأولى أى فى حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير ۞ وعادك أن تلاقيها عداء ۞ فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وأن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أى تسير سيرتها الأولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها ۞ قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج ۞ السوء الرداءة والقبح فى كل شىء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شىء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديراً بأن يكنى عنه ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا أحر المفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر ۞ بيضاء وآية حالان معاً ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفى نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ دونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف (لنريك) أى خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ۞ لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى لعنه الله عرف أنه كلف أمراً عظيما وخطباً جسيما يحتاج معه إلى احتمال مالا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه

(قوله وعرض الزندين على شعبتيها) فى الصحاح الزند العود الذى يقدح به النار وهو الأعلى والزند السفلى فيها ثقب وهى الأنثى فإذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان والجمع زناد وأزند وأزناد (قوله وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص) جذيمة ملك الحيرة والزباء ملكة الجزيرة كذا فى الصحاح (قوله فكنوا عنه بالأبرش والبرص) فى الصحاح البرش فى الفرس نقط صغار تخالف سائر لونه والفرس أبرش (قوله مالا يحتمله إلا ذو جأش) فى الصحاح يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه

صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ

أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ماعسى يرد عليه من الشدائد التى يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه فى الجملة أمره الذى هو خلافة الله فى أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤن ومقاساة جلائل الخطوب (فإن قلت) لى فى قوله (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ماجدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لى ويسر لى فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الإيضاح الساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريق الإجمال والتفصيل ۞ عن ابن عباس كان فى لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أىّ رب تدعونى قال إلى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل ذهب بعضها وبقى بعضها لقوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت بكمالها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى وفى تنكير العقدة وإن لم يقل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لسانى) صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى . الوزير من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لأن الملك يعتصم برأيه ويلجىء اليه أموره أو من المؤازرة وهى المعاونة عن الأصمعى قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة إلى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء فى معنى مفاعل مجيأ صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت فى أخيه قلبت فيه وحمل الشىء على نظيره ليس بعزيز ونظر إلى يوازر وإخوته وإلى الموازرة ۞ وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة أولى وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير و(أخى) فى الوجهين بدل من هرون وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن ۞ قرؤا جميعا أشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفى مصحف ابن مسعود أخى وأشدد وعن أبى بن كعب أشركه فى أمرى وأشدد به أزرى ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء وأشدد به خبره ويوقف على هرون ۞ الأزر القوة وأزره قواه أى اجعله شريكى فى الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فإنّ التعاون لأنه مهيج الرغبات

قوله تعالى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى (قال إن قلت مافائدة لى والكلام مستتب بدونها الخ) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة إليه وعائدة عليه فأن الله عز وجل لا ينتفع بإرساله ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدّس على خلاف رسول الملك إذا طلب منه أن يريح عليه فإنما يطلب منه مايعود نفعه على مرسله ويحصل له غرضه من رسالته والله أعلم .

عن الفرار لشجاعته (قوله والكلام بدون مستتب) فى الصحاح استتب الأمر تهيأ واستقام (قوله كان فى لسانه رتة) فى الصحاح الرتة بالضم العجمة فى الكلام وحديث الجمرة أن موسى كان يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب فضرب به رأسه فغضب وهمّ بقتله فقالت له امرأته إنه صبى لا يعقل وجربه إن شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فمد موسى يده إلى الجوهر فحولها جبريل إلى الجمر فوضع جمرة فى فمه فاحترق لسانه (قوله الوزير من الوزر) أى الثقل وقوله أو من الوزر أى الملجأ أفاده الصحاح

كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۞ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِى التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۞ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ

يتزايد به الخير ويتكاثر (إنك كنت بنا بصيراً) أى عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدى بأنه أكبر منى سنا وأفصح لسانا ۞ السؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول ۞ الوحى إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين ويبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم أو يريها ذلك فى المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل أى أوحينا اليها أمراً لا سبيل إلى التوصل اليه ولا إلى العلم به إلا بالوحى وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أى هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى (إن) هى المفسرة لأن الوحى بمعنى القول ۞ القذف مستعمل فى معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى قال ۞ غلام رماه الله بالحسن يافعا ۞ أى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من تنافر النظم (فإن قلت) المقذوف فى البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل (قلت) ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذى هو أم إعجاز القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته أهم ما يجب على المفسر ۞ لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وألقاه اليه سلك فى ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه فقيل (فليلقه اليم بالساحل) روى أنها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبى أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حباً شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أى يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة (منى) لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على إنى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أى محبة حاصلة أو واقعة منى قد ركزتها أنا فى القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (على عينى) لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشىء بعينيه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر اليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أى ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أى وليكون عملك وتصرفك على عين منى ۞ العامل فى (إذ تمشى)

۞ قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله (قال العامل فى إذ تمشى ألقيت أو تصنع الخ) قال أحمد والمعنى يوجب عمل ولتصنع فيه لأن معنى صنيعه على عين الله عزوجل تربيته مكلوءاً بكلاءته مصونا بحفظه وزمان تربيته على هذه الحالة هو زمان رده إلى أمه المشفقة الحنانة وأما إلقاء المحبة عليه فقيل ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله رماه الله بالحسن يافعا) فى الصحاح أيفع الغلام أى ارتفع وهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر (قوله ثم أداه إلى النهر) لعله أداه النهر (قوله ليتعطف عليك وترأم) أى تحب وتؤلف أفاده الصحاح

عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۞ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۞ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۞ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۞ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۞

ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا (فإن قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذذاك وربما لقيه هو فى أولها وأنت فى آخرها ۞ يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهى التى أشفقت عليه وطلبت له المراضع ۞ هى نفس القبطى الذى استغاثه عليه الإسرائيلى قتله وهو ابن اثنتى عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر إلى مدين (فتونا) يجوز أن يكون مصدراً على فعول فى المتعدى كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة أى فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضى الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه فى البحر وهمّ فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضلّ الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الإنسان وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة (مدين) على ثمانى مراحل من مصر وعن وهب أنه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الأجلين ۞ أى سبق فى قضائى وقدرى أن أكلمك وأستنبئك وفى وقت بعينه قدوقته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة ۞ هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم، مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره ۞ الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع أى لا تنسيانى ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكرى جناحا تصيران به مستمدين بذلك العون والتأييد منى معتقدين أن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكرى ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديراً بأن يطلق عليه اسم الذكر ۞ روى أن الله تعالى أوحى إلى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم ذلك ۞ قرئ (لينا) بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى «هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى» لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه من الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره وألطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة وقيل كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ۞ والترجى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك أى يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق (أو يخشى) أن يكون الأمر

(قوله على مكنون سره إلا سواء ضميره) فى الصحاح سواء الشىء وسطه (قوله وقيل لا تجبهاه بما يكره) فى الصحاح جبهته بالمكروه إذا استقبلته به وفيه اللطف فى العمل الرفق به (قوله ويحتشد بأقصى وسعه) أى يستعد ويتأهب أفاده الصحاح

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۞ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ۞ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة ۞ فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أى نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها ۞ وقرئ (يفرط) من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكي عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الإفراط فى الأذية أى نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة ۞ أو يجاوز الحد فى معاقبتنا إن لم يعاجل بناء على ماعرفا وجربا من شرارته وعتوه (أو أن يطغى) بالتخطى إلى أن يقول فيك مالا ينبغى لجرأته عليك وقسوة قلبه وفى المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة (معكما) أى حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل مايوجبه حفظى ونصرتى لكما فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لايقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو ۞ كانت بنو إسرائيل فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الأولى وهى إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لاتثبت إلا ببينتها التى هى المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ماادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين أو لو جئتك بشيء مبين ۞ يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين ۞ خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولايكاد يبين (خلقه) أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شيء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الإبصار والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وماهو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه (ثم هدى) أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ماأخصره وماأجمعه وماأبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق ۞ سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقى

۞ قوله تعالى «إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى» الآية (قال معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا الخ) قال أحمد وإذا روعى فى الأدب إطلاق هذه اللفظة عن مجرورها فلا يبعد أن يراعى فى الأدب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجل زيادة المجرور فى قوله اشرح لى صدرى كما قدمته آنفا والله أعلم

(قوله يحمله خبثه ودعارته) أى فساده وفسقه

الأولى ﴿قال علمها عند ربى فى كتب لا يضل ربى ولا ينسى﴾ ﴿الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ ﴿كلوا وارعوا أنعمكم إن فى ذلك لآيت

منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لايعلمه إلاهو وماأنا إلاعبد مثلك لاأعلم منه إلا ماأخبرنى به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ لايجوز على الله أن يخطئ شيئا أو ينساه ﴿ يقال ضللت الشىء إذا أخطأته فى مكانه فلم تهتدله كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذاضيعه وعن ابن عباس لايترك من كفر به حتى ينتقم منه ولايترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قدنازعه فى إحاطة الله بكل شىء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ماتقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولايجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أى لايضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يامدعى الربوبية بالجهل والوقاحة (الذى جعل) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدإ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أى مهدها مهدا أو يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو مايمهد للصبى (وسلك) من قوله تعالى ماسلككم فى سقر سلكناه نسلكه فى قلوب المجرمين أى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبرارى (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لايمتنع شىء على إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله أى قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير فى فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان

﴿ قوله تعالى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحمد الالتفات إنما يكون فى كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى ومانحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى ثم قوله الذى جعل لكم الأرض مهدا إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى إما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا وإنما يريدون الملك وليس هذا بالتفات وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولاينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه فليس التفاتا أيضا وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغى للقارئ أن يقف وقيفة عند قوله ولاينسى ليستقر بانتهاء الحكاية ويحتمل وجها آخر وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته لأن الحاكى هو المحكى فى كلام موسى فرجع الضميرين واحدوهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات لكن الزمخشرى لم يعنه والله أعلم

لأولى النهى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى *
قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه

الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً * وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلط بالتراب ويردّهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا عدّد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا ثم هى كفايتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وفى قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الإضافى حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعنى أنها كانت لاتعطى إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثانى أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ماأوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق لافرق بين مايخبر عنه وبين مايشاهد به فكذبها جميعا (وأبى) أن يقبل شيئاً منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من جيب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وأن مثله لايخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لامحالة وقوله بسحرك تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحرا لايقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لايخلو الموعد فى قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من أن يجعل زمانا أو مكانا أو مصدراً فإن جعلته زمانا نظراً فى أن قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا وإن جعلته مكانا لقوله تعالى مكانا سوى لزمك أيضاً

* قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (قال إن جعلت موعد الأول اسم مكان ليطابق قوله مكانا سوى لزمك الخ) قال أحمد وفى إعماله وقد وصف بقوله لانخلفه بعد إلا أن تجعل الجملة معترضة فهو مع ذلك لايخلو من بعد من حيث أن وقوع الجملة عقيب النكرة يجيزها الشأن أن تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندى وجه آخر أخصر وأسلم وهو أن يجعل موعد اسم مكان فيطابق مكانا ويكون بدلا منه ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذى ذكره ويبقى عود الضمير فنقول هو والحالة هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان لأن حروفه فيه والموعد إذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد كما إذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد وإذا جاز رجوع الضمير إلى مادلت قوة الكلام عليه وإن لم يكن منطوقا به بوجه فرجوعه إلى ماهو كالمنطوق به أولى ومما يحقق ذلك أنهم قالوا من صدق كان خيراً له يعنون كان الصدق خيراً له فأعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقا به للنطق بالفعل الذى هو مشتق منه وإذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كاف فى إعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع كلم الأنبياء لأنه سئل أن يواعدهم مكانا فعلم أنهم لابد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضاً فأسلف الجواب عنه وضمنها جوابا مفرداً * ولقائل أن يقول إن كان المسؤل منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذى لم يسئل عنه

(قوله ثم هى كفايتهم إذا ماتوا) أى موضعهم الذى يضمون فيه أفاده الصحاح

نحن ولا أنت مكانا سوى ۝ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ۝ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ۝ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ۝ فتنزعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ۝ قالوا إن هذن لسحرن يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا

أن توقع الإخلاف على المكان وأن لايطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لأنه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فإن قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولابد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لاعن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وإن لم يطابق لفظاً لأنهم لابدلهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لاغير والمعنى إنجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لايقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه (فإن قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فإن قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الأمر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفاً بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لاتفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف ۝ قرئ (وأن تحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يافرعون وأن يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة أما على العادة التى يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفاً على اليوم أو الزينة وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الأشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (لاتفتروا على الله كذبا) أى لاتدعوا آياته ومعجزاته سحراً قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز والإسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق إلا مسحتا أو مجلف فى بيت لاتزال الركب تصطك فى تسوية إعرابه عن ابن عباس إن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ماهذا بقول ساحر والظاهر أنهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا إن هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطاً للناس عن اتباعهما قرأ أبو عمرو (إن هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص إن هذان لساحران على

صريحاً وجعل جواب ماسئل عنه مضمنا (وجوابه) والله أعلم أن يقال اكتفى بقرينة السؤال عن صريح الجواب وأما مالم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده إليه إذ لاقرينة تدل عليه والله أعلم

(قوله ومكان بدل من المكان المحذوف) لعله ومكانا (قوله يوم عاشوراء ويوم النيروز) لعله النيروز بالزاى كعبارة غيره (قوله ومعناه منصفاً بيننا) أى وسطاً كما فى الصحاح (قوله وكبت الكافر وزهوق الباطل) أى إذلاله أفاده الصحاح (قوله إلا مسحتاً أو مجلف فى بيت لاتزال الركب تصطك فى تسوية إعرابه) هو قوله
وعض زمان ياابن مروان لم يدع ۝ من المال إلا مسحتا أو مجلف والمسحت المهلك والمجلف الذى أخذ من جوانبه كما فى الصحاح

بطريقتكم المثلى ۞ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ۞ قالوا يموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ۞ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ۞ فأوجس في نفسه خيفة موسى ۞ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ۞ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد

قولك إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبي إن ذان إلا ساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة إن هذان لساحران هي لغة للحرث ابن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم أن بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو إسحق ۞ سموا مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتهم المثلى وهم بنو إسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فأجمعوا كيدكم) يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فأجمعوا كيدكم أي أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا ولا يخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها ۞ أمروا بأن يأتوا صفاً لأنه أهيب في صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ۞ ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعني وقد فاز من غلب ۞ أن مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدإ محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين ۞ يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الأصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ (تخيل) على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت

۞ قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى » (قال محمود لقد ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى عليه السلام في تخييره وإعطاء النصفة من أنفسهم) قال أحمد وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه ففوضوا ضرب الموعد إليه وكما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه العصا بعد قذفا بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق كذلك ألهمه من الأول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤس الأشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم والله أعلم ۞ قوله عز وجل « وألق ما في يمينك

(قوله إذا للمفاجأة والتحقيق) لعله إذا المفاجأة كعبارة النسفي

سٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ

واهتزّت تخيلات ذلك ه إيجاس الخوف إضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لايكاد يمكن الخلوّ من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (إنك أنت الأعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلوّ وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (مافى يمينك) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيراً لها أى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أى لاتحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإنّ فى يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أى ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف مايأفكون قرئ (كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أنّ ماموصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أوهم لتوغلهم فى سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحراً وغير سحر كا تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فإن قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لأنّ القصد فى هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أنّ المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (فإن قلت) فلم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج ه فى سعى دنيا طالما قد مدت ه وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنّ ماصنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوىّ وأمر دنيوى وآخرى (حيث أتى) كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان ه سبحان الله ماأعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر

تلقف ماصنعوا ، (قال محمود وقال مافى يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد وإنما المقصود بتحقيرها فى جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الأولى لأنها إذا كانت أعظم منه وهى حقيرة فى جانب قدرة الله تعالى فما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة ولأصحاب البلاغة طريق فى علو المدح بتعظيم جيش عدوّ الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه فصغر الله أمر العصا ليلزم منه كيد السحرة الداحض بها فى طرفة عين ه عاد كلامه (قال محمود ويجوز أن يكون تعظيما لأمرها إذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصر) قال أحمد وههنا لطيفة وهو أنه تأتى من هذا النظم أولا قصد التحقير وثانياً قصد التعظيم فلابدّ من نكتة تناسب الأمرين وتلك والله أعلم هى إرادة المذكور مبهماً لأنّ مافى يمينك أبهم من عصاك وللعرب مذهب فى التنكير والإبهام والإجمال تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وأنه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن أنه من عناية المتكلم والسامع بمكان يعنى فيه الرمز والإشارة فهذا هو الوجه فى إسعاده بهما جميعاً وعندى فى الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو أنّ موسى عليه السلام أوّل ماعلم أنّ العصا آية من الله تعالى عندما سأله عنها بقوله تعالى وماتلك بيمينك ياموسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها قال تعالى وألق مافى يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذى قال الله تعالى له وماتلك بيمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت ألا ترى إلى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله تسمع نبأة يسيرة منه) فى الصحاح النبأة الصوت الخفى (قوله وقرى تلقف بالتخفيف) عبارة النسفى تلقف بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف فليحرر (قوله أو بين الكيد لأنه يكون سحراً) لعله قبله سقطاً تقديره بالسحر

أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينت والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحيوة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطينا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى * إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأته مؤمنا قد عمل الصلحت فأولئك لهم الدرجت العلى * جنت عدن تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها وذلك جزاء من تزكى * ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخف

والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجداً أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون إليها فى الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة المعلم أمرنى كبيرى وقال لى كبيرى كذا يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شىء * قرئ (فلأقطعن) ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشىء الموعى فى وعائه فلذلك قيل فى جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان فى كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب فى شىء (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم * قرئ (تقضى هذه الحياة الدنيا) ووجهها أن الحياة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة يعنى رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه (تزكى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل فى هذه الآيات الثلاث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به

---

* قوله تعالى « فألقى السحرة سجداً » الآية (قال سبحان من فرق بين الإلقاءين إلقائهم حبالهم وعصيهم الخ) قال أحمد وفى تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة إيقاظ السامع لألطاف الله تعالى فى نقله عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه إلى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين وهو يناسب ما قدمته آنفا فى إيجاز الخطاب فى قوله وألق ما فى يمينك وما تلك بيمينك فتأمله فإن الحق حسن متناسب والله الموفق * قوله تعالى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً (قال قرئ بسكون الباء وبفتحها الخ) قال أحمد ووجه آخر

(قوله وفيه نفاجة باقتداره) فى الصحاح رجل نفاج إذا كان صاحب فخر وكبر

دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۞ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۞
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۞ وَإِنِّي

الواحد تأكيداً كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك فى (ولا تخشى) إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أى ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله * كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا * (ماغشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم مالا يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله سبحانه أو ماغشاهم أو فرعون لأنه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وماهدى) تهكم به فى قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأوّل أى قلنا يابنى إسرائيل وحذف القول كثير فى القرآن وقرئ (أنجيتكم) إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ (الأيمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الألواح وإنما عدى المواعدة اليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم فى النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها فى المعاصى وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا فى إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحلل) المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم فى معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك

وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم
قوله تعالى وأضل فرعون قومه وماهدى (قال إنما قيل وماهدى تهكما به) قال أحمد فإن قلت التهكم أن يأتى بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى وماهدى فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد إخبار عن عدم هدايته لقومه قلت هو كذلك ولكن العرف مثل ماهدى زيد عمرا ثبوت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا فى نفسه ولكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضالين فى نفسه فكيف يتوهم أنه يهدى غيره وتحقيق ذلك أن قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف فى الإخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد إضلاله إياهم فإن من لا يهدى قد لا يضل فيكون كفافا وإذا تحقق غناء الأوّل فى الإخبار تعين كون الثانى لمعنى سواه وهو التهكم والله أعلم
قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لا يسعه أن يحمل الغضب إلا على العقوبة لأنه ينفى صفة الإرادة فى جملة ماينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب إرادة العقوبة فيكون من أوصاف الذات ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الأفعال وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الإرادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على

(قوله قرئ فيحل وعن عبد الله) يفيد أن القراءة المشهورة فيحل ومن يحلل بالكسر ولتحرر قراءة لا يحلن هل هى بالكسر أو بالضم

لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۞ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ

قالت : هوى من رأس مرقبة ۞ ففتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا لا نهوض بعده ۞ الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين فى جاءنى زيد ثم عمرو أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أى شىء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله إلا نظرا إلى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثرى) وعن أبى عمرو ويعقوب إثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر أثرى بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والإثر أفصح من الأثر وأما الأثر فمسموع فى فرند السيف مدون فى الأصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الأثر غريب (فإن قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت إليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام ۞ أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا (فإن قلت) فى القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه إنا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامرى غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجوداً ۞ قرئ (وأضلهم السامرى) أى وهو أشدهم ضلالا لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل

التأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلولها تعبيرا عن الأثر بالمؤثر كما يقول الناظر إلى عجيب من مخلوقات الله تعالى انظر إلى قدرة الله يعنى أثر القدرة لا نفسها والله أعلم قوله تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى (قال فيه إن قلت سئل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وإنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو أنه ينبغى تأخير رئيس القوم عنهم فى المسير ليكون نظره محيطا بطائفته ونافذا فيهم ومهيمنا عليهم وهذا المعنى لا يحصل فى تقدمه عليهم ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب لوطا فقال واتبع أدبارهم فأمره أن يكون أخيرهم على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضا الله عز وجل ومسارعة إلى الميعاد وذلك شأن الموعود بما يسره يود لو ركب اليه أجنحة الطير ولا أسر من مواعدة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

(قوله فرند السيف) أى ربده ووشيه كذا فى الصحاح

غضبان أسفا قال يقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب
من ربكم فأخلفتم موعدى * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم
فقذفنها فكذلك ألقى السامرى * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى *
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا * ولقد قال لهم هرون من قبل يقوم إنما

كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الأسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فإن قلت) متى رجع إلى قومه (قلت) بعد ما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذاك وأجمل حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامرى وكيده * أى حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامرى) أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل (فإن قلت) كيف أثرت تلك التربة فى إحياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهى أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه فى الدرع (فإن قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى إسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب والمراد بقوله إنا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحانهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى فنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها الناصبة للأفعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامرى ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم هرون عليه السلام بقوله (إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن) لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك

---

* قوله تعالى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك (قال إن قلت لم خلق الله العجل فتنة لهم) قال أحمد هذا السؤال وجوابه تقدما له فى أول سورة الأعراف وقد أوضحنا أن الله تعالى إنما تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا علل أفعاله وجواب هذا السؤال فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذا الأمر جائز وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا نبتغى وراء ذلك سبيلا لكن الزمخشرى تقتضى قاعدته فى وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يؤول ذلك ويحرفه فذرهم وما يفترون

فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا أَمْرِى ۞ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۞ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا

لم تلحقنى ۞ قرئ (بلحيتى) بفتح اللام وهى لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديداً مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شىء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضاً على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه ۞ أى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافى برأيك وخشيت عتابك على إطراح ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها ۞ الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئاً ما خطبك فمعناه ما طلبك له ۞ قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له ۞ قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرأ أيضاً فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه . قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فإن قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامرى فقال إن لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل ۞ عوقب فى الدنيا بعقوبة لا شىء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم وقرئ (لا مساس) بوزن فجار ونحوه قولهم فى الظباء إذا وردت الماء فلا عباب وإن فقدته فلا أباب وهى أعلام للمسة والعبة والأبة وهى المرة من الأب وهو الطلب (لن تخلفه) أى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الأرض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا قال الأعشى

أثوى وأقصر ليله ليزودا ۞ فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أى لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر فى لأهب لك (ظلت) وظلت وظللت

(قوله قرئ بلحيتى بفتح اللام) والقراءة المشهورة بالكسر (قوله وكان أفرع) أى تام الشعر أفاده الصحاح (قوله وحفظ الدهماء) أى الجماعة أفاده الصحاح (قوله وقرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر) والقراءة المشهورة بالضم وقرئ تبصروا به بالتاء وعبارة النسفى وبالتاء حمزة وعلى ولعلها سقطت هنا سهوا من الناسخ فليحرر

لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ۞ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما ۞ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ۞ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيمة وزرا ۞ خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا ۞ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ۞ يتخافتون بينهم إن لبثتم

والأصل ظللت فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه. ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الإحراق وذكر أبو على الفارسى فى لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة فى حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهى قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهى إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ۞ قرأ طلحة الله الذى لا إله إلا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شىء علما) وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شىء وأما علما فانتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل فى المعنى كما تقول فى خاف زيد عمراً خوفت زيداً عمراً فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا ۞ الكاف فى (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وأن هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقى ۞ يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحمل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمل ۞ جمع (خالدين) على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها (فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (ساء) فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب أن يكون مبهما يفسره (حملا) والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعالى نعم العبد إنه أواب أيوب هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أى وساءت مصيرا جهنم (فإن قلت) اللام فى لهم ماهى وبم تتعلق (قلت) هى للبيان كما فى هيت لك (فإن قلت) ما أنكرت أن يكون فى ساء ضمير الوزر (قلت) لا يصح أن يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شىء بعينه غير مبهم (فإن قلت) فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن (قلت) كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى أنه القرن ۞ قيل فى الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود

(قوله بالحمل الذى يفدح الحامل) أى يثقله أفاده الصحاح (قوله ويلقى عليه بهره) أى غلبته أفاده الصحاح
(قوله فإن قلت ما أنكرت) لعله لم أنكرت

إلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا * وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ
يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لَاعِوَجَ لَهُ
وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَاتَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّاتَنفَعُ الشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُ

الكبد أصهب السبال أزرق العين والثانى أن المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق * تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا إما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم الآخرة وإنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقاولا منهم فى قوله تعالى (إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عزوجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث (ينسفها) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام (فيذرها) أى فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة (فإن قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ مايكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لايدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله عزّ وعلا ذلك العوج الذى دقّ ولطف عن الإدراك اللهمّ إلا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر * الأمت النتوّ اليسير يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت * أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال فى قوله (يومئذ) أى يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة * والمراد الداعى إلى المحشر قالوا هو إسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لايعدلون (لاعوج له) أى لايعوجّ له مدعوّ بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته * أى خفضت الأصوات من شدّة الفزع وخفتت (فلاتسمع إلاهمسا) وهو الركز الخفى ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أى لاتسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر (من) يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أى لاتنفع الشفاعة إلا شفاعة من (أذن له الرحمن) والنصب على المفعولية ومعنى أذن له (ورضى له) لأجله أى أذن للشافع ورضى قوله لأجله ونحو هذه اللام اللام فى قوله تعالى * وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا إليه * أى يعلم ماتقدمهم من الأحوال ومايستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما * المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أى ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى * فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا

(قوله كقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة) فى الصحاح أن كلا من القاع والصفصف بمعنى المستوى من الأرض فكأن الصفصف تأكيد (قوله وخفتت فلاتسمع إلاهمسا) فى الصحاح خفت الصوت سكن

قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۞ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۞ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا

ووجوه يومئذ باسرة ، وقوله تعالى (وقد خاب) ومابعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ۞ الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ۞ والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۞ أى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصى أو فعل الخير والطاعة ۞ والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة ۞ وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أى تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما فى فاليوم أشرب غير مستحقب ۞ إثما من الله ولا واغل

(فتعالى الله الملك الحق) استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته ۞ ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنَّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان ۞ وقرئ حتى نقضى إليك وحيه وقوله تعالى (رب زدنى علما) متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أى علمتنى يا رب لطيفة فى باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما إلى علم فإن لك فى كل شىء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله ورسوله بطلب الزيادة فى شىء إلا فى العلم ۞ يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول فى جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهى عنه وتوعد فى ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فإن قلت) ما المراد بالنسيان (قلت) يجوز أن يراد النسيان الذى هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما أوصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها وقرئ فنسى أى نساه الشيطان ۞ العزم التصميم والمضى على ترك الأكل وأن يتصلب فى ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له ۞ والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما (إذ) منصوب بمضمر أى واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولى العزم والثبات (فإن قلت) إبليس

۞ قوله تعالى «وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا» (قال محمود معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة للوعيد الخ) قال أحمد الصواب فى تفسيرها ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر وإلا فلو أراد الله من جميعهم التقوى لوقعت وقد تقدمت أمثالها والعجب أنه نقل عن سيبويه فى تفسير لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى أن معناه كونا على رجائكما ثم رجع عن ذلك ههنا لأن المعتقد الفاسد يحذوه إلى هذا التأويل الباطل والله الموفق

لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۞ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۞ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۞ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ

كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة (قلت) كان فى صحبتهم وكان يعبدالله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجنى الذى معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام المقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم فى المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قدقام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام (فإن قلت) فكيف صحّ استثناؤه وهو جنى عن الملائكة (قلت) عمل على حكم التغليب فى إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الآباء وتوقف وتثبط (فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لإخراجكما ۞ وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما فى الخروج لأن فى ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن فى ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليـه وروى أنه اهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ (وإنك) بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع (فإن قلت) أن لا تدخل على إنّ فلا يقال إن أن زيداً منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها (قلت) الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن إنما هى نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كأن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والرى والكسوة والكن هى الأقطاب التى يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له فى الجنة وأنه مكفى لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفى لنقائضها التى هى الجوع والعرى والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامى أصناف

۞ قوله تعالى «إنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» (قال ذكر تعالى الأصناف التى بها قوام الإنسان الخ) قال أحمد تنبيه حسن وفى الآية سرّ بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير وذلك أنه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديما وحديثا فقال الكندى الأول :

كأنى لم أركب جواداً للذة ۞ ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أرشف الرزق الروىّ ولم اقل ۞ لخيلى كرّى كرة بعد أجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله لخيلى كرّى كرّة وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكاس مع التناسب وغرضه أن يعدّد ملاذه ومفاخره ويكثرها وتبعه الكندى الآخر فقال :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ۞ كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ۞ ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشىء عن نظيره ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبى الطيب من هذا المعنى الطائل البديع على أن فى هذه الآية سراً لذلك زائداً على ما ذكر وهو أن قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل إنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ لانتثر سلك رؤس الآى وأحسن به منتظما والله أعلم

(قوله والظمأ والضحوة) الذى فى الصحاح ضحيت للشمس ضحا ممدود إذا برزت الشمس لها وضحيت بالفتح مثله

قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۞ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ

الشقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها (فإن قلت) كيف عدى وسوس تارة باللام فى قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى (قلت) وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة فى أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابى ۞
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ۞ فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله ۞ أجراس لها يا ابن أبىّ كباش ۞ ومعنى وسوس اليه أنهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه وأسر اليه ۞ أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حي (وملك لا يبلى) دليل على قراءة الحسن بن على وابن عباس رضى الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر ۞ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هى للشروع فى أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ (يخصفان) للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا فى أطراف الأصابع عن ابن عباس لاشبهة فى أن آدم لم يمتثل مارسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لامحالة لأن الغى خلاف الرشد ولكن قوله (وعصى آدم ربه فغوى) بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبى المعصوم حبيب الله الذى لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيآت والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط فى الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول فى فنى وبقى فنا وبقا وهم بنو طى تفسير خبيث (فإن قلت) ما معنى (ثم اجتباه ربه) (قلت) ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى إلى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى هلا جبيت اليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار و(هدى) أى وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى ۞ لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلى البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر فى أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فإما يأتينكم) على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل إلى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب (هدى) كتاب وشريعة ۞ وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) والمعنى أن الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضلّ فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ۞ الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث ۞ وقرئ (ضنكى) على فعلى ومعنى ذلك إن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق مارزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا

(قوله كولولة الثكلى) أى الحزينة (قوله فبشم من كثرة الأكل) فى الصحاح البشم التخمة

ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۞ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۞ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۞ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتوصفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن أبى سعيد الخدرى عذاب القبر ۞ وقرئ (ونحشره) بالجزم عطفا على محل فإنّ له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك ۞ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) كأنه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى أو أراد ولتركنا إياه فى العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل ۞ لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين أى تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون ۞ وقرئ (يمشون) يريد أنّ قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون (فى مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم ۞ الكلمة السابقة هى العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة ۞ واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أى ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير فى كان أى لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل آخراً فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لأنهما واقعتان فى النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك أنّ أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إنّ ناشئة الليل هى أشدّ وطأ وأقوم قيلا وقال أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما ولأنّ الليل وقت السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشدّ وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل فى معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت فى قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فإن قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفى النهار (قلت) الوجه أمن الإلباس وفى التثنية زيادة بيان ونظير مجىء الأمرين فى الآيتين مجيئهما فى قوله ظهراهما مثل

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ

ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل * ولعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز فى الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أى لا تفعل ما أنت معتاده وضاربه ولقد شدد العلماء من أهل التقوى فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة فى اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (فإن قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (فإن قلت) ما معنى الزهرة فيمن حرك (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء فى الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهر وهذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف فى الثياب (لنفتنهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذى هو خير منه فى نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبقى) لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن عبدالله بن قسيط عن رافع قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضنى إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إنى لأمين فى السماء وإنى لأمين فى الأرض احمل إليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلاة) أى وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفى من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك

قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى (قال معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين فى الدنيا أكثر مكتسب من الحرام الخ) قال أحمد لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى سواء كان حلالا أو غيره لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا فكما يخلق الله تعالى على يدى العبد ما نهاه عنه كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق للصواب

(قوله ما معنى الزهرة فيمن حرك) أى حرك الهاء بالفتح (قوله وتهلل وجوههم) الذى فى الصحاح تهلل وجه الرجل من فرحه وهلهل النساج الثوب أرق نسجه وخففه (قوله وبهاء زيهم وشارتهم) فى الصحاح الزى والشارة اللباس والهيئة (قوله والحرام لا يسمى رزقا أصلا) هذا عند المعتزلة ويسمى رزقا عند أهل السنة

عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعقبة للتقوى ٭ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى ٭ ولو أنا أهلكنهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءايتك من قبل أن نذل ونخزى ٭ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحب الصرط السوى ومن اهتدى ٭

ففرغ بالك لأمر الآخرة وفى معناه قول الناس من دان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان إذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية ٭ اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية على النبوة فقيل لهم أو لم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الإعجاز يعنى القرآن من قبل أن القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة ٭ وقرئ الصحف بالتخفيف ٭ ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها فى معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم ٭ وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوى والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس

(قوله من دان فى عمل الله كان الله فى عمله) دان ذل ودانه أذله كذا فى الصحاح

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث﴾

﴿وأوله سورة الأنبياء﴾

فهرس

الجزء الثانى : من تفسير الكشاف

صفحة

